

10

لأناثرو لمناحف

٣٤٦ ٣٠٩

تار خف

٣٤٧

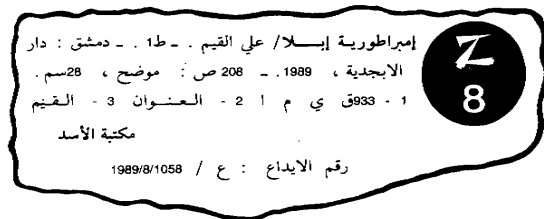
علي الف

امْبراطورية

ابتلا



الطبعة الأولى
1989
1000 نسخة



جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس ونشر الصور
بكافة الوسائل محفوظة لدار الأبجدية

- * التصميم والخراج والتنفيذ : القسم الفني في الابجدية للنشر .
- * التنضيد الضوئي : مؤسسة الشبيبة للاعلام والنشر .
- * التصوير الطباعي : زنكوغراف الشام .

مطابع ألف باء للثقافة

الجمهورية العربية السورية

دمشق - قصور

ص . ب : 4428

برقياً : أبجدار .

تلكس : 412059 TAJ SY

هاتف : 455720

العروبة ..

كُنَّا نُلَقِّنُ - وما نزال - أَنَّ العُرُوبَةَ هِيَ البَدَاوَةُ ،
هِيَ الْقَبِيلَةُ ، هِيَ الْبَسُوسُ ، وَدَا حِسَّ وَالْغَبَاءُ ..
إِلَى آخِرِ هَذِهِ "الْمَعْرُوفَةِ" الْقَاصِرَةِ ، الْمَغْرُضَةِ ، فِي أَنَّ
العُرُوبَةَ الَّتِي غَنَيْنَاهَا - وما زِلْتُ - نَسِيحَ حَضَارِي
هَائِلٍ ، ضَارِبٍ فِي أُغْوَارِ التَّارِيخِ ، تَشَابَكَتْ
فِيهِ مَلَائِينُ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ، لِنُعْطِيَ الْإِنْسَانَ
أَكْرَمَ مَا عَظَاهُ شَعْبٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

وَأَبْعَدُ نَحْنُ مِنْ غَبْسٍ وَمِنْ مُضَرٍ ، نَعَمْ أَبْعَدُ
حَمُورَابِي ، وَهَانِي بَعْلُ ، بَعْضُ عَطَانَا الْأَخْلَدُ
لَنَا بَلْقَيْسُ ، وَالْأَهْرَامُ ، وَالْبَرْدِيُّ ، وَلِلْعَبْدِ
وَمِنْ زَيْتُونَا عَيْسَى وَمِنْ صَحْرَائِنَا أَحْمَدُ
وَمِنَّا النَّاسُ - يَعْرِفُهَا الْجَمِيعُ - تَعَلَّمُوا أَجْدَهُ
وَكُنَّا دَائِمًا نُعْطِي وَكُنَّا دَائِمًا نُبْحَدُ

دمشق : ١٩٨٩/٥/٢٧ سليمان العيسى

مهذاة إلى « امبراطورية إبلا » . بخط الشاعر .



جزء من تمثال الأمير (أبيت - ليم -
بن أجريش - حيبا) الذي نذر
نفسه للربة عشتار. وقد اتاحت
الكتابة المسمارية المنقوشة على
ظهره التأكد من أن موقع تل
مريخ هو مدينة إبلا القديمة
(ت: مروان مسلماني).

المقدمة

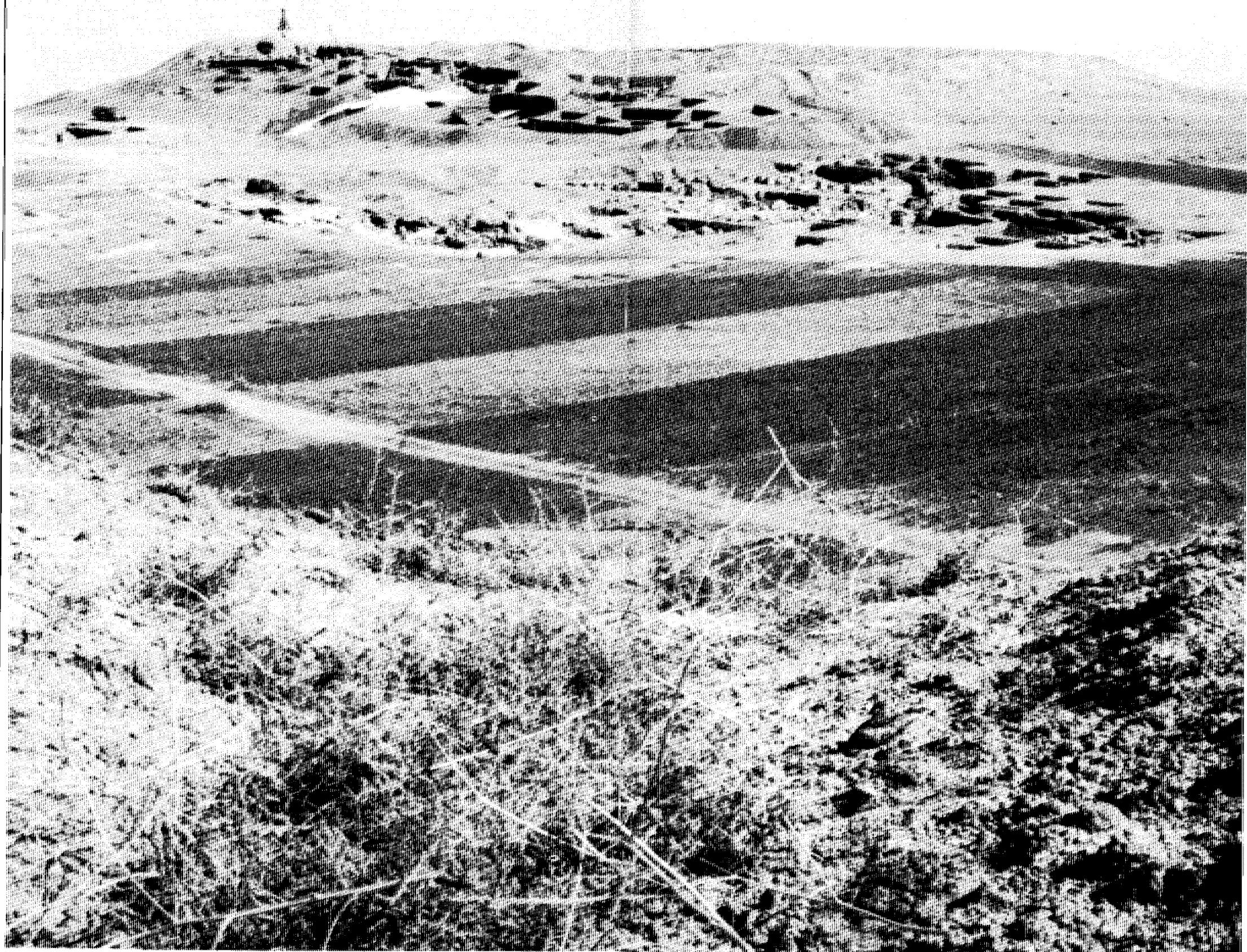
باكتشافات إبلا الأثرية في أواسط السبعينات من قرننا الحالي ، استرجعت سورية العربية ، صفحة من أنصع صفحات تاريخها ، ووقفت على قدم المساواة مع حضارتي وادي النيل وبلاد ما بين النهرين بعد أن كان ينظر إليها كمحطة متلقية للحضارة ، وليست صانعة لها ، وفاعلة فيها ..

باكتشافات إبلا تفتحت أمام الباحثين والمؤرخين والآثاريين أفق لا تنتهي من العمل المتجدد للبحث عن أصول التمدن وبواكير الحضارة في المشرق العربي القديم بشكل عام ، وسورية بشكل خاص ، ففي ضوء الغياب الكامل للشواهد الكتابية من الألف الثالث قبل الميلاد في سورية قبل اكتشافات إبلا ، أصبح بمقدور العلماء البحث في تفاصيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية والادارية والسياسية والتجارية والدولية .. لقد كشفت إبلا الشيء الكثير عن أخبار سورية وحضارتها القديمة ، وتفتحت أمامنا صفحات كانت مجهولة عن بدايات حضارة الانسان العربي السوري وفنونه وثقافته وعمارته ، وتطوره الأدبي وكانت بحق بمثابة ثورة على المفهوم التاريخي للمشرق العربي القديم . لقد كشف لنا أرشيف القصر الملكي عن وثائق مكتبة هامة يبلغ عدد رُقمها المسمارية ما يقارب 16 ألف رقيم ، وعرف منها أن إبلا كانت عاصمة لامبراطورية كبرى تحتل مركزاً تجارياً هاماً للمنطقة الواسعة التي تمتد من شمال سورية إلى فلسطين ، ومن البحر المتوسط إلى بلاد ما بين النهرين ، وكان لها في أوقات مختلفة نشاطات سياسية هامة وحركة مستمرة فاعلة ، على امتداد زمن طويل .

لقد نهضت إبلا من رقدها المديد ، لتقول كلمتها ، وتبوح لنا بأسرارها المذهلة ، وعلى الرغم من أن ما كشف - حتى الآن - من مكنوناتها هو جزء فقط مما ينتظر القيام به في السنوات القادمة ، فإن ما عرفناه كبير وكبير جداً ، وهذا ما دعانا إلى كتابة صفحات هذا الكتاب ، من منطلق شمولي مبسط ، عساه يجد صداه لدى القارئ العربي ، المتعطش إلى معرفة تاريخه القديم ، وجذوره القومية .. ونرجو أن يكون هذا العمل بمثابة دعوة إلى كتابات أخرى متخصصة ، عن أوجه النشاط الانساني العريق الذي قدمته إبلا ، لإرثنا الحضاري المتميز من خلال رؤية حديثة إلى تاريخنا العربي القديم .. وضمن إطار تاريخي موحد قادر على استيعاب هذا التاريخ بكامله ، بحيث تستوعب الوثائق الأثرية المستجدة ، وتدرج في سياقها المعقول ، خاصة وان في اكتشافاتنا الأثرية المتلاحقة ما يدعو إلى الاعتزاز بتراثنا الحضاري ، واستلهام الماضي من أجل الحاضر والمستقبل المشرق

● علي القيسم

الصدقة
المباركة
ومواسم
العطاء



مشهد عام للحفريات الأثرية
الجارية في إبلا (ت : مروان
مسلماني).

. صدفة مباركة :

لعبت الصدفة، في احيان كثيرة، دوراً كبيراً في التعرف على بعض مواقعنا الاثرية، ففي احد الايام من شهر آذار عام 1928، وبينما كان فلاح بسيط من الساحل السوري، يدعى محمد الملا، يقوم بحراثة ارضه بالقرب من «الجون» المسمى اليوم بـ «مينة البيضاء» اصطدم بحراثة بحجر ثقيل، ولدى رفعه، شاهد نفقاً يؤدي الى قبر، ووصل نبأ الاكتشاف الى السلطات الاثرية، التي سارعت الى ارسال من يقوم بمعاينة الموقع، وكان هذا الحدث بداية كشف آثار مملكة اوغاريت «رأس الشمرة» التي ملأت الدنيا وشغلت الناس.

وفي أحد ايام الربيع الجميلة من عام 1933، وبينما كان جماعة من البدو يقومون بدفن احد موتاهم في تل الحريري، الواقع على بعد احد عشر كيلومتراً شمال غربي بلدة البوكمال، عثروا في موقع الدفن على تمثال من الحجر الكلسي، مكتوب عليه كتابات بالخط المساري . . . وبلغ الخبر للسلطات الفرنسية المحتلة، فسارعت بإخبار متحف اللوفر بفرنسا، بأهمية الاكتشاف، ومنذ ذلك الحين تألفت بعثة اثرية فرنسية باشراف البروفيسور «اندرية بارو» وقامت بحفرياتهما الموسمية الهامة، التي اكدت ان هذا الموقع، هو نفسه مملكة ماري التي كان يمر ذكرها في العديد من المصادر التاريخية، على انها كانت مقراً للسلالة المالكة العاشرة بعد الطوفان وكشفت الحفريات المتلاحقة عن عدد من المعابد والقصور الملكية، وعن البيوت السكنية، وعن مجموعة من التماثيل الحجرية والرسوم الجدارية المتعددة الالوان، وكذلك عن مجموعات صدفية ومكتبة تحتوي على اكثر من عشرين الف رقيم مساري، أرخت فترة من تاريخ القطر العربي السوري كانت مجهولة - حتى الآن - وهذه المكتشفات النادرة والهامة القت الضوء على عراققة تاريخنا، وأصبحت ماري ذات شهرة عالمية، يرجع اليها المؤرخون لتصحيح كثير من مجريات التاريخ.¹

وفي عام 1954، بينما كان بعض الرعاة القرويين يسرحون بمواشيهم في احد السهول القريبة من بلدة عفرين، انتبه أحدهم بالصدفة الى وجود صخرة بازلتية منحوتة على شكل رأس حيوان، وبسرعة البرق، انتشر الخبر في القرية، وسرعان ما أوفدت المديرية العامة للآثار والمتاحف خبراءها وفنييها، وبدأت عمليات الكشف الاثري الاولي على الموقع . . . فتفتحت الخرائب عن اسرارها وآثارها، وانفتحت نافذة جديدة على التاريخ القديم لهذه المنطقة، مما جعل موقع تل عين داره، أحد أهم وأجمل هدايا ماضي سورية لحاضرنا، وكشفت اعمال التنقيب - حتى الآن - عن معبد اثري نادر يعود الى الالف الاول قبل الميلاد، كما تبين ان الحجر البازلتي الذي لقيه القرويون الرعاة، كان تمثالا لأسد ضخم، على غرار الاسود التي اعتاد الاقدمون وضعها عند مداخل قصورهم وقلاعهم ومعابدهم بقصد التبريك والحماية.²



جزء من تمثال الملك (أبيت - ليم بن اجريش حبيباً) - الجزء الأمامي . صنع من حجر البازلت (ارتفاع 49 سم) يعود تاريخه الى الالف الثاني قبل الميلاد .

1- ماري «تل الحريري» اسعد الحمود منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف - دمشق 1982. (ص 5-6).

2- انظر الموضوع الذي نشره المؤلف في مجلة سورية السياحية، العدد 2 المجلد 1 ربيع 1984 (ص 49 - 48).

وكان الانثاري الشاب يوشك ان يختار واحداً من التلال القريبة من مدينة اللاذقية، ولكنه عدل عن فكرته، بناء على نصيحة من البروفيسور فان لون، الذي التقى بماتيه في مدينة حلب، وأشار عليه ان ينقب في موقع ضخم اسمه «تل مردوخ»، وقد اعجبته الفكرة، بعد ان شاهد معالم جرن التقدمة البازلي المزخرف المعروض في متحف حلب، وسبق ان اكتشف في التل المذكور في عام 1955.⁶

6- من حديث خاص أجراه المؤلف مع باولوماتيه.

١٠ - الموسم التنقيبي الأول :

وهكذا بدأت أعمال الموسم التنقيبي الاول للبعثة الاثرية الايطالية في تل مردوخ بين 13 ايلول و2 تشرين الاول من عام 1964، وكان الهدف من هذا الموسم التأكد من الصفة الطبوغرافية، للتل، وبفس الوقت معرفة المدة الزمنية التي سكن فيها، ثم زيادة المعلومات عن المواقع الاخرى المجاورة، وخاصة الفترات الزمنية للعصور القديمة للمنطقة التي لم يكن لها - حتى الان - اي حظ من التنقيبات .

وبفضل هذه المعارف السطحية، كما يحدثنا عن ذلك، باولوماتيه⁷، تم وضع أهم النقاط الطبوغرافية لأهم المواقع الاثرية التي سيتم انجازها خلال المواسم المقبلة، ويقصد من ذلك تهيئة سجل للتلال القديمة قبل العصر الكلاسيكي، وإتمام الدراسة الاولى لمواقع الخرائب العائدة للعصر الروماني - البيزنطي، التي عرفت ونقب بها من قبل، بفضل بعض الرحالة الاثاريين الذين جميعاً لم يصلوا الى منطقة تل مريدخ، ولم يتناولوه بالذكر، وإلتزام هذا النقص في معرفة هذه المنطقة من محافظة ادلب الغنية بتلالها الاثرية، فقد اخذت بعثة جامعة روما على عاتقها منذ تنقيباتها الاولى تحقيق ذلك.

وبناء على الزيارات الميدانية لمجموعة من المواقع الاثرية، مثل: تل طوقان وتل أفس، وتل الشيخ منصور، وتل دادبخ، وتل ابيض، وتل المهدي، وتل خضرة، وغيرها... ثبت ان المنطقة المجاورة والمحيطه بتل مردبخ، قد عرفت توضعات من السكن تعود الى العصر البرونزي القديم والاسوسط اى بين فترة زمنية تتراوح بين (3300 و 1800) قبل الميلاد.

وبدأت الأعمال الاثرية في تل مردوخ، الذي يقع الى الجنوب من حلب على بعد خمسين كيلومترا تقريبا، ويبعد عن بلدة سراقب الحالية بمحافظة ادلب الى يمين الطريق الذهاب من دمشق الى حلب بنحو ستة كيلومترات، يصلها بالطريق العام، طريق معبد من الدرجة الثالثة، وتقع بالقرب من قرية تحمل اسمه، ويمثل مع ذروته والمدينة المنخفضة التشكل الطبيعي المميز للسكن الانساني...

يصفه باولومانيته في تقرير موسمه التقني الاول، بأنه يتألف من ذروة اهليلجية الشكل، مكونة من المرتفعات، وتضم شريطا واسعا من استدارات ارضية في وسطها يرتفع «الأكروبول» او ما يطلق عليه اسم «الحي المرتفع» الذي يميل بخفة نحو الجنوب، يبلغ عرض التل نحو 900 متر، في قطره الشمالي الجنوبي. و 700 متر في قطره الشرقي الغربي، وأعلى ارتفاع له هو 13 مترا، بالنسبة للسهول المجاورة، ولاتكاد ترتفع المنطقة المحيطة بالمدينة المنخفضة الى ثلاثة او اربعة امتار عن نفس

ابلا وموقعها في خريطة العالم القديم .

وفي عام 1955، بينما كان أحد الفلاحين السوريين يحرق أرضه الواقعة بموقع تل مردوخ، عثر بطريق الصدفة على حوض حجري قديم، لعله كما تدل الدلائل، كان يملأ بماء التطهير، وقد زينت جوانبه بنقوش وصور على إفريزين يمثل أحدهما من الأعلى نفرًا من الناس الملتحين، لعلهم من الحكام، وفي الثاني من الأدنى صور أخرى تمثل طائفة من السباع فاغرة أفواهها.³ ولدى فحصه من قبل علماء الآثار تبين أنه يعود إلى الفترة السورية القديمة الأولى (1900 - 1850) قبل الميلاد، ويؤكد هذا الحوض على الأهمية الحضارية الكبيرة للمراحل الأولى من حضارة سورية، سيما وأن تنقيبات سابقة، قامت بها بعثة أثرية بريطانية في تل عشانة «آلاخ» كانت قد كشفت في ذلك المركز الأقليمي البارز عن نواح هامة من مظاهر الحضارة السورية في مراحلها المتأخرة.⁴

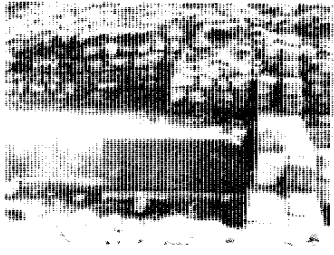
ويبدو ان علماء الآثار لم يجدوا آتخذ في هذا الحوض، شيئاً ذا أهمية بالغة، اذ كان من المؤلفين حين وآخر ان يقع الفلاحون او الشبان في تلك المنطقة على بعض اللقى : مثل النقود القديمة او القطع الفخارية او الاواني الخزفية، او الادوات الحجرية او المعدنية مع العلم ان المعطيات الاثرية الكثيرة المتوفرة في تل مردوخ، مثل المساحة الشاسعة للتل الذي يحيط به سور ضخّم من النوع المميز في فلسطين خلال حقبة البرونز الوسيط الثاني، والانتشار الواسع للكسر الفخارية السطحية المعروفة في عهود البرونز الوسيط الاول والثاني في حماة . كل هذه المعطيات تقود الى الاعتقاد بأن تل مردوخ يغيب في ثناياه مركزاً مدنياً في غاية الاهمية بالنسبة لسورية الشمالية، وانه كان يتمتع بهيمنة سياسية حتى عهد «ياريم ليم» ملك يحاض «حلب» (1820 - 1780) قبل الميلاد.⁵

وأمام هذه الاحوال، كان لابد من الانتظار الى عام 1964، عندما زارت سورية، بعثة اثرية ايطالية من جامعة روما، برئاسة آثاري شاب، اسمه ياولو ماتيهي، وكانت البعثة تعترم التنقيب في المناطق الواقعة شمالي سورية وغربها، ولاسيما من خلال التلال الكثيرة المنتشرة في هذه الربوع. ولم يكن لدى رئيس واعضاء البعثة آنئذٍ قصد محدد، يتجاوز تلك الرغبة المتمثلة عادة اجراء المزيد من التنقيب، والوقوع على المزيد من الكشف.

3- ابلا، منعطف التاريخ، د. عمر الدقاق (ص 17).

4- تل مردوخ - ايبلا - اقدم
مملكة عامرة في سورية،
باولوماتيبه، تعريب قاسم
طوير - منشورات جامعة
روما عام ١٩٧٨ (ص 6 -
5).

5- المصدر السابق (ص 6).



بقايا اسلستات القصر الملكي (ج) في
إبلا - (تصوير: مروان
مسلماني).

الموسم التنقيبي الثاني:

في هذا الموسم استؤنفت اعمال الموسم الماضي، وفق الترتيب التالي:

1. البقعة (أ) عند باب المدينة الجنوبي الغربي، حيث كشفت عمليات السبر في الموسم الماضي عن قسم من الحصن الشرقي للباب الجنوبي الغربي.
2. البقعة (ب) من القطاع الغربي للمدينة، حيث حفرت البعثة في الموسم الماضي خندقاً من قبيل السبر، وهو المكان الذي يظن انه مصدر قسم الحوض البازلتي المحفوظ في متحف حلب.
3. البقعة (د) الممتدة على طول المنحدرات الغربية للاكروبول.
4. واخيراً البقعة (ي) في القطاع الشمالي للاكروبول من اعلى نقطة فيه.⁸

ففي البقعة (أ) قامت البعثة الاثرية بتوسيع العمل في الخندق الجنوبي باتجاه الجنوب الغربي، وهو الخندق الذي كشف سنة 1964 عن المزايا التقنية لسور المدينة الكبير، في محاولة للوصول الى مكان الانخفاض الجنوبي الغربي للسور، ولمعرفة شكل بناء باب المدينة، وكان أهم اكتشاف في هذا القطاع، العثور على تمثال من البازلت لرجل جالس دون رأس، وجد مضطجعاً في مكان ما، هو دون شك غير مكانه الاصلي، ضمن طبقة ثخينة من الحصى في الجهة الشمالية الغربية، من الزاوية الشمالية للدعامة الجدارية الداخلية.

وفي القطاع (ب) تابعت البعثة حفرياتها لاكتشاف العناصر المعمارية ذات الصلة بالجدار الكبير الذي ظهر في الموسم الماضي دون معرفة دوره في البناء، وأدت الحفريات فعلاً الى اكتشاف حجرة مربعة الزوايا، ربما كانت مقدسة.

وتوسعت الحفريات في القطاع (د) حيث قامت البعثة بحفر خندق على طول المنحدر الغربي من مرتفع التل، واكتشفت حجرة كانت تشكل قسماً من بناء مقدس، والواقع ان هذه الحجرة الشمالية الاخيرة، كانت من معبد يتجه من الجنوب الى الشمال، ولا بد ان يكون لها دهليز في المنطقة التي لم تجر فيها اية حفريات. والمعبد محفوظ بحالة جيدة، مما سمح بدراسة اصول البناء بكل عناية، والبحث بشكل اعمق لالقاء الضوء على المشاكل المعمارية والزمنية المتعلقة بأساسات البناء.

وبدأت ورشة جديدة العمل في القطاع (ي) شمال المرتفع (الاكروبول) للحصول على معلومات أدق بالنسبة للمنشآت الحديثة، التي وجدت اثاراً لها خلال الموسم الاول، او لانجاز العمل



منظر عام للتنقيبات الأثرية
الجارية في موقع إبلا - تل
مردوخ -

مستوى السهول، ويوجد اربعة انخفضات، واحدة منها صغيرة، وجميعها منظورة، وتدل على اماكن الابواب القديمة للمدينة... اما البروز الحاصل فهو كما اظهرته الحفريات يؤلف جداراً هاماً من سور المدينة المبني من الأجر المشوي.

لقد سمحت المشاهدات السطحية لتل مردوخ، التي تمت في الموسم التنقيبي الاول، مايؤكد وجود العصر البرونزي القديم الرابع، والعصر البرونزي الوسيط الاول، والصفة المميزة لفخار العصر البرونزي القديم الرابع، هو انه من النوع الصافي الرقيق ذي اللون الاصفر ونادراً وجود اللون الوردي الشاحب، وهذا الفخار ملحوظ في نماذج: الزبادي المتفخخة قليلاً والكؤوس والاباريق وجميعها عليها تزيينات طلائية افقية بلون احمر غامق او اسود ومحززة بخطوط حلزونية، كما عثر على فخار مصنوع باليد مغشى بطبقة زجاجية ذات لون مخضر، وعلى الكثير من النماذج الفخارية المصنوعة ذات لون كستناوي ضارب الى اللون البنفسجي او الاخضر وهي بشكل صحنون وقدور كلها تعود الى نفس العصر المذكور، والى هذا العصر ايضاً تعود نماذج التماثيل الفخارية الصغيرة.

اما العصر البرونزي الوسيط، فيتصف فخاره باللون البراق والوردي الصافي على شكل جرار نخرة متوسطة الحجم، وكؤوس ذات قعر واخرى عليها خطوط تقع تحت الشفة، وبأوان ذات قياس متوسط بتزيينات محززة تحيط بها، متوازية ومفصولة احياناً بحز موج، ويلاحظ بأن هذه الاواني الفخارية مزينة احياناً بجديدة مشغولة واقعة تحت الحزام الثاني المحرز، ومزينة بخطوط عمودية، وببصمات اصبعية، وهذا النوع من الفخار وجد منتشراً على المرتفعات المحيطة بالمدينة الواطئة، بينما وجد على «الاكروبول» نفس النماذج من الكسر المختلطة، مع نماذج اخرى احدث منها، تعود الى العهدين الهيلنستي والروماني.

التمهيدى لدراسة طبقية تتيح القاء نظرة شاملة لمختلف العصور التي عرفت الحياة في التل، وقد عثر في المربعات (5 - 7) الواقعة في منتصف الاكروبول، وقرب السطح الخارجي على عناصر معمارية تعود الى العهدين الفارسي والهيلنستي، يمكن ان تكون مجموعة من المنازل الخاصة وجدت في بعض حجرها ثلاثة افران من النوع الذي استعمل ولا يزال قيد الاستعمال في مناطق سورية الشمالية، ووجد ايضاً آنية تعود الى العهدين الفارسي والهيلنستي وكسرات من تائم نساء، مصنوعة من الطوب المشوي، وخيالة فارسين، وبعض البقايا، قليلة الاهمية من الادوات الحديدية.

ويشير تقرير البعثة الاثرية الى القيمة الفنية، والدلالة الخاصة بالنسبة لأصول الثقافة التصويرية السورية، التي يتمتع بها الحوض الكلبي الذي وجد في الزاوية الجنوبية الغربية من معبد القطاع (د) والذي يتميز بأنه ذو جرنين، وهي خاصة وجدت في قطعتين بازليتين على الاقل في تل مردوخ، بينما يندر ذلك في الاماكن الاخرى.

هذا الحوض مزين من اطرافه الثلاثة بنقوش تمثل طقوساً ومناسك على وجهه الاساسي وصوراً دينية وثنية على الوجوه الجانبية، وهو يشبه الحوض البازلتي المحفوظ في متحف حلب الذي قدّر تاريخه بالعهد السومري الجديد، دون استبعاد تاريخاً أقدم له، وتاريخ هذا الحوض يمكن تحديده باللجوء الى العناصر التزيينية المنقوشة عليه، فالكأس التي يرفعها الرجل الى الاعلى تعود الى (2200 او 2000) قبل الميلاد، كما ان طريقة رسم ثياب الاشخاص الجالسين بأجزاء من خطوط مائلة، هو تحرير واضح لثياب سكان ما بين النهرين المعروفة باسم «الكوناكس»، مما لا يعود الى عصر احدث من سنة (1820) ق.م حسب التأريخ الوسطي.

اما نقوش الحوض الكلبي من وجهة النظر التصويرية، فنرى فيها الكثير من تقاليد الايقونات التي شاعت في بلاد ما بين النهرين في نهاية العصر الاكادي، خصوصاً بالنسبة للمواضيع الآدمية، كالطفل العاري الذي يشاهد من الامام بلحيته النموذجية، والتنين المجنح الذي لا يختلف عن الاله العاصفة الا ببعض التفاصيل.

ونرى في مشاهد اخرى ظواهر مستقلة، كصور الجانب الايمن، الرجل الأسد الذي يضغط الأرجل الخلفية للأسود، ومشهد الصيد والأسد والثور المتجاهين... هذه المشاهد تظهر من نتائج الذوق السوري المحلي البحث، رغم سهولة ايجاد سوابق بعيدة لها في بلاد ما بين النهرين.

فحوض تل مردوخ يقدم لنا أدلة واضحة، والبراهين القاطعة على انتقال المواضيع والزخارف التصويرية الشائعة في بلاد ما بين النهرين الى سورية، وربما تم ذلك بشكل مباشر، لا عن طريق وسطاء في شمال بلاد الشام، كما ان هذا الحوض يقدم الدليل الواضح على استمرار الثقافة التصويرية في سورية، فالوليمة ذات الشخصين معروفة بشكل واسع في الالف الثاني قبل الميلاد واوائل الالف الاول قبل الميلاد في سلسلة من النقوش النافرة السورية، كذلك فان الطفل العاري الذي يشاهد من الامام مع السواقي ذات المياه المتموجة يستمر وجوده في الالف الثاني قبل الميلاد، حيث يرى ومعه الاناء الذي تنبجس منه المياه.



مشهد للتقنيات الأثرية الجارية في احياء المدينة الشعبية في إربلا.

اما تفسير المشاهد المنحوتة بشكل نافر على الحوض، فتشير البعثة بأن الوليمة ذات الشخصين: رجل وامرأة، يمكن ان تعتبر شكلاً منتشراً في سورية وفلسطين... الرجل هو رئيس الجماعة والمرأة رفيقته التي تشاركه في الطقوس الجنائزية، وتظهر هنا كنوع من الطقوس الدينية المتعلقة بالخصب. ومن النقوش البارزة ايضاً، تعتبر نقوش الجانب الايسر للحوض على جانب كبير من الاهمية، فالتنين المجنح كان اله العاصفة ايام الاكاديين، كما ان الطفل العاري كان تجسيدا رمزياً لـ (آبس). والظاهر ان السوريين مزجوا الرمزين عندما نسبوا الى التنين سواقي المياه المخصصة الخاصة بالطفل، وهذا يؤكد تفسير الوليمة كظاهرة مرتبطة بديانة الخصب مع الاشارة الى مياه المطر والمياه المتجمعة تحت الارض، وهناك اشارة الى القطعان، والحماية التي تحتاجها لدوامها وخصابها من جميع قطاعات الوحوش، وهذا مانراه على سبيل المثال في الجانب الايسر، حيث الرجل يقوم بحماية الثور من الأسد.

ويضاف الى صورة رئيس الجماعة الجالس الى الوليمة، وكأسه مرفوع الى الاعلى، التمثال البازلتي الذي وجد في غير مكانه الاصلي، مقلوباً الى الامام في القطاع (أ) قرب الحصن الداخلي بالجهة الشرقية من باب المدينة، وهو تمثال دون رأس، يمثل رجلاً ملتجئاً جالساً على مقعد مكعب الشكل وممسكاً بالكأس بيده اليمنى المستندة الى ركبته.

اما تاريخه فيمكن تقديره بالاستناد الى التشابه في الثياب بينه وبين تمثال (ايشتوب ايلوم) المكتشف في ماري (تل الحريري) بينما يرى في لحيته التأثير الاكادي واضحاً، اما المقعد المربع المنحوت في جوانبه فيعيد الى الذاكرة ايام (حورابي) و(شمسويلونا) وعلى ذلك يمكن تقدير عصر التمثال البازلتي الجالس لتل مردوخ بين (2200 - 1800) قبل الميلاد، ويحتمل ان هذا التمثال، تمثالا ملكياً نذر في معبد ما.⁹

الموسم التنقيبي الثالث:

في الفترة الواقعة بين 28 آب و5 تشرين الاول 1966، تابعت البعثة الاثرية الايطالية عملها في تل مردوخ، فوضعت تقسيماً اولياً قصد منه ان يكون اساساً لمحاولة تأريخ منشآت الموقع خلال متابعة التنقيب فيه، وفق الترتيب التالي:

- **الفترة الاولى:** وهي الفترة التي تقابل سوية F من سهل العمق، وسوية حماة K وسوية مرسين - XIII) XIV) وآخر الدور الحجري النحاسي في طرسوس... وتعتبر هذه الفترة من اقدم فترات التل - حتى ذلك التاريخ - وعثر على مخلفاتها متوضعة فوق الطبقة الصخرية مباشرة في القطاع B تحت اساسات معبد المدينة المنخفضة، كما التقطت بعض الكسر الفخارية التي تعود لهذه الفترة والتي كانت متناثرة على السطح وخاصة الذروة والسور.

9- نفس المصدر السابق (ص 156 - 157).



جوانب من أعمال التنقيب في
إبلا (تصوير: حسن م.
يوسف).

- **الفترة الرابعة:** تقابل سوية حماة (G) وتعادل بشكل عام عصر البرونز الحديث. . لقد انحصرت بقايا الاستيطان في هذه الفترة بـ (الأكروبول) دون نظام، أما في المدينة المنخفضة والسور فلم تجد البعثة ما يخص العصر البرونزي الحديث. وعليه تفترض البعثة هنا أن (الأكروبول) سكن في هذه الفترة من قبل جماعات صغيرة، وعلى فترات متقطعة، ساهم المعبد الذي بقي قائماً على إبقاء الناس حوله.

- **الفترة الخامسة:** وتقابل سوية حماة (E - F) وتعادل فترة عصر الحديد الأول والثاني، في هذه الفترة اقتصر السكن في تل مردوخ على (الأكروبول) ويصبح عبارة عن قرية هامة من قرى عصر الحديد.

- **الفترة السادسة:** تعود هذه الفترة للعهدين الفارسي والهيلنستي، وتمتاز هذه الفترة بازدهار التوطن الآرامي، وتوسعه في القسم الشمالي من (الأكروبول) أو على الأرجح في بعض المناطق المنخفضة.

- **الفترة السابعة:** وتعود إلى العهد الروماني المتأخر والعهد البيزنطي، وليس ثمة بقايا من هذه الفترة، اللهم إلا بعض القبور في منطقة المعبد الكبير تحت السطح مباشرة في القطاع (D) ولكن هناك بعض المباني القليلة التي تعود إلى هذه الفترة على السطح الغربي من (الأكروبول).

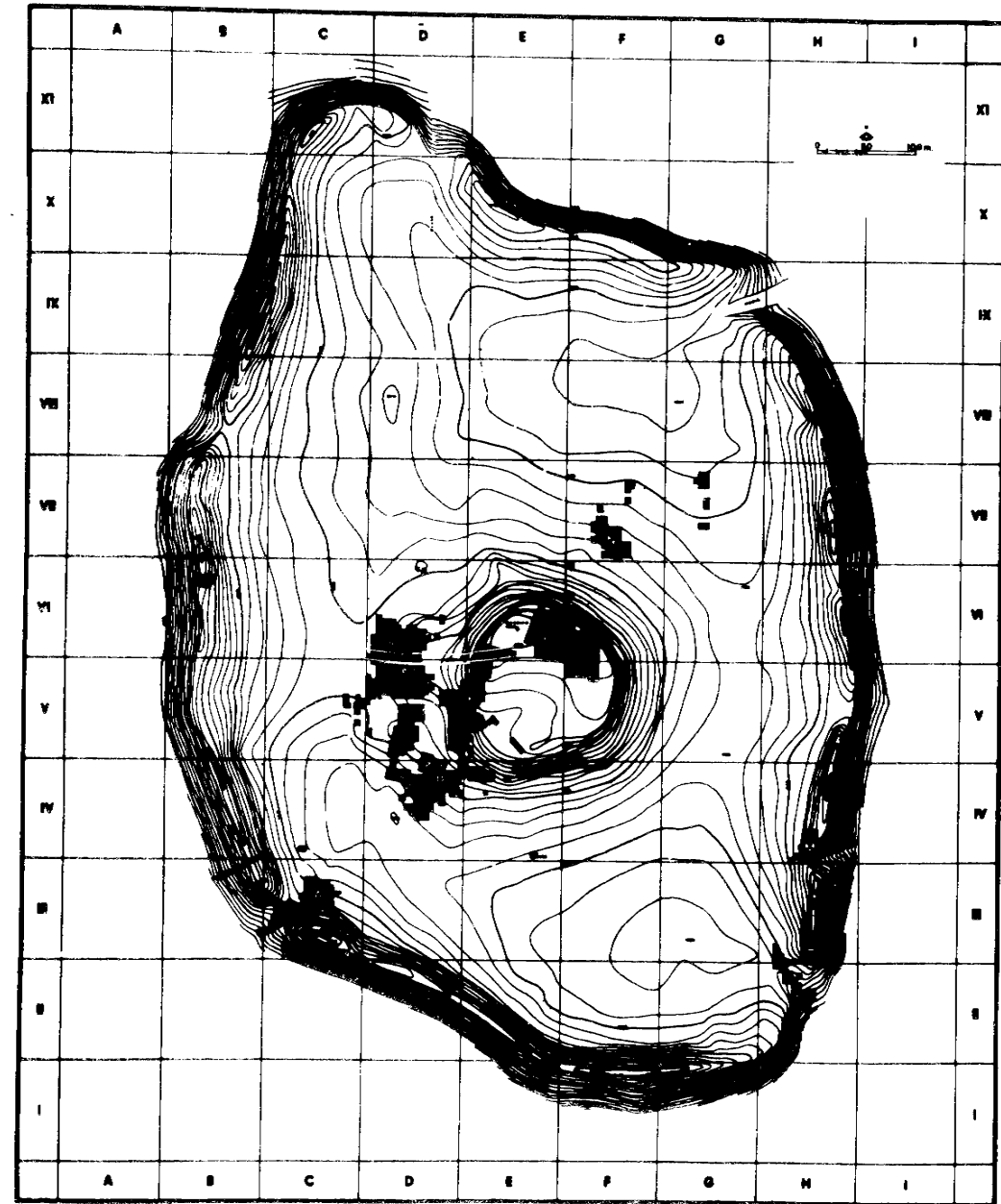
- **الفترة الثامنة:** وتعود إلى العهد الأموي، ويمكن أن يعود لهذه الفترة جدار حجري عند الباب الجنوبي حيث وجدت عليه كتابة عربية يمكن تأريخها بالعهد الأموي.¹⁰

الموسم التنقيبي الرابع:

في الفترة الواقعة بين 10 تشرين الأول و5 كانون الأول من عام 1967، تابعت البعثة الأثرية أعمال موسمها التنقيبي الرابع في الأقسام السابقة، وفي القطاع (A) الواقع عند باب المدينة الجنوبي، حيث تم كشف عدة غرف داخل الحصن الشرقي، وشقت أسبار في أعلى سويات السور، غربي الباب الجنوبي. وفي القطاع (G) استمر التنقيب في القبر - البئر دون الوصول إلى قعر غرفة الدفن. وفي القسم الغربي من (الأكروبول) تم اكتشاف معبد ثلاثي الحجرات. وفي القطاع (F) جرى سبران للتحقيق من البنية الطبقة للأكروبول في المنطقة الواقعة بين المعبد، والقصر، وفي القطاع (E) تابعت البعثة ترحيل السويات السطحية في الفترة الرابعة، كما وسعت حفريات القصر العائد للفترة الثالثة.¹¹

الموسم التنقيبي الخامس:

في الموسم الأثري الخامس الذي انجز في الفترة الواقعة بين 27 آب و16 تشرين الأول عام 1968، تابعت البعثة أعمال التنقيب في بعض القطاعات السابقة، وفتح قطاع جديد هو القطاع (G) الذي كان الهدف منه معرفة مدخل القلعة القديم، وقد توصلت البعثة من هذا القطاع إلى أهم النتائج التي حصلت عليها خلال هذا الموسم ألا وهي تحقيق هوية المدينة التي كانت قائمة في تل مردوخ.



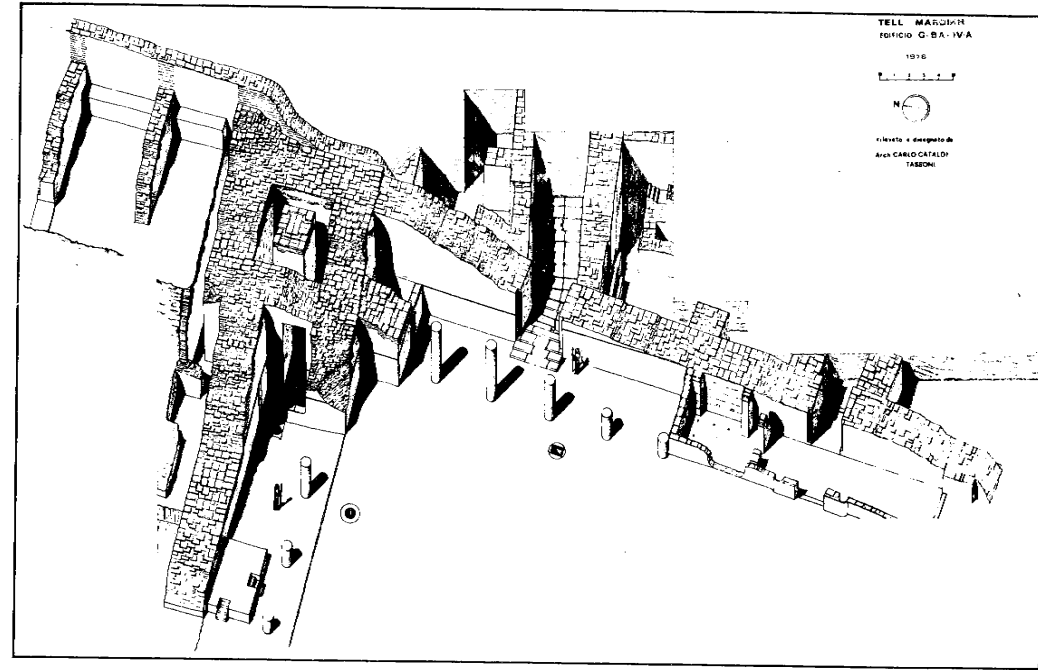
مخطط طبوغرافي لموقع إبلا -
تل مردوخ - وتظهر فيه مواقع
التنقيب الأثري (عن مانييه).

- **الفترة الثانية:** وتقابل سوية حماة (J) وسوية العمق (I - J) وسوية البرونز القديم (III - IV) عند البرات، وهذه الفترة أهم فترات تل مردوخ واغناها بالمنشآت المعمارية، والمخلفات الحضارية. . عثر عليها في القطاع الشمالي من الأكروبول تحت الأقسام الشمالية الغربية من القصر العائد للفترة (III)، وفي الأسبار التي تمت في السطح المرصوف المشيد من اللبن ليكون أساساً للمعبد الكبير، ولا يوجد ما يثير الانتباه في المدينة المنخفضة في هذه الفترة، إلا أن السور يبدو أنه يعود لهذه الفترة.

- **الفترة الثالثة:** تقابل سوية حماة (H) وسوية العمق (K). وتعادل سوية البرونز الوسيط (I - III) وجزئياً سوية البرونز الوسيط (II - B) عند البرات على الأقل. . في هذه الفترة اتسعت المدينة، ولا يعرف كم دام ذلك، ويبدو أن هذه الفترة من حياة المدينة انتهت بأزمة خطيرة، وتعرضت فيها لحريق كبير أو عمليات نهب وتدمير.

10- تقرير موجز عن الموسم
الثالث لعام 1966، بقلم
باولوماتيه، مجلة الحوليات
الأثرية السورية المجلد
الثامن عشر لعام 1968.

11- الحوليات الأثرية السورية -
المجلد العشرون - 1970
(ص 131).



القصر الملكي (ج) وتظهر فيه باحة الشرف ذات الأروقة الظليلة والدرج المهيّب. رسم توضيحي عن ماتييه.

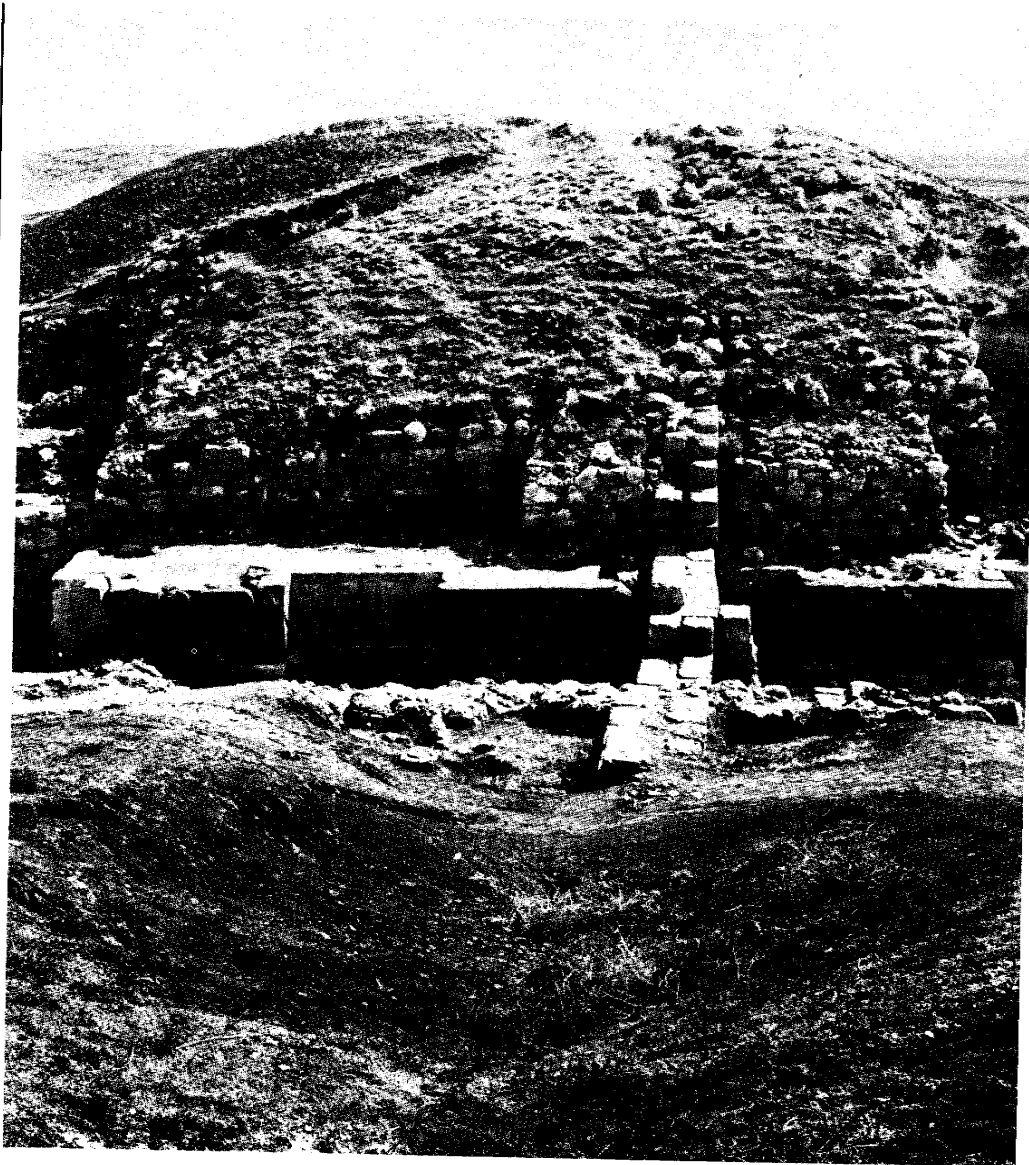
ان مسألة تحقيق هوية تل مردوخ، طرحت على بساط البحث اثر اكتشاف قطعة من تمثال مسجلة برقم (TM 68. G 61) عليها كتابة آكادية مؤلفة من 26 سطرا منها 20 سطرا في وضع حسن نوعا ما.

ان نص الكتابة الذي قام عالم البعثة اللغوي «جيوفاني بيتناتو» بقراءته، يتضمن معلومات قيمة بالنسبة لتحقيق هوية التل، فالتمثال قد اقيم امام الربة «عشتار» من قبل «ابت ليم بن اجرش حيبا» احد ملوك إبلا، وهو مؤرخ في السنة الثامنة لعشتار «منذ ان تألقت؟ في إبلا» وثمة اشكالآت لغوية في النص، ولكن ذلك لا ينفي ان اسم إبلا مؤكد في النص مرتين، والاشكال الهام هو هل المقصود في النص مدينة إبلا او المنطقة التابعة لها؟!.

في تعليقه على هذا النص يقول البروفيسور باولوماتيه¹²، من الواضح ان اكتشاف هذا النص يجعل من الممكن ان تكون إبلا هي تل مردوخ، ولكن في الوقت نفسه لا يساعدنا النص على تأكيد ذلك بشكل قاطع، اذ ليس من المستبعد ان يكون ملك إبلا قد قدم تمثالا لعشتار في مدينة اخرى، ولكن المدينة الموجودة في تل مردوخ هي من الاهمية بحيث لا يعقل ان يغفل هذا الملك اسمها، ثم ان المدينة التي كانت في هذا التل التي نحن بصدها (نحو 2000 قبل الميلاد، باستثناء المشرقة «قطنة» اكبر مدينة في سورية الشمالية الداخلية، وان معلوماتنا السابقة عن إبلا، تساعدنا على افتراض، وجودها في تلنا هذا، فضلاً عن ان المعطيات الاثرية تؤكد ازدهار منشآت التل في هذه الفترة..

ويتابع ماتييه تعليقه في الحقيقة، قبل اكتشاف هذا النص لم يفترض احد العلماء، انطلاقاً من المصادر المكتوبة، ان إبلا يمكن ان تكون جنوبي حلب، ومع ذلك فان «فايدنر» ومن ثم «غوته» قد تصورا وجود إبلا في سورية الشمالية بجوار حلب، ولكن الفرضيات تقريبا كانت تقدر ان إبلا في وادي البليخ، وذلك مذهب اليه «انغز» و«البرايت» الذي تصور ان إبلا تقع في تل البيعة قرب مدينة الرقة و«كوبر» الذي ذهب الى مذهب اليه اولبرايت.. او ان تكون في مكان ما جنوب جبال

12- المصدر السابق (ص 133).

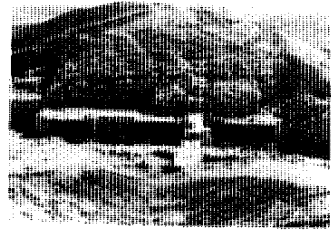


بقايا بوابة إبلا الرئيسية، بعد اعمال التنقيب.

طوروس على الحدود السورية - التركية الحالية، مع ميل في المدة الاخيرة الى تصور وجودها الى الشمال الشرقي من مدينة جرابلس، والذين يرون انها تقع في جنوب جبال طوروس هم «لاندربرغر و بل وهورست كلنكل، وفلكنشتاين».

ولكن ماهو الاساس التي استندت عليه هذه النظريات؟! يقول ماتييه: ان وجود إبلا في سورية الشمالية بشكل عام قد ورد في عدة مواضع من نصوص لصارغون الآكادي، ونارام سين، وغوديا، ومن نصوص مدينة «أوما» وهناك نص حوري هام غير منشور يذكر مدينة حلب جنبا الى جنب مع مدينة إبلا... ومن عهد الفرعون تحتموس الثالث تذكر مدينة إبلا على جدران الكرنك بترتيب غير بعيد عن مدينة حلب، وهذه الشواهد تؤكد احتمال وجود مدينة إبلا في تل مردوخ خاصة وان هذا التل لا يبعد عن حلب الا قرابة سبعين كيلومترا.

وثمة عامل هام يؤيد هذا الاحتمال، وهو ان المعطيات الاثرية في التل موضوع البحث توافق المعروف من تاريخ مدينة إبلا فمن النصوص نعرف ان إبلا كانت بين المركزين او الثلاثة مراكز



بوابة القصر الملكي في إربلا
(تصوير: مروان مسلماني)

وبوجه الاجمال يمكن القول بأن التنقيبات الاثرية في تل مردوخ حتى عام 1973 اقتصر على فترة تل مردوخ (B - A III) من العصر البرونزي الوسيط (II - I) في المدينة المنخفضة في القطاعين (B) (A) الى الجنوب الغربي من الحي المرتفع «الأكروبول»، وفي القطاع (N) الواقع في الجهة الشمالية من المدينة المنخفضة. إن التوسع الطبوغرافي المفترض في تل مردوخ في عصر البرونز القديم الرابع، لا بد ان يكون مماثلاً لامتداد المدينة في عصر البرونز الوسيط الاول والثاني، بيد ان الشاهد المادي على هذا الافتراض لم يظهر الا في تنقيبات موسم عام 1973، وبالذات في القطاع (G) من المنحدر الجنوبي للأكروبول «التل المركزي» حيث كشف النقاب عن جدران معمارية في حالة ممتازة تعود في تاريخها الى الفترة الثانية «ب - 1» من تطور تاريخ تل مردوخ، او ما يوازي عهد السلالة الأكادية في بلاد ما بين النهرين.

وعندما قامت البعثة بأعمال التنقيب في هذه المنطقة (G) الأنفة الذكر في موسم عام 1973 برزت بكل جلاء خصائص الفخار المرتبط بالشواهد المعمارية الضخمة التي ابانتها نتائج التنقيب في موسم عام 1974 ما هي الا جزء بسيط من القصر الملكي، واكدت ذلك بشكل لا يرقى اليه الشك نتائج موسم عام 1975، وان هذا البناء الضخم قد انهار بفعل حريق هائل حوله الى خربة مهجورة.

ويرى ماتيه انه اذا اخذنا بنظرية العالم «م. ج. ميلينك» التي تقول بأن المرحلة (I) من سهل العمق موازية زمنياً لعصر السلالات الاولى في بلاد ما بين النهرين، فان حادثة دمار البناء (G) او ما أطلق عليه اسم القصر الملكي، في تل مردوخ تتسجم بدقة داخل اطار جملة من الاحداث التاريخية المعروفة... فمن المرجح ان يكون الملك الأكادي «نارام - سن» وراء تدمير البناء (G) واشعال النيران فيه، علماً انه يتباهى في الكتابات التي تخلد انتصاراته بأنه فتح مدينتي «ارمانو» - حلب، و إربلا، اللتين لم يسبقه احد الى فتحهما منذ نشوء الخليفة.¹⁶

وبناء على الاكتشافات الاثرية التي تمت في موسم عام 1975، وقبيل العثور على ارسيف السجلات الملكية في البناء (G) اقترح «ماتيه» سنة 2250 قبل الميلاد لتكون تاريخاً لحادثة الدمار الذي سببه «نارام - سن» الأكادي، وقد جاءت الوثائق الاثرية، فيما بعد لتؤكد ذلك، وخاصة تلك الرقم التي اكتشفت في القصر الملكي المشار اليه سابقاً، التي اكدت بالدليل القاطع ان تل مردوخ هو «إربلا القديمة»، تلك الامبراطورية العربية السورية التي بعثت من اعماق التاريخ، جاءت لتؤكد دور سورية ووقوفها على قدم المساواة الى جانب شقيقتها مصر وبلاد ما بين النهرين في مسيرة الحضارة الاساسية في تاريخ المشرق العربي القديم.

بالاستناد الى نتائج الاعمال الاثرية، المنشورة - حتى الان - نستطيع تأريخ عصور الاستيطان في تل مردوخ - إربلا - على النحو التالي:

- 1 - مردوخ I حوالي 3500 - 2900 قبل الميلاد - (فجر التاريخ).
- 2 - مردوخ II A حوالي 2900 - 2400 قبل الميلاد (الدور البرونزي القديم) I - III. او ما يعرف باسم فجر الدور السوري الاول.

الكبيرة بين مدينة ماري والبحر المتوسط، وقد استولى عليها ملوك آكاد في طريقهم الى هذا البحر، وان غوديا حاكم مدينة لاغاش استجلب الخشب الثمين من منطقة إربلا، وان هذه المدينة كانت زاهرة في عهد سلالة أور الثالثة، وانها ذكرت في النصف الاول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وذلك في نصوص كبادوكيا. ولكن في عهد حمورابي زالت أهميتها السياسية، من مسرح الحوادث بحيث انها لم تذكر في المحفوظات الدبلوماسية لمدينة ماري، ومع ذلك فقد بقيت لها بعض اهميتها اذ انها تذكر في المحفوظات الادارية لمدينة آلالاخ «تل عطشانة» بين 1750 و 1650 قبل الميلاد، الامر الذي يدل على انها دخلت في منطقة نفوذ مملكة حلب.¹³

13- المصدر السابق (ص 134).

ويدل ما ذكر عنها في نصوص «آلالاخ» وبوغازكوي والكرنك انها بين 1500 و 1200 ق.م كانت مركزاً ثانوياً لا يتمتع بأية أهمية سياسية، ونشير بأن الجدل كان على اشده بين العلماء في تلك الفترة، حول تحقيق هويات المدن القديمة، فالإضافة الى الاسماء التي ذكرت هناك العالم «سيدني سميث» الذي قام بنسخ ونقل وترجمة معظم النصوص العائدة للأسرة الأكادية، والتي عثر عليها في أور، ابدى ملاحظات على المشاكل الجغرافية، فكانت هناك اسماء كثيرة موضع جدل مثل: ماري - يارموتي - إربلا - غابة الارض - جبل الفضة - وغيرها... وحيث ان «يارموتي» حسب رسائل تل العمارنة كانت ميناء بحريا الى الجنوب من بيبيلوس، وحيث ان طريق صارغون الأكادي من حملته كما يشير سيدني سميث، نفسه من ماري الى ميناء بحري جنوب بيبيلوس، ومن هناك الى جبال الامانوس مروراً بإربلا التي كانت منطقة جبلية... ومن هذه الحقائق ينتهي «سيدني سميث» ان إربلا تقع في المنطقة الواقعة بين جبيل والاسكندرونه ليس بعيداً عن الساحل، ومرة اخرى يصل سميث نفسه الى نتيجة مؤكدة، حيث يعتبر ان مقاطعتي ارمان «أرمانو» - حلب - وإربلا تمتد من الفرات الى البحر المتوسط، هاتين المقاطعتين اللتين اتحدتا تحت راية ملك ارمان «ريد آداد». وقد قبل العالم «لوي» هذه النتائج، ولكنه اضاف اليها بعض التفاصيل العامة حيث ذكر إربلا فوق جبل عاروده.

وكان العالم «جلب» قد اقترح وجود إربلا بجوار مدينة كلس الحالية الواقعة على الحدود السورية الشمالية بالقرب من حلب، اعتماداً على وجود «إربلا» مقترنة بكلس، في نص يعود الى الفترة الاشورية المتوسطة.¹⁴

لقد خلق اكتشاف تمثال «ابت - ليم بن اجرش - حيبا» والنص المكتوب عليه، شعوراً حماسياً كبيراً لدى العلماء والعاملين في تل مردوخ، فحين قرأ العالم البلجيكي المعروف «اندرية فينيه» تلك العبارات التي تذكر إربلا، قال لرئيس البعثة الايطالية «ماتيه»: اذا لم يكن هذا التمثال مجلوباً من موقع آخر، عاشت فوقه مملكة إربلا، فهذا يعني ان ههنا على وجه التحديد، موقع إربلا، تلك المملكة المفقودة، وانك في هذه الحالة تكون قد عثرت على كنز عظيم ووقعت على كشف باهر.¹⁵

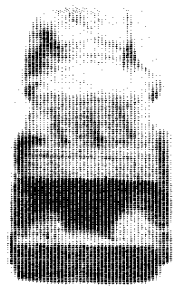
والحق انه مر زمن استغرق عدة سنوات كان خلاله بعض العلماء يرون ان هذا التمثال المكتشف قد يكون مجلوباً الى هذه المنطقة من ربوع اخرى، وانه ربما كان مهدياً الى واحد من ذوي الشأن من مكان اخر غير موقع تل مردوخ، اذ ان اكتشاف التمثال في هذا التل لا يعني انه في موقعه الاصلي... وكانت هذه الفترة حافلة بالآراء وشهدت انقسام العلماء بين نافي ومثبت.

14- حضارة اربلا، د. شوقي شعث، مجلة التراث العربي، العدد الثالث لعام 1980 (ص 208).

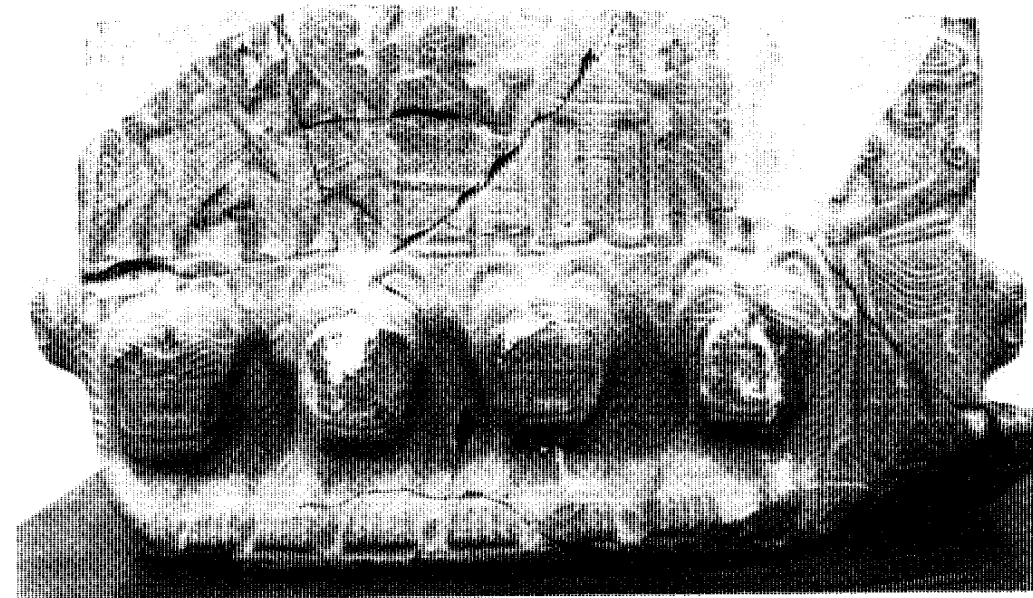
15- من محاضرة القاها المهندس عبد الله الحجار في بهو نقابة المهندسين بحلب في شباط 1977، اوردها الدكتور عمر الدقاق في كتابه، اربلا منعطف التاريخ (ص 12).

16- تل مردوخ، اربلا، اقدم مملكة عامرة في سورية، تأليف، باولوماتيه، ترجمة: قاسم طوير منشورات جامعة روما عام 1978 (ص 11 - 10).

- 3 - مردوخ IIB1 حوالى 2400 — 2250 قبل الميلاد (الدور البرونزي القديم) IVA. او ما يعرف باسم فجر الدور السوري الوسيط.
- 4 - مردوخ IIB2 حوالى 2250 — 2000 قبل الميلاد، (الدور البرونزي القديم) IVB او ما يعرف باسم فجر الدور السوري المتأخر.
- 5 - مردوخ IIIA حوالى 2000 — 1800 قبل الميلاد (الدور البرونزي الوسيط) I او ما يعرف باسم الدور السوري القديم الاول.
- 6 - مردوخ IIIB حوالى 1800 — 1600، (الدور البرونزي الوسيط) II او ما يعرف باسم الدور السوري القديم.
- 7 - مردوخ IVA 1600 — 1400 قبل الميلاد (الدور البرونزي الاخير) I. او ما يعرف باسم الدور السوري الوسيط الاول.
- 8 - مردوخ IVB حوالى 1400 — 1200 قبل الميلاد (الدور البرونزي الاخير) II. او ما يعرف باسم الدور السوري الوسيط الثاني.
- 9 - مردوخ VA حوالى 1200 — 900 قبل الميلاد (الدور الحديدي الاول). او ما يعرف باسم الدور السوري الحديث.
- 10 - مردوخ VB حوالى 900 — 720 (الدور الحديدي الثاني). او ما يعرف باسم الدور الارامي والحثي الجديد.
- 11 - مردوخ VC حوالى 720 — 535 قبل الميلاد (الدور الحديدي الثالث). او ما يعرف باسم، الارامي - الحثي الجديد أيضاً.
- 12 - مردوخ VIA حوالى 535 — 325 قبل الميلاد (الدور الفارسي).
- 13 - مردوخ VIB حوالى 325 — 60 قبل الميلاد (الدور الهيلينستي).
- 14 - مردوخ VII حوالى 300 — 700 ميلادي (الدور الروماني المتأخر والبيزنطي).



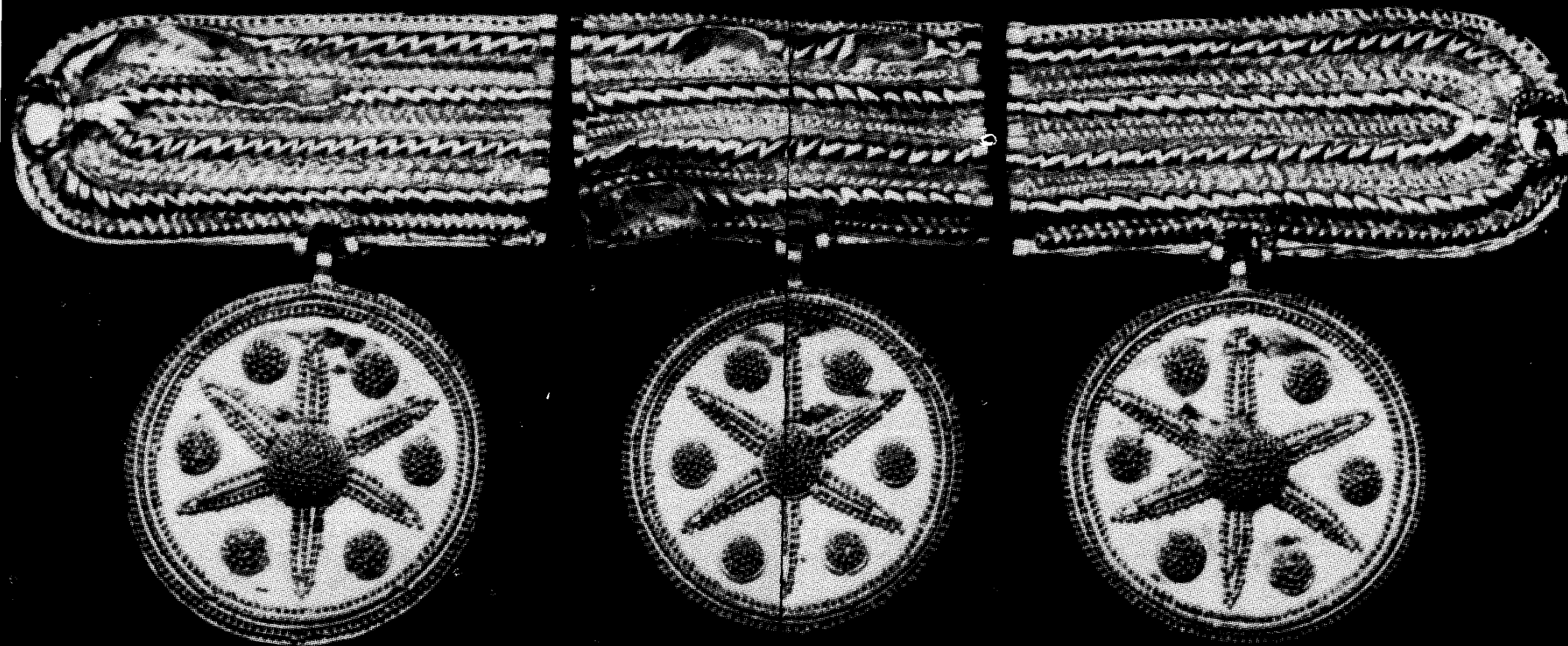
تمثال ملك بوضعية الجلوس. بدون رأس. (صورة أمامية. وصورة جانبية). عثر على التمثال قرب البوابة الجنوبية الغربية لمدينة إبل. صنع من حجر البازلت (ارتفاع 102 سم. مع القاعدة) يعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين (2000 - 1750) قبل الميلاد.



منحج حجري من إبل من مقتنيات المتحف الوطني بدمشق (ت: مروان مسلماني).

DA EBLA A DAMASCO

Diecimila anni di archeologia in Siria



Electa

الكنز
العظيم

أثار إبلا على خلفية الكتب
الآثرية العالمية.

26 امبراطورية إبلا

امبراطورية إبلا 27

ذكرنا سابقاً ان اكتشاف جزء من التمثال البازلتي عام 1968 الذي يحمل نقشاً يدل على أنه تمثال ملك إبلا (أبيت - ليم بن اجرش - حيبا) المقدم للربة عشتار ، وكان هذا التمثال بمثابة المفتاح الذي قاد علماء الآثار الى اكتشاف موقع إبلا....

وفي خلال عامي 1973 — 1974 عثر في الموقع نفسه على ألواح فخارية قليلة ، اعتبرت مؤشراً لوجود معلومات تفصيلية متوقعة قد ينطوي عليها ذلك التل ، فعند قيام البعثة بالتنقيب في منحدر التل ، في عام 1974 ، ظهرت آثار ومعالم القصر الملكي ، وبين انقاضه تم العثور على اثنين وأربعين لوحاً طينياً منقوشاً بالخط المساري ، تتضمن معلومات ذات طبيعة ادارية واقتصادية وتجارية ، تعالج مواضيع المعادن والاختشاب والنسيج فيما عدا الرقيم الذي يحمل الرقم 120 C . 14 TM الذي كان عبارة عن لوح مدرسي يضم اسما كانت شائعة في إبلا¹.

وعلى الرغم من ان الحروف المحفورة على لوحات الاجر القليلة ، كانت مسمارية إلا أنها انطوت في الوقت نفسه على لغة غريبة ، وحين تدارسها العلماء أبدوا عجبهم منها ، لان البعثة الاثرية الايطالية لم تكن على ثقة تامة بنوع اللغة التي كانت متداولة في إبلا ، والتي كتبت بها هذه الألواح ، وكان هناك اعتقادان ، واحد يميل الى اعتبار هذه اللغة ، أكادية ، أو قريبة من الأكادية ، وآخر يميل الى اعتبارها عمورية . ولم يكن امر البت بهوية هذه اللغة ممكناً قبل اعطاء فرصة كافية للعالم اللغوي «جيوفاني بتيناتو» لدراسة هذه الكتابات.

لقد انتهى بتيناتو الى أن هذه اللغة تختلف عما عرف سابقاً من لغات «سامية» في منطقة ما بين النهرين كالأكادية والبابلية ، والأشورية ونحوها ... وأضاف بأنها مغايرة غير معروفة ، ولا بد أن شعباً من الشعوب «السامية» كان سباقاً الى اقامة حضارة زاهرة في حقبة تاريخية قديمة ، وهو الذي كان صاحب هذه اللغة الغريبة التي قد تكون الاصل لما عرف فيما بعد بالكنعانية ، هذه اللغة التي تعتبر الأوغاريتية منحدرتها منها².

غير أن فكرة «بتيناتو» لم تحظ بقبول مجموعة من علماء التاريخ والآثار واللغات القديمة في مؤتمر لغوي عقد في «هايدلبرغ» بألمانيا الاتحادية³.

ثم حدث ذلك يوم في مطلع تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1975 ، أن عاملاً في موقع التنقيب ، كان يزيح التراب من الارض ، هي بقايا غرفة من غرف القصر الملكي ، فشهد فجوة صغيرة في تلك الارض ، ومن تحتها أمكن رؤية حجرة واسعة ، وعندما قام المنقبون بتوسيع هذه



1 - حضارة إبلا ، د . شوقي شعث ، مجلة التراث العربي ، العدد الثالث ، السنة الاولى - تشرين الاول 1980 ص 196.

2 - إبلا منعطف التاريخ ، د . عمر الدقاق (ص 21 - 22)

3 - المصدر السابق ، نقلا عن التقرير الذي اعده الاستاذ محمد وحيد خياطة لمجلس جامعة حلب في شباط 1977.

الفجوة وجدوا أنفسهم في بهو واسع يحتوي الآلاف من ألواح الآجر ، وقد تكدس بعضها فوق بعض بصورة منتظمة ، ومنذ هذه اللحظة التاريخية الحاسمة سطعت الحقيقة الباهرة التي قطعت باليقين كل الشكوك ، وأثبتت على نحو واضح أن موقع (تل مردوخ) الحاضر هو نفسه موقع إبلا القديمة ، تلك الامبراطورية المفقودة التي ظلت تائهة عبر احقاب الزمان ، ثم قدر لها ان تبعث الى الوجود ، وتطل على الدنيا ، نافضة عن نفسها غبار الدهور⁴.

4 - المصدر السابق (ص 22 - 23) وجريدة الثورة 29 ايلول 1977.

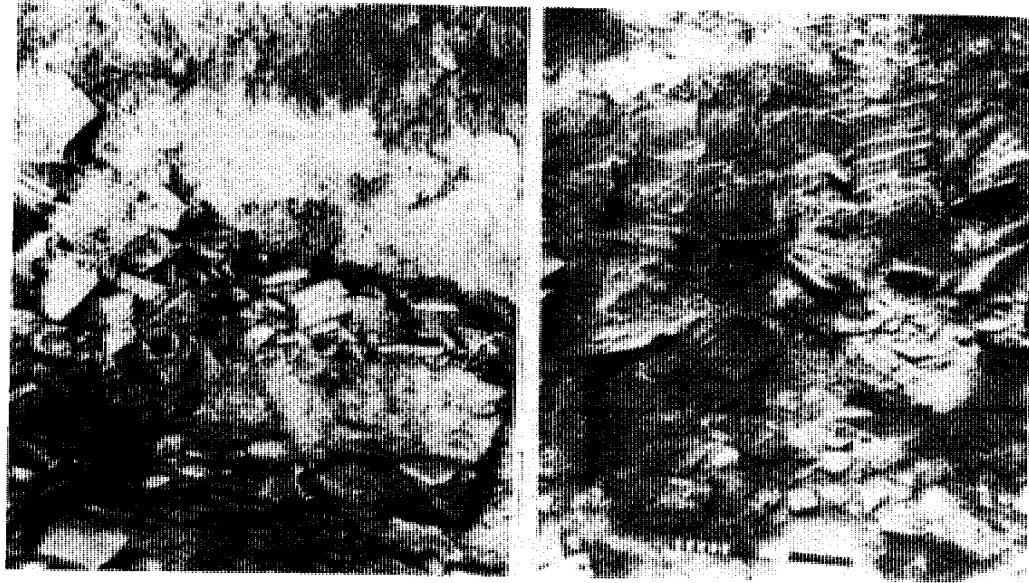
لقد كان لهذا الاكتشاف أثره الكبير على جميع أعضاء البعثة الإيطالية التي شهدت الحدث ، فها هي زوجة ماتيه تصرح بنشوة عارمة : عندما رأينا الغرفة ، ووقعت عيوننا على كومة من الألواح تملكتنا شعور هستيري ، انها تشبه تماماً المكتبة التي اغلقها أمينها البارحة في الساعة الخامسة⁵ !
وهاهو باولوماتيه يسرح بتقديم تقريره الاول عن اكتشاف المكتبة الملكية في إبلا فيقول : تتألف المكتبة الملكية من عدد ضخم من الألواح الطينية ، وهي رقم مسمارية رتبت على رفوف خشبية بصورة دقيقة ، وقد صنف بحسب مواضيعها ، ويبلغ عدد هذه الرقم خمسة عشر ألف رقيم ، اكثرها بحالة سليمة ، وبعضها محطم تم ترميمه ، أو بقيت كسر لم يتمكن الفنيون من ترميمها ، وبصورة اكثر دقة فإن الوثائق تتألف من 16500 رقياً تقريباً ، هي رقم كاملة أو كسر ، سجلت في قيودنا بالتسلسل ، منها 1800 رقيم كامل ، و 4700 جزء رقيم ونحو عشرة آلاف كسرة كبيرة أو صغيرة ، وهكذا فإن مجموع الرقم التي يمكن ان نعتبرها متكاملة لايتجاوز الاربعة آلاف رقيم ...

5 - المصدر السابق (ص 30 - 31) علماً بأن السيدة غابريلا ماتيه ، عالمة آثار معروفة ، لها عدة ابحاث ودراسات عن إبلا ، وتشارك زوجها اعمال التنقيب والكشف الاثري منذ سنوات طويلة.

لقد تبين أن هذه المكتبة هدمت مع القصر ، وأحرقت ، وقد بدا تأثير الحريق على الخشب الذي اضحى فحماً ، كما بدا على الرقم ذاتها التي اصبحت اكثر صلابة ، وقد تأكد ماتيه ، أن هذا الحريق تم بفعل (نارام - سن) الملك الأكادي عام 2250 قبل الميلاد ، والذي يفخر في كتاباته : إني أنا الذي فتح إبلا وأرمانوم (حلب) ولم يكن بإمكان أحد قبلي ان يقوم بهذا العمل⁶.
ويحدد ماتيه أهمية هذه الرقم في تقريره فيقول : انها لا تحوي نصوصاً تاريخية كالكتابات النذرية او التذكارية أو الوقفية ، التي توزج في ثنايا سطورها أحياناً بعض الاحداث السياسية الراسخة في الذاكرة ، بل تتألف من عدد كبير من النصوص المعجمية ، وعدد من النصوص الادبية ، الى جانب النصوص الإدارية والقضائية ، كذلك فإن القسم الاعظم من تلك النصوص عبارة عن مسك الدفاتر وتسجيل الحسابات التي تتعلق بشؤون المال والاقتصاد الى جانب قسم محدود نسبياً من النصوص الشرعية . أما النصوص التي تعالج مسائل سياسية فهي نادرة جداً ...

6 - نشر نص التقرير في كتابه : EBLA AN EMPIRE REDISCOVERED , New York, 1981

ويتابع ماتيه تقريره : لقد عثرنا على هذه السجلات الملكية في احدى غرف القصر الواقعة عند الرواق الشرقي الملاصق للمدخل المؤدي الى الجناح الاداري . ان جميع السجلات مسطرة بالخط المساري الذي تطور في بلاد الرافدين نحو 3000 قبل الميلاد ، ليحل محل الاشارات السومرية ، كوسيلة للتعبير عن الافكار . بيد أن اللغة التي كتبت بها وثائق تل مردوخ ، هذه هي لغة «سامية» غربية عريقة في القدم ، منها بعض النصوص التي تتعلق بالتجارة الدولية ، مثل سجلات مالية وايصالات لمدفوعات أو اشعارات قبض الجزية والرسوم والضرائب ، وايصالات توريد واستلام بضائع ، أو أنها تتعلق بأوامر ملكية تشرح سلوك الحكومة وتصرفاتها ، أو هي تقرير من موظفي الملك



الرقم المسمارية الابلائية في لحظة الكشف العظيم.

ووجهاء البلاط حول مسائل الدولة ولعل من اهم اللوحات الكتابية المكتشفة ، تلك اللوحات التي تصف لنا الحياة التعليمية ، وتتضمن بعض تلك اللوحات قوائم معجمية لمفردات لغوية شبيهة بالمعاجم الموسوعية المعروفة في عصرنا الحديث.

وتتألف تلك القوائم من مفردات سومرية مع مايقابل معناها من المفردات التي يتداولها أهالي إبلا (تل مردوخ) في النصف الثاني من الألف الثالث ، فضلاً عن اللفظ الصوتي للمفردات السومرية في بعض الاحيان.

وتتجلى القيمة الاساسية للسجلات الرسمية لدولة إبلا في انها تمثل عنصراً رئيساً وعضوياً لوثائق دولة كبرى تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، فالنصوص تؤلف وثائق وزارتي التجارة والمالية في إبلا ، تغطي فترة زمنية مدتها نحو 150 سنة أي بين 2400 و 2250 قبل الميلاد ، وبالتالي ترسم لنا صورة كاملة ومنسجمة للإدارة التجارية والمالية في إبلا خلال الألف الثالث ق.م.

تبدو اللوحات بأحجام مختلفة وأشكال متنوعة فمنها الصغير ، والمستدير ، الذي لايتضمن إلا بضعة أسطر ، ومنها الكبير والمستطيل الذي يحوي ثلاثة آلاف سطر ، ويصل طول أكبر لوحة فيها نحو 40 سم ، ويبلغ طول التوسط منها نحو 25 سم ، وكانت اللوحات المكتشفة في قاعة الاستقبال الكبرى ، منسقة فوق رفوف خشبية يبلغ عمقها 80 سم وارتفاعها 50 سم ، وتشبه عملية التنسيق هذه ما هو معروف في عصرنا هذا لدى المكتبات العصرية في كثير من الوجوه.

ان الحالة الجيدة للكتابة المسطرة على هذه اللوحات الطينية التي قساها الحريق الذي تعرضت له المكتبة ، تعتبر فريدة من نوعها وتجعلها أحد أهم مكتشفات هذا القرن⁷.

لقد أطلق على هذه اللغة اسم اللغة الابلائية ، تبعاً لمدينة إبلا (تل مردوخ) التي وجدت فيها الوثائق ، مع الإشارة الى ان هذه اللغة كانت تستخدم الاشارات السومرية في مجالات واسعة ، كما هو الحال في اللغة الأكادية القديمة ، ومن المؤكد ان اللغة الابلائية كانت لغة البلاط الملكي في

7 - وثائق من إبلا ، د. عفيف بهنسي ، (ص 23 - 24) ، ومملكة إبلا - أقدم مملكة عامرة في سورية ، تأليف : باولوماتيه ، ترجمة : قاسم طوير (ص 17 - 18).

8 - باولوماتيه ، المصدر السابق
(ص 20)

إبلا عام 2400 قبل الميلاد ، لكن هذا لا يعني ان هذه اللغة قد ولدت في 2400 قبل الميلاد ، بل لا بد ان تكون قد تركت وراءها من التراث الادبي أقم بكثير من هذا التاريخ⁸.

أما «جيوفاني بيناتو» عالم اللغات القديمة في البعثة الاثرية ، فقد قام بتصنيف محتويات هذه الرقم في زمر :

1- نصوص تجارية مالية اقتصادية : وتنطوي على بيانات واشعارات وايصالات وسجلات ، ونحو ذلك ، مما يتصل بتسليم البضائع والسلع المتبادلة مع البلدان المجاورة ، وثمة عدد قليل من الرقم يتصل بشؤون الزراعة وتربية الماشية.

2- نصوص رسمية ادارية سياسية قضائية : وتنطوي على مراسلات الدولة والأوامر الملكية والمراسيم والانظمة ، وما يتصل بسياسة الدولة وأعمالها وتصرفاتها ومعاهداتها الخارجية ، ثم قوائم باسماء المدن والمناطق الخاضعة لإبلا واشعارات بالجراية المفروضة ، وبالرسوم والضرائب ، وكذلك تقارير لقواد وموظفين وقادة ووجهاء البلاط ، ومدونات تحدد مخصصات الكهان المالية ، وغير ذلك من الشؤون ...

3- نصوص دينية - ميثولوجية : وتتضمن عبارات لأدعية ورقية وتعاويذ وتعازيم سحرية وأناشيد ألوهية ، وتتسم بطابع غيبي في ظل الاعتقاد بتعدد الأرباب.

4- نصوص لغوية معجمية : وتضم نصوصاً لفظية تعنى بالترجمة لقوائم من الالفاظ تتضمن اللغتين السومرية والابلائية ، ونماذج أخرى لتدريبات ووظائف ذات طابع تعليمي.

5- نصوص أدبية : وهي قليلة العدد ، وفيها أمثال وحكم وملاحم وأساطير ومأشابه ذلك⁹.

ونظراً للأهمية البالغة التي تنطوي عليها هذه النصوص المسماة المكتشفة من ألواح إبلا ، وما يمكن ان تسفر عنه من حقائق تاريخية جديدة ، ومثيرة فقد توقع علماء الآثار والتاريخ واللغات القديمة التي تقلب الكثير من المفاهيم السائدة ، وتغير الكثير من معلوماتها عن حضارة الالف الثالث قبل الميلاد في المشرق العربي القديم

لذلك نرى باولوماتيه يقول ، موضحاً الدور التي لعبته إبلا في تاريخ المشرق العربي القديم في الفترة التي سطرت فيها هذه الرقم المسماة التي تم اكتشافها : لقد لعبت إبلا دوراً أساسياً في مناطق الدولة الاكادية في بلاد ما بين النهرين ، فالنصوص التي تحويها وثائق (تل مردوخ) تسرد لنا انتصارين حققتهما دولة إبلا على دولة ماري (تل الحريري). كما تكشف لنا الوثائق نفسها ، ان سبب النزاع بين الدولتين هو السيطرة على طريق التجارة الذي هو نهر الفرات ، حيث تقع على ضفافه مدينة ماري ، أما الدافع الاساس للصراع بين إبلا وآكاد ، فلا بد انه يكمن في أمر السيطرة على تجارة المعادن المستخرجة من الاناضول ، وتجارة الخشب المستخرج من غابات الساحل السوري ، وكلا المادتين كانتا القاعدة الاساسية لحضارة ومدينة ما بين النهرين ، وفي اعقاب هزيمة شهدتها إبلا على يد صارغون الآكادي ، عادت إبلا ثانية لتهيمن هي نفسها على آكاد ، وعندما حاولت إبلا سد المنافذ على آكاد في عقردارها في بلاد ما بين النهرين ، كان رد فعل الملك الآكادي (نارام - سن) عنيفاً وقد تجلّى ذلك بغزو دولة إبلا ، وتدمير المدينة وحرق قصرها.



رقم إبلا المتنوعة الأحجام لحظة الاكتشاف التاريخية.

وتجلى أهمية وثائق إبلا ، في انها تضيف صفحة ناصعة للغاية الى تاريخ سورية وحضارتها الرفيعة في فترة سحيقة من القدم ، خاصة واننا كنا نعتقد في السابق (على حد تعبير ماتيه) بأن سورية لم تصل الى هذا المستوى من الرقي الذي أصبحت تؤكده لنا وثائق تل مردوخ الآن ، فمثلاً ، كانت إبلا بين 2400 - 2250 ق . م مركزاً لقوة كبرى هيمنت فترة طويلة من الالف الثالث قبل الميلاد على آسيا الامامية ، ووصل الامر الى ان دولة آكاد العظمى ، قد اضطرت يوماً الى دفع الجزية الى ملوك إبلا ، كذلك كانت إبلا عاصمة لدولة رفيعة راقية ، وفي مقدمة فتوحاتها الفكرية ، نذكر نظرتها للدولة العالمية التي تبناها وحققها الملك الآكادي (نارام - سن) فيما بعد ، وتطويرها وتطبيقها لنظام الكتابة المسماة للتعبير عن لغة سامية ، وأخيراً وليس آخراً فإن كل مظاهر العمران والبناء التي كشف عنها في تل مردوخ ، تبين لنا أوجهاً أصيلة ومستقلة بشكل أساسي ، وتجعل من سورية على الصعيد الحضاري مثلها هو على الصعيدين السياسي والاقتصادي بلداً يحتل المركز الرئيسي الثالث للحضارة في الشرق الأدنى ، جنباً الى جنب مع بلاد ما بين النهرين ووادي النيل¹⁰

10 - وثائق إبلا ، د . عفيف بهنسي - دمشق 1984 (ص 29 - 30)

أصداء الاكتشاف:

histoire et
archeologieEN SYRIE
EBLA
RETROUVEE

غلاف مجلة تاريخ واثار في عددها الخاص عن إبلا.

ما ان تم اعلان الكشف عن مكتبة الوثائق الملكية في إبلا ، حتى تسابقت صحف العالم ووسائل الاعلام العالمية لنشر هذا الحدث الهام ، وكثيراً مارافق ذلك بعض المغالاة التي لا تستند الى ظل من الحقيقة ، مثل اكتشاف حصان ذهبي مزعوم ، سوف يرفع كثيراً قيمة الليرة السورية ، علماً بأن قيمة ارشيف إبلا التاريخية والأثرية ، اكبر بكثير من حصان ذهب ؟.

لقد افردت كبريات صحف العالم ومجلات مطولة ومصورة ، للحديث عن إبلا ، فنشرت «التايم» الامريكية دراسة بعنوان «محفوظات عن دولة مجهولة اكتشفت في سورية» وأوردت الفيجارو «الفرنسية» مقالة بعنوان «أقدم المحفوظات في العالم اكتشفت في سورية أما لوموند الفرنسية فقد أوردت مقالة بعنوان «الواح فخارية مكتشفة في سورية تثير ثمة تساؤلات» . وفي صحيفة هيرالد تريبيون نشرت مقالة تحت عنوان «الكتابة المسماة تكشف الحجاب عن لغة في موقع في سورية» ونشر في صحيفة واشنطن ستار مقالة ، تطرقت الى موضوع إبلا ، وتساءلت كيف يستطيع التاريخ أن يهمل مدينة قيمة ذكر بأنها دامت 800 سنة وانها كانت تنافس معاصريها من الحضارات مثل : حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر كأمر ظاهر وجلي.

كما أفردت صحفنا المحلية والعربية صفحات مطولة للحديث عن اكتشاف إبلا ، وقامت بعض الشركات بانتاج الافلام السينمائية والتلفزيونية عن هذا الحدث العظيم¹¹.

تخرصات صهيونية:

ولكن ماهي قصة الضجة الاعلامية المفتعلة التي أثارها الصهيونية حول ، اكتشافات إبلا ؟!

حول هذا الموضوع ، نشير بأنه كان من المفترض عند هذا الحدث العظيم في تاريخ الكشوفات الاثرية أن يتوقف الانسان بانتظار الدراسة العلمية الدقيقة لمحتويات الرقم المسماة ، وهذا الأمر ، كما نعرف يحتاج الى دراسة متأنية وصبر وجهد طويل

ولكن الذي حدث غير هذا ، فقبل ان تستكمل الدراسات العلمية لهذه الرقم المكتشفة ، ظهرت على الساحة الاثرية تخرصات صهيونية مفضوحة تريد أن تستغل هذا الاكتشاف الضخم لمصلحتها ، مستفيدة من عطف العالم على التوراة ، ومن رغبته للتأكد من أحداث التوراة من خلال الكشوف الاثرية ، فقد كان ثمة زعم آمن به الناس قبل تقدم الكشوف الاثرية ، ان التاريخ القديم مكتوب في التوراة وحسب ، وان مهمة التنقيب الاثري هي التأكد من هذا التاريخ على هدى التوراة ، وكان هم الصهاينة المستمر أن يبحثوا في اعماق الارض عن أي اثر يسعفهم لتأكيد أوهامهم

الاسطورية ، ولكن ثمة اتجاهات علمياً كبيراً يتعاضم يوماً بعد يوم يكشف زيف الخلفية التاريخية التي تعتمد عليها الصهيونية لتبرير وجودها وأطماعها¹²

وفي الواقع أن هذه الزوابع الاعلامية ليست جديدة علينا ، فقد كان لاكتشاف ماري (تل الحريري) نصيب من هذه التخرصات أيضاً ، إذ حاول البعض ربطه بالآباء القدماء الذين ذكروا في العهد القديم ، كما تعرضت ملاحم اوغاريت (رأس الشمرة) أيضاً لمحاولات تشويه وربط توراني ، وقضية (فيرولو) مازالت ماثلة للعيان ، ولكن ثبت فيما بعد بطلان هذه الادعاءات وبدأت تظهر في الجامعات تيارات علمية تدعو الى فصل علم الآثار ، عن علم الآثار التوراتي المرتبط مباشرة بما يدعى «بالمدرسة التوراتية» والتي تحاول استغلال المعطيات الاثرية وخاصة الكتابية منها للتدليل على جذور اليهود من الفرات الى النيل.

بداية التخرصات الصهيونية ، رفع رايتها «جيوفاي بيتيناتو» اللغوي المختص بقراءة النصوص لدى البعثة الايطالية ، وهو كاهن سابق ، لديه على سذاجته الخبيثة ، نزعة مباهاة ، ورغبة في تعجيل الشهرة ، فأخذ ينشر التصريحات «ذات اليمين ، وذات الشمال» خاصة خلال جولته في الولايات المتحدة الامريكية ، وما أن يسأل عن حدث أو اسم إلا ويزعم أنه موجود في رقم إبلا¹³

وتوج هذه الادعاءات بنشر دراسته في مجلة «الآثاري التوراتي» الصادرة في الولايات المتحدة الامريكية ، العدد 39 لعام 1976 «تحت عنوان» الوثائق الملكية في تل مردوخ (إبلا) ، يشير فيها بوضوح الى علاقة وشيجة بين إبلا والتوراة ، وقدم معلومات غريبة للغاية ، وقع خلالها بتناقضات غير منطقية وبعيده كل البعد عن الحقيقة العلمية¹⁴

وبعد ذلك تتابعت المقالات التي تعزف على نفس المنوال ، ونشر بعضها في «مجلة الآثاري التوراتي» التي يرأس تحريرها داود فريدمان ، وفي بعض المجلات الامريكية والأدبية المأجورة ... لقد تفاقمت التأويلات الخاطئة لدرجة غريبة

يقول داود فريدمان في مجلة الآثاري التوراتي : «ان ظهور اسماء مثل ابرام وأدامو واشمع ايل ومي كايل ، يوفر لنا الدليل على تحديد تاريخ ابراهيم الخليل في الألف الثالث قبل الميلاد ... بل وذهب الى استنتاجات غريبة مثل « انه من المحتمل ان تكون القدس هي إبلا ذاتها» ووجود اشارات في إبلا الى «اورشاليم» وغير هذا كثير

في معرض الرد على هذه الاكاذيب والتفسيرات الخاطئة والمسرعة ، نشير الى رأي الدكتور عدنان البني¹⁵ ، حول موضوع الكتابة المسماة التي تحتل تأويلات ، وتقبل الكثير من الهوى مالم يكن هناك رادع من أمانة.

ان الاستاذ «روبرت بيغس» استاذ الآشوريات في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو ، والاختصاصي الذي يعمل منذ عام 1963 على رقم مشابهة لرقم إبلا مكتشفة في (ابو صلابيخ) بالعراق الشقيق¹⁶ ، يؤكد على صعوبة قراءة وفهم النصوص المسماة ، وتعقيد طريقة الكتابة في إبلا فيقول :

12 - في العالم مدرستان متميزتان لدراسة آثار وتاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم (مصر وبلاد الشام والرافدين والأناضول وايران) . الاولى : دينية وتعترف بالمدرسة التوراتية والثانية علمانية ، الاولى تنطلق من أحكام مسبقة (الكتاب المقدس) وتبحث عن أدلة مادية لاثبات تاريخية القصص الدينية وشخصياته.

- والثانية مجردة من أي حكم مسبق ولا تبغي إلا البحث العلمي واستقصاء الحقائق مهما كانت ، الاولى ، ضيقة الأفق ، والثانية واسعة على امتداد الافاق الانسانية ، (قاسم طوير - إبلا - ص 61).

13 - مجلة التراث العربي ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، لعام 1981 ، الكتابة المسماة و إبلا ، د . عدنان البني (ص 28).

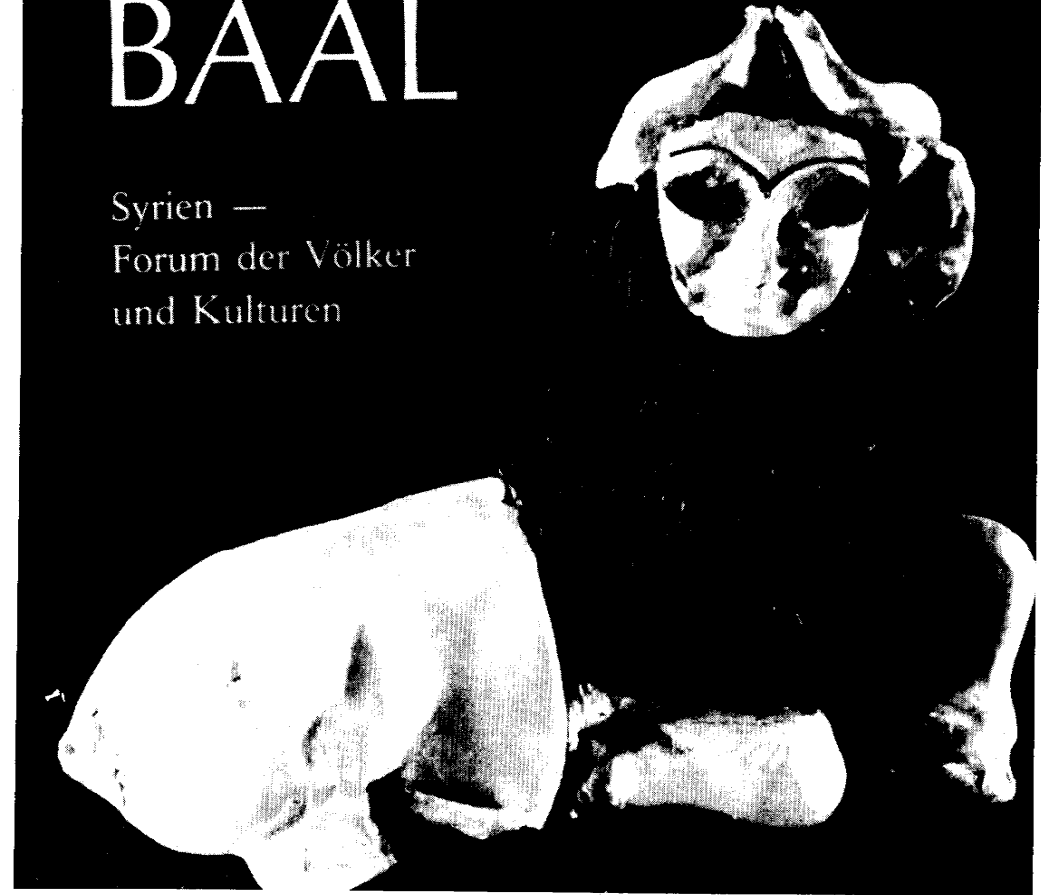
14 - انظر مجلة الآثاري التوراتي (BIBLICAL ARCHEOLOGIST) العدد 39 لعام 1976 (ص 44 - 52).

15 - مجلة التراث العربي ، المصدر السابق (ص 28).

16 - تشير الترجمات اللغوية القديمة ، أن اقرب النصوص الى نصوص إبلا هي نصوص (ابو صلابيخ) ونصوص فارة (شوروباك) وكلاهما من بلاد ما بين النهرين ، وحسب شهادة «بيتيناتو» نفسه وهناك نحو (100) نص إبلا متماثلة تماماً مع أمثالها من فارة و (ابو صلابيخ).

LAND DES BAAL

Syrien —
Forum der Völker
und Kulturen



آثار إبلا تنصير أدلة المعارض
الأثرية عن الآثار السورية.

ان فيها استعمالاً كثيراً للإشارات الرمزية الأمر الذي يعني ان الكلمات المقصودة لا يمكن ان نعرفها إلا من مقابلها في اللغة السومرية . ولاندرى ماهي اللغة الإبلائية ، ثم ان الأدوات التي تربط الكلمات بعضها ببعض لتشكيل الجمل قد لا تكون موجودة اطلاقاً ، واذا وجدت تكون مكتوبة بالمقاطع الإبلائية ، وعلى هذا لا يمكن معرفة معناها الا تخميناً وبالمقارنة مع الفاظ مماثلة في لغة «سامية» أخرى ، ويبدو في الحقيقة عدم وجود نصوص مكتوبة كلياً بالمقاطع الإبلائية ، وعلى هذا فالنصوص الإبلائية في كثرتها الساحقة لا يمكن فهمها إلا إذا أمكن تفسير الاشارات الرمزية السومرية 17

ويشير بيغس الى الصعوبات التي تعترض قارئ نصوص إبلا ، فيقول : «ان معظم الاشارات المسارية لها أكثر من قراءة مقطعية ، وكذلك واحدة أو أكثر من القراءات الرمزية ، ثم انه ليس هناك أية مسافة أو فاصلة تفصل الكلمة عن الاخرى ، ونظراً لكل هذه الصعوبات فإن من الطبيعي أن تتحسن قراءة النصوص في الاسماء تدريجياً ، مع تطور معرفة العلماء بالمقطعية الإبلائية».

(Robert Biggs, Ebla Tablets, Biblical Archeologist, Volume 43(Spring, 1980, P. 18.

18 - المصدر السابق (ص 78 - 79)

ويظن الانسان ان فهم النصوص الاقتصادية والادارية الإبلائية من الامور السهلة ، وقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لعدد محدد من الحالات ، أما في الغالب فإن الانسان ، حتى إذا فهم كل الكلمات ، لا يعرف المقصود من النص ، فإذا كان يعرف ان النص يتحدث عن الشعير فلا يدرك ، هل الشعير قد صدر أو استورد ، وماهي الغاية من هذا وذلك¹⁸

ويورد بيغس أمثلة كثيرة يوضح فيها أخطاء «بتيناتو» في قراءاته الإبلائية ، ويذكر بالذات أسماء المدن التي زعم انها المدن الخمس المذكورة في التوراة ومن الطرائف في هذا المجال قصة الرقيم (ت م 75 - 1860) الذي كان «جيوفاني بتيناتو» قد زعم ان هذا الرقيم يحوي أسماء مدن السهل الخمس الواردة في سفر الخليقة وانها واردة فيه بترتيب التوراة نفسه : «سادوم ، عمورا ، أدما ، صبويم ، بالع» ثم تراجع تدريجياً وقال أول الأمر ان الاسماء مجتمعة في رقيم واحد ، ولكنها موزعة في عدة رقم ، ثم قال بعد ذلك ان ثلاثاً من أسماء المدن مغلوبة¹⁹ وبعد القراءة المتأنية لمحتويات النص المساري ، تبين انه يتحدث عن سبائك معدنية ، وانه من ناحية اللغة الابلائية لا تستقيم قراءة (سادوم ولاعمورا) على هذا الرقيم²⁰.

ويرد الفونسو أركي (معهد دراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة روما - عضو الهيئة الدولية لترجمة رقم إبلا) حول هذا الموضوع بقوله: بعد الرجوع الى الرقيم الاصلي موضوع الاسماء ، تبين انه لا يمكن مطابقة المحتويات مع أسماء المدن الخمس الوارد ذكرها في التوراة كما يدعي «بتيناتو» فيما لو تقيدنا بقوانين الاصوات اللغوية.

ان النص موضوع النقاش ، عبارة عن سجل لمنتجات مصدرة إليها بالسومرية (كي) التي هي بالتأكيد اختصار للإشارة السومرية (جانا - كيشدا - كي) وتعني منتوجاً زراعياً ، وربما نبتة ، لأن أرقاماً (كذا الف - أو كذا مئة) تتقدمها في النص ، كما أنها تأتي في بعض الاحيان مرافقة للزيت والشعير والغنم والابقار لذا فإنه من الواضح ان مثل هذه النصوص تتعلق بالادارة الزراعية في إبلا ، فأسماء المدن أو الاماكن ليست إلا مراكز صغيرة ، وهي ليست متسلسلة حسب نفس النسق الذي تتسلسل فيه المدن التوراتية الخمس كما يدعي «بتيناتو» ففي النص نفسه نقرأ على سبيل المثال : «لي (ألف) كي (نبتة) أب حاوم (مدينة أو بلدة) لي (ألف) آري - مو إلي (مدينة) كي (نبتة)²¹

ويعود أركي لمناقشة بتيناتو مرة ثانية حول مدن التوراة الخمس ، في دراسة مستفيضة²² - فيثبت عدم صحة قراءته حول هذا الموضوع ، فليس هناك أي عنصر معين يشير الى ان (سي - دامو) أو سودوم تقع بالتحديد على شواطئ البحر الميت ، أما (جومورا) فقد ظهر على شكل اشارات سومرية ، وبناء على مقارنات عديدة من وجهة النظر الكتابية ، ليس هناك علاقة بين هذه الاسماء الواردة في نصوص إبلا واسم عامورة (جومورا) التوراتية ، كما ادعى «بتيناتو».

نون الوقاية التي أصبحت إله يدعى (يا) و (يهوه) ؟!

ونأتي الى طرفة تتعلق بلفظة (يا) التي قال عنها «جيوفاني بتيناتو» خطأ أنها ترد في آخر بعض الاسماء الإبلائية ، وزعم في وقت من الاوقات أنها قد تكون في آخر الاسماء للتعب ، أو أنها

19 - مجلة الاثاري التوراتي ، العدد رقم 41 ، (تشرين الثاني وكانون الاول 1978) الصفحة 143 وما بعدها ، دراسة بقلم داود نويل فرميدمان .
20 - مجلة التراث العربي (ص 30) مرجع سابق ، د . عدنان البني .

21 - مجلة بيليكا ، المجلد 60 ، العدد 4 لعام 1979 (ص 556 - 566) ترجمة الاستاذ قاسم طوير .
22 - سلسلة «دراسات إبلائية» التي تصدرها جامعة روما ، المجلد الرابع لعام 1981

اختصار لاسم (رب) ، وقيل لعله (يهوه) ، وبالطبع لم يوافق أحد من العلماء الاختصاصيين لعل هذه القراءة ، ولا على هذا الاستنتاج دعونا نستعرض قصة هذه الـ (يا) التي تحولت الى (يهوه)

يقول الفونسو آركي :

- من الثابت تماماً لدى علماء اللغات الشرقية القديمة ، ان الـ (يا) عبارة عن اداة تصغير شائعة جداً في اسماء الاشخاص (السامية) وهي شائعة بشكل خاص في اسماء الاشخاص الواردة في رقم (ماري) على الفرات الاوسط ، وفيما يتعلق بنصوص إبلا ، فقد اشار «بتيناتو» إلى أن تحول أسماء الاشخاص مثل : /ميكائيل ، وايناثيل ، واشرائيل ، الى ميكابا وانيايا واشرايا ، دليل على أن (يا) في إبلا على الاقل تحتفظ بنفس القيمة الربوبية لـ (ايل) وبالتالي تمثل (يا) إلهاً معيناً . وان (يا) قد حل محل الاله (ايل) في نصوص إبلا اعتباراً من عهد الملك (ايبريوم) في حين كانت اسماء الاشخاص تقتصر على العنصر (ايل) قبل عهد هذا الملك ، بحيث اصبح من الواضح ان تطوراً جديداً قد حدث في المفهوم الديني (السامي) الغربي اختصاراً للإسم الربوبي (يهوا)²³ .

23 - مجلة بيليكا ، مصدر سابق (ص 556).

ان قراءة «بتيناتو» الغربية والمدسوسة تدل على جهل بالغ من قبله ، ومحاولته تحميل الامر اكثر مما يحتمل ، ف (يا) يمكن ان تقرأ أيضاً (إي) أو (لي) أو (ني) وهذا ما حصل بالنسبة الى المقطع الكتابي Ni في لغة إبلا . . . هذا المقطع له عدة قراءات نوردها فيما يلي :

- قراءة سومرية أكادية إبلائية Ni = (Mi/lé/i)

- قراءة إبلائية خاصة Ni = (Lu x/ux)

- قراءة أكادية إبلائية مشتركة Ni = (ia/a x)

ان القراءة الأخيرة هي التي كانت مثار الشغب والضوضاء في الاوساط الاعلامية الصهيونية ، إذ أنهم استندوا الى تحميل المقطع (ني) (Ni) قراءة أخرى هي (يا) ، فحينما وردت كلمة (ايش - ما - ني) في لغة إبلا ، والتي تقابل في جميع اللغات (السامية) كلمة (اسمعي) قالوا بأنها تحتل قراءة أخرى هي (ايش - ما - يا) أي (اسمع - يا) ولكن ماهو مدلول هذه الـ (يا) ؟ قالوا : انها اختصار لاسم إله ؟! وحينما أجاب المختصون بأن لاوجود لإله بهذا الاسم ؟ قالوا : بلى انه اختصار لاسم الاله (يهوه)²⁴ ؟

24 - من حوار خاص اجراه المؤلف حول هذا الموضوع من الاستاذ حميدو حمادة الاختصاصي بقراءة الرقم المسماة ، وأمين متحف الرقم المسماة في متحف حلب.

25 - استاذ العلوم الآشورية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو.

- حول هذا الموضوع يقول الدكتور «روبيرت بيغس»²⁵ :

«لقد أنفق هؤلاء حبراً كثيراً حول هذه المسألة ، ولكنهم حملوا المقاطع أكثر مما تحمل»

ويرى بيغس القراءة الصحيحة لهذا المقطع هي (ني) وهو يعارض وجود إله في إبلا بحمل اسم (يا) إذ لاوجود لإله بهذا الاسم في جميع نصوص المشرق القديم .

- بتيناتو يقول : ربما يكون المقطع (يا) أحد الآلهة . ولكنه لم يبلغ به الأمر الى القول بأنه وجد (يهوه) في نصوص إبلا ، لان الامثلة التي ورد فيها هذا المقطع لاتحمل إلا قراءة واحدة وهي (ني) لنعد الى الامثلة :

- (إب - خور - ني) (انجزني) = اجمعني ، ماضي جمع + نون الوقاية وياء المتكلم .

(إي - بي - ني) (بيثني) = انبأني ، ماضي أنبأ + نون الوقاية وياء المتكلم .
- (ايش - ما - ني) (ايشاني) = أسمعني . ماضي سمع + نون الوقاية ، وياء المتكلم .
وسبق وقلنا أن الفونسو آركي ، قد أكد أن المقطع (ني) هو الضمير المتصل المعروف في جميع اللغات السامية .

26 - كبير علماء الآشوريات في العالم ، استاذ في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو.

أما الدكتور جيلب²⁶ فقد قدم لنا العديد من الامثلة التوضيحية في مقالته (إبلا وحضارة كيش) حول هذا الموضوع ، فقال : لايمكن ان نقرأ المقطع (ني Ni) على أنه (يا ia) إلا في حالات محددة ، وذلك حينما يأتي بعدها المقطع (آ a) ، ويوضح ذلك في المثال التالي :

- بي - لي - يا - آ = ييليا (بعلي) سيدي béliya

- يا - آر - مو - تي == يارموتي (اسم مكان) yarmúti

ونلاحظ أن المقطع (يا) في المثال الاول جاء بعد (آ) . أما في المثال الثاني فقد جاء بعد (آر) وهو مبدوء بحرف (آ) . فقط في هذه الحالة نقرأ المقطع (ني) على أنه (يا) لانه مناسب للسياق وللمقارنات مع مايسمى اصطلاحاً باللغات (السامية) .

من خلال ماتقدم نلخص المسألة على الشكل التالي :

ان المقطع المسماة Ni له عدة قراءات هي :

ني - لي - ي - بو - أو - آ - يا

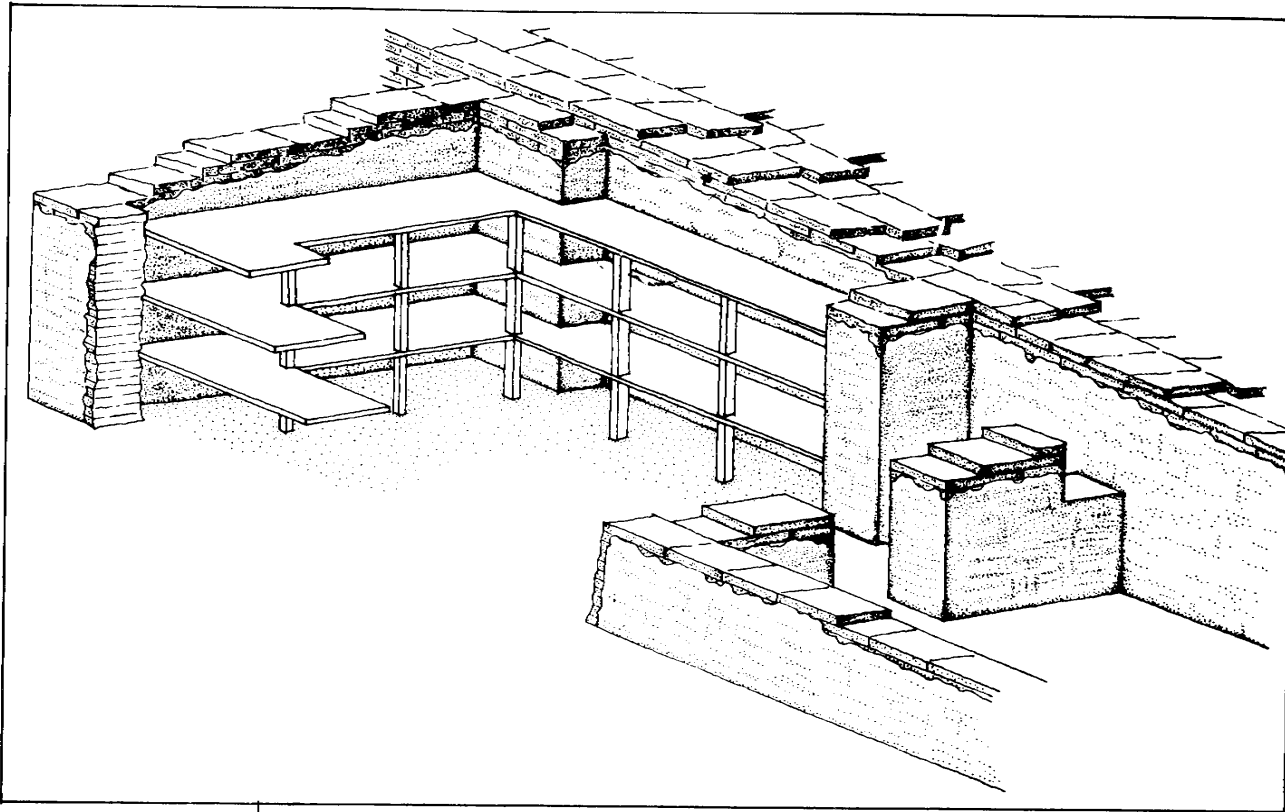
Ni - li - i - bu - u - a - ia

وأن السياق هو الذي يحدد القراءة المناسبة ، وأنه من خلال الامثلة التي قدمها «بتيناتو» والتي اختار منها قراءة (يا ia) مفضلاً إياها على غيرها من القراءات ، أوصلته إلى باب مغلق في تفسير الكلمات التي ورد فيها المقطع ، ففسر كلمة (ايش - ما - ني) (اسمعي) على أنها كلمتين (ايش - ما) اسمع ، وأما المقطع المتبقي (ني) فقال عنه انه (يا) وربما يكون اسم الاله .

ومثلها فعل مع كلمة (اي - بي - ني) اذا اعتبر المقطعين الاولين من جذر (أنبأ) . أما المقطع (ني) فاعتبره (يا) وقال بأنه اسم إله ، فيصبح المعنى (انبأ - يا) و (اسمع - يا) أي : (انبأ الاله يا ، اسمع الاله يا) .

وتسللت بعض الاقلام المدسوسة لتشرح وتفسر هذا الإله (يا)؟! وشدوا الحروف ، ومدوا المقاطع ، وخرجوا ببدعة غريبة مفادها : (اذا كان (يا) إلهاً ، فهو بالتأكيد الإله اليهودي يهوه !!

ودغدغت هذه القراءة الحلم القديم ، حلم الحدود الممتدة من الفرات الى النيل ، وصار كل صحفي يهودي صهيوني ، علامة بالآشوريات والكتابات المسماة ، وظهر تيار اعلامي خبيث ، راح ينتشر كالسرطان في بعض الاوساط المترتبة . . . ولكن هذا التيار حينما بدأ يصل الى المعاهد العلمية انبرى له مجموعة من كبار علماء اللغات والمسماة القديمة أمثال جيلب وروبيرت بيغز وايتنغ وغيرهم ، وكان لمقالاتهم ودراساتهم دورها الكبير بانتهاء الزوينة ، وتوضيح الحقيقة التي انصفت حضارتنا ، فها هو بيغز يقول بعد ثلاث سنوات من البحث والدراسة والمناقشة والتقصي ، «لم يعد



رسم توضيحي لمكتبة المحفوظات
المسمارية في داخل القصر الملكي
(ج) حيث كانت الوثائق المسمارية
مصنفة حسب أحدث الطرق
حينذاك.

- 4- البروفيسور هورست كلينغل : مدير معهد الدراسات الشرقية القديمة في اكااديمية العلوم ببرلين في ألمانيا الديمقراطية.
- 5- البروفيسور جان روير كوبر ؛ استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة السوربون بباريس.
- 6- البروفيسور الفونسو آركي : استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة روما.
- 7- البروفيسور بول غاريلي : استاذ اللغات الشرقية القديمة في جامعة روما.
- 8- البروفيسور بيليفرونز ارولي : عميد كلية الاداب بجامعة فلورانس الايطالية.
- 9- الدكتور فوزي رشيد : الاختصاصي المعروف في اللغات المسمارية القديمة.

وقد كلف هؤلاء العلماء الافاضل بدراسة لوحات إبلا المسمارية المكتشفة كل حسب اختصاصه ونشرها بعدة لغات عالمية في مجلة «حوليات إبلا» التي تتولى جامعة روما اصدارها وقد صدر منها عشرات الاعداد التي تتناول قراءات إبلا كما بدأت سلسلة «وثائق إبلا» بالصدور ضمن مجلدات متخصصة حسب مواضيع هذه الرقم تحت عنوان «ارشيف إبلا».

لقد صدر من «ارشيف إبلا» مجلدات موثقة بالصور والحواشي ، ولقيت التقدير العلمي من جميع المحافل العلمية.

- المجلد الاول صدر عام 1985 ، وهو دراسة للنصوص الادارية التي قام بها الفونسو آركي من جامعة روما.

- المجلد الثاني صدر عام 1982 ، وهو دراسة للنصوص الاقتصادية التي قام بها ديتز ادزارد ، من جامعة روما.

هناك من يربط بين ألواح إبلا والتوراة ان عقد مقارنات بين التوراة وألواح إبلا أمر مستحيل الان ، فالأشخاص الذين يتطلعون الى ألواح إبلا بحثاً على صحة التوراة سيصابون بخيبة أمل مريرة

لقد أشيع منذ عدة سنوات بأن قصص الطوفان والخليقة منقوشة على ألواح إبلا ، ولكن تبين الان ، بأن قصة الخليقة مجرد أربعة أسطر شعرية لم تترجم منها كلمة واحدة . أما قصة الطوفان فقد تقلصت الآن الى كلمة واحدة ترجمت إلى (ماء).

ويتابع بيغز قوله : «لا ينبغي قبول الاقتراح الأولي القائل بربط لغة ألواح إبلا باللغة العبرية ، لاسيما اذا تذكرنا بأن اللغتين يفصل بينهما أكثر من ألف عام» . ونوه بيغز الى ان القيام بترجمة محترمة لرقم إبلا المعقدة قد تحتاج الى عشرين عاماً²⁷.

ثم ان إبلا سابقة لورود العبرانيين الى المنطقة بألف عام ويزيد ، بل ليس في نظام الحكم بإبلا ، لا في تسلسل سلالتها الملكية ولا في أصلاتها الفنية والمعمارية ، ولا في نظامها السياسي والاجتماعي ، ولا في نشاطها الاقتصادي ، ولا في أصلاتها الفنية والمعمارية ، ولا في معبوداتها وديانها وطقوسها علاقة أو شبه علاقة بالعبرانيين ، حتى بعد أكثر من ألف عام من إبلا ، عندما قدموا الى المنطقة كانوا بداية رحلا يحويون الآفاق مع عيالهم ودوابهم ، وكانوا حسب قول ويلز غير متمدين ، وليس لهم كتاب يقرأونه²⁸.

أما رد العالم «لاسور» فقد جاء ليؤكد بأن العديد من الرقم الإبلانية تبدأ بفعل ثم يليها فاعل ومفعول به ، وهذا الترتيب من خصائص اللغة الأكادية ، وليس من خصائص اللغة العبرية ، على الرغم من وجود روابط شبه معها وأنها متقدمة عليها زمنياً بمئات السنين²⁹.

الحقيقة العلمية تحسم الموقف :

ازاء حملة الافتراءات التي سعت لتشويه الموقف المتفتح الذي تقفه سورية العربية مع البعثات الاثرية العاملة على أراضيها ، ونظراً لسطحية القراءات التي عالج بها «جيوفاني بتيناتو» ومن تحمس له رقم إبلا ، وسعيًا وراء وضع نتائج قراءة رقم إبلا تحت تصرف الاوساط العلمية في العالم بأسرع ما يمكن ، وجهت الدعوة الى الاختصاصيين في قراءة الكتابات المسمارية - السومرية - الأكادية في العالم ، وألفت في عام 1978 لجنة دولية تضم خيرة الاختصاصيين العالميين وهم :

- 1- البروفيسور ادموند سولبرجي : رئيس قسم المسماريات في المتحف البريطاني.
- 2- البروفيسور جيورجيو بوتشيلاتي : مدير معهد الآثار واللغات الشرقية القديمة في جامعة لوس انجلوس الامريكية.
- 3- البروفيسور ديتز ادزارد : استاذ الكتابات المسمارية واللغات القديمة في جامعة ميونخ بألمانيا الاتحادية.

27- وثائق إبلا ، مصدر سابق (ص 70 - 71)

28- مجلة التراث العربي ، د. عدنان البني ، مصدر سابق (ص 31)

29- إبلا ، منعطف التاريخ ، د. عمر الدقاق ، مصدر سابق (ص 78) نقلا عن مجلة «المسيحية اليوم».

- المجلد الثالث صدر عام 1982 ، وهو دراسة للنصوص الادارية ، قام بها الفونسو آركي من جامعة روما .

- المجلد الرابع ، صدر عام 1984 ، وهو دراسة لنصوص ادارية قام بها لوتشينو ميلانو ، وماريبيكا ، من جامعة روما .

- المجلد الخامس صدر عام 1984 ، وهو دراسة لنصوص أدبية قام بها ديتز ادزارد من جامعة روما .

- المجلد السادس ، قيد النشر ، ويتضمن دراسة عن النصوص القاموسية الثنائية اللغة ويقوم بقراءته ، الفونسو آركي من جامعة روما .

- المجلد السابع : صدر عام 1988 ، ويتضمن النصوص التي تتعلق بالمعادن والثياب ، دراسة الفونسو آركي .

- المجلد الثامن : صدر عام 1986 ، ويتضمن دراسة النصوص المسماة التي تتحدث عن النسيج وهو من دراسة ادموند سولبرجيه من المتحف البريطاني .

- المجلد التاسع : ويتضمن دراسة للنصوص التي تتعلق بمواضيع تاريخية ، يقوم باعداد المجلد ادموند سولبرجيه من بريطانيا .

- المجلد العاشر : صدر عام 1989 ، ويتضمن دراسات هامة عن اسماء العلم في إبلا ، وحصيلة الابحاث التي قدمت في ندوة جامعة روما عام 1985 عن مكتشفات إبلا وحضارتها العريقة .

- وثمة دراسات اخرى عن النصوص الابلائية قام بها ، فرانزورولي ، من جامعة فلورنسا عن المفردات الابلائية ، وقد استعان كثيراً بالمفردات العربية لتفسير هذه المفردات ، ويؤكد في دراساته هذه انه لم يعثر على كثير من الكلمات الابلائية الا في اللغة العربية ، وأشار الى أن الكلمات التي تحتوي على ظاهرة التثنية تنفرد بها الابلائية والعربية ، دون غيرها من اللغات .

أما دراسات «كريبرنيك» المتعلقة بالاصوات ، فتثبت أن كثيراً من الاصوات «السامية» القديمة مثل : (الضاد - الظاء - العين - الناء -) لم يعثر عليها الا في العربية والأوغاريتية وأشار الى ضرورة الاستعانة بالمعجم العربي ، من اجل تفسير المفردات الابلائية ، لانه لاغنى للباحث العلمي واللغوي عن ذلك من أجل قراءة صحيحة ودقيقة لرقم إبلا المسماة .



إذ دققنا النظر في تسلسل طبقات الاستيطان السكاني في إبلا، وفق ما أسفرته الاعمال الأثرية التي تمت - حتى الآن - نستطيع القول ان موقع تل مردوخ - إبلا - قد استوطن لأكثر من أربعة آلاف سنة، أي منذ 3500 قبل الميلاد، حتى عام 700 ميلادية وعندما نأخذ نتائج التنقيبات الأثرية بعين الاعتبار نجد إبلا قد بدأت صغيرة في الحقبة الزمنية الممتدة من 3500 - 2900 قبل الميلاد، وقد كشفت التحريات الأثرية عن بقايا معمارية ضخمة، ولقى أثرية بسيطة، أهمها أنواع من الفخار البسيط العادي المغموس بالتبن قبل شيه، والمعروف في بلاد الشام الشمالية، وخاصة في سهل العمق.

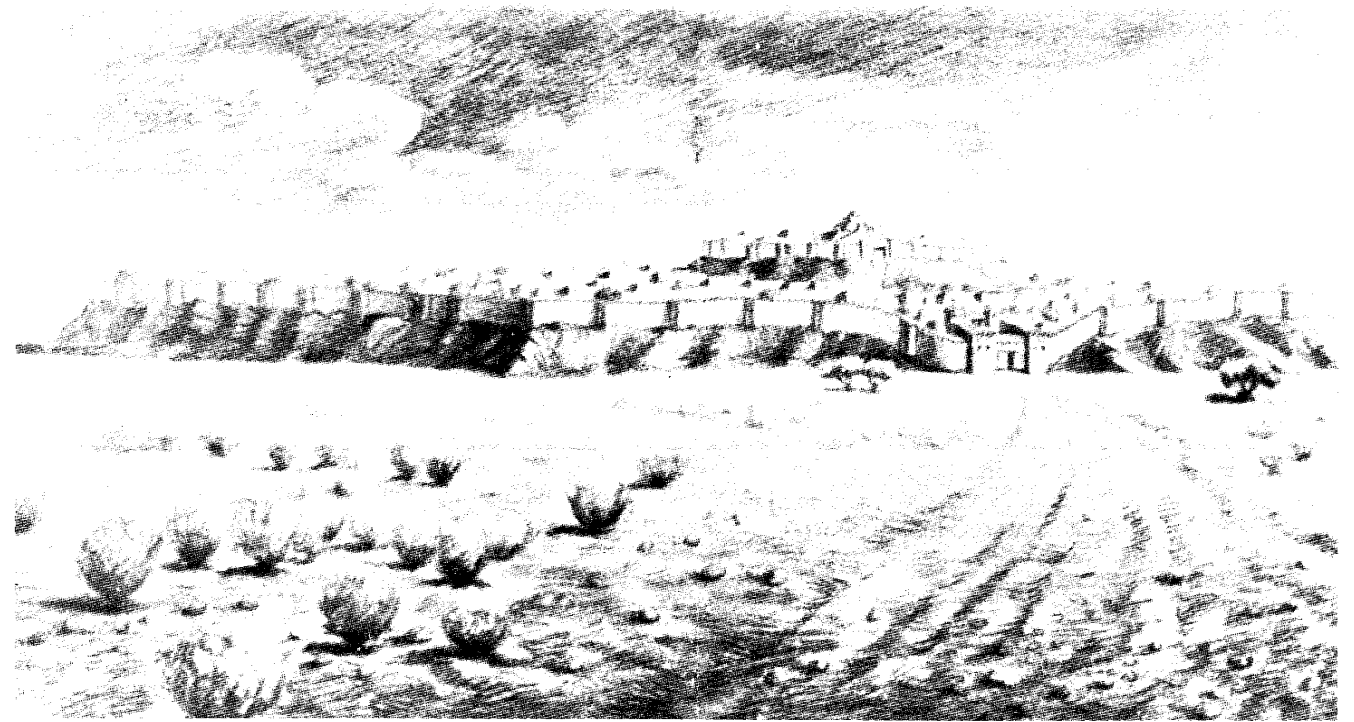
أما بالنسبة إلى العصر البرونزي القديم، أو النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، فإن المعلومات تكاد تكون معدومة، باستثناء ما كشف عنه السبر في الطرف الشمالي من المربع (G) الواقع على سفح الرابية التي تتوسط المدينة، حيث عثرت البعثة الأثرية على جزء من باحة أو شارع، تحيط به بقايا معمارية من اللبن، يعلوها مباشرة الابدة الدينية المسماة المعبد (D) وبما أن هذه البقايا المعمارية أقدم من القصر الملكي الشهير الذي اكتشفت فيه الرقم المسارية، فإن باولوماتيه يؤرخه في نهاية العصر البرونزي القديم الثالث 2750 - 2400 قبل الميلاد، أو إلى نهاية عصر تل مردوخ (IIA)، المؤرخ في الفترة الواقعة بين 2900 - 2400 قبل الميلاد، وهذه الآثار تشكل - حتى الآن - الدليل الوحيد على كون إبلا قد استوطنت خلال العصر المعروف بعصر فجر السلالات في بلاد ما بين النهرين، والعصر البرونزي القديم الثالث في بلاد الشام أي بين 2900 - 2400 قبل الميلاد، ومن المحتمل أن يكون الاستيطان قد امتد من مركز المدينة فوق الرابية إلى بقية الأجزاء الأخرى من المدينة المنخفضة خلال هذا العصر، وهذا ما سنعرفه من خلال تتابع عمليات الكشف الأثري في السنوات القادمة¹.

القصر الملكي وعصر الازدهار:

تعتبر الفترة الواقعة بين 2400 و 2250 قبل الميلاد، بمثابة عصر الازدهار الأول لامبراطورية إبلا، وقد دلت على ذلك البقايا المعمارية التي اكتشفت في عدة أماكن من تل مردوخ. ففي الجهة الجنوبية الغربية من المدينة قرب البوابة (A)، وفي القطاع (N) إلى الشمال من مركز المدينة، عثر على ما يثبت ذلك أما الكتابات المسارية فقد تحدثت عن وجود أربعة أحياء،



1 - آثار الممالك القديمة في سورية، د. علي أبو عساف، دمشق 1988 (ص 245).



رسم تخيلي لمدينة إبلا، وسورها العظيم ونشاهد فيه القصر الملكي وأحياء المدينة المحيطة به...

يحتلها ارتبطت بأربع بوابات، وإن المدينة كانت محاطة بسور دائري منبع بني من الحجارة الكبيرة غير المنحوتة، وقد حصن بأبراج مربعة بارزة حسب التقاليد المعمارية التي كانت سائدة في الألف الثالث قبل الميلاد.

وتؤكد مكتشفات البعثة الأثرية²، أن إبلا في ذلك العصر كانت مكتظة بالسكان، والمساكن العادية البسيطة التي بنيت باللبن، وبدون أساسات حجرية على الغالب، وربما ضمت أيضاً المعابد، حيث تأكد وجودها تحت موقع المعبد (N) الذي يعود إلى العصر الوسيط الثاني، والذي يعود تأسيسه بين 2400 - 2250 قبل الميلاد. أما الرابية فتتألف من صخور طبيعية كلسية، بنيت فوقها المعابد والقصور، ويفصلها عن المدينة شارع عريض، وقد أصبحت مركز المدينة.

لقد أبانت نتائج التنقيب الأثري في عام 1974، أن الجدران الضخمة التي كشف عنها في المنحدر الجنوبي الغربي من التل المركزي (الأكروبول) في تل مردوخ خلال موسم التنقيب في عام 1973، ما هي إلا جزء، من البناء (G) الذي يحتمل أنه القصر الملكي حينذاك.

وجاءت نتائج أعمال موسم عام 1975 لتؤكد أن تلك الشواهد المعمارية ما هي إلا القسم الخارجي للقصر الملكي (G) الذي كان عامراً في الفترة الواقعة بين 2400 - 2250 قبل الميلاد. ولسوء الحظ أن الشواهد المعمارية التي كشفت عنها البعثة الأثرية - حتى الآن - تتلاشى مع انحدار التل المركزي (الأكروبول) من ناحية الغرب، وهي تضم من الجنوب إلى الشمال قسماً واسعاً من باحة كبرى ورواقين محمولين على أعمدة خشبية، قضى عليها الحريق. لكن الحفر المستديرة في الأرضية لا تزال تشهد عليها، وهناك برج مربع الشكل يحتوي في داخله على درج وأربعة أروقة لعلها تقود

2 - انظر كتاب EBLA, AN EMPIRE, REDISCO VERED, P. 84 - 88

إلى طابق آخر في القصر، وممر ضيق كان يستخدم مستودعاً لحفظ جرار المونة التي كانت تستند مباشرة على جدار البرج وقاعتين طويلتين شيدتا بشكل متوازٍ تحت أرضية لا بد أنها تغطي بقايا أبنية تعود إلى عصر البرونز الثالث... وأخيراً هناك درج آخر منحني الشكل لا بد أنه كان يقود إلى المنطقة العليا من التل المركزي (الأكروبول) وبالقرب من المعبد الذي قام فوق انقاضه المعبد الكبير (D) في أواخر عصر البرونز الوسيط³.

من الأجزاء التي كشفها - حتى الآن - من القصر نستطيع القول، أن الباحة المسماة بباحة الاستقبال الملكية ليست باحة من القصر، بل ساحة المدينة الرئيسية، التي بلغت أبعادها 27 × 50 متراً، وبني جدارها الشمالي والشرقي باللبن فوق أساس من الحجارة بعرض 2.8 متراً، يحيط بها من الشمال والشرق رواقان، بلغ عرض الأول 5.5 م، والثاني 5 امتار، حملت سقفها على أعمدة خشبية بقطر 70 سم تثبت بحفرة في الأرض، وتوجت ببلاطات حجرية، ويبدو أن طول الرفادات الخشبية للسقف قد بلغ 370 سم في الرواق الشمالي، و280 سم إلى 360 سم في الرواق الجنوبي.

ينفتح عدد من الأبواب على هذه الساحة، منها باب صغير في الشمال، لم يبق منه سوى عضاداته الشرقية، وهو يقود إلى حجرتين صغيرتين خلف الواجهة الشمالية، وينتهي الرواق في الشرق إلى باب كبير بحالة جيدة، يقود إلى سلم المراسم في وسط البرج المربع، وفي الواجهة الشرقية تصل بوابة كبيرة بين الباحة والقصر الحقيقي، بواسطة درج كبير يصعد إلى القصر المرتفع، وإلى الجنوب منها باب رابع يقود إلى وسط الجناح الإداري.

شيدت المنصة 450 × 300 × 55 سم، باللبن وطلبت بالكلس تحت الرواق الشمالي، أمام الواجهة الشمالية، إلى الشرق من الباب الذي يقود إلى المخزنين، نصعد إلى المنصة بواسطة درج أمامي في الجنوب الغربي، وآخر جانبي في الشمال الغربي، ويبدو من آثار باقية على سطح المنصة، أن عرشاً تعلوه مظلة قد شيد فوقها لجلوس الملك، ونشير إلى أن باب المراسم في الجزء الشرقي من الرواق الشمالي بعيد عن المنصة، ومقابل لها، بينما نجد الباب الشمالي بجانبها، ومما لا شك فيه أن الرواق الشمالي هو الطريق الذي كان يسلكه الملك قادماً من قصره إلى المنصة عبر بوابة ودرج المراسم.

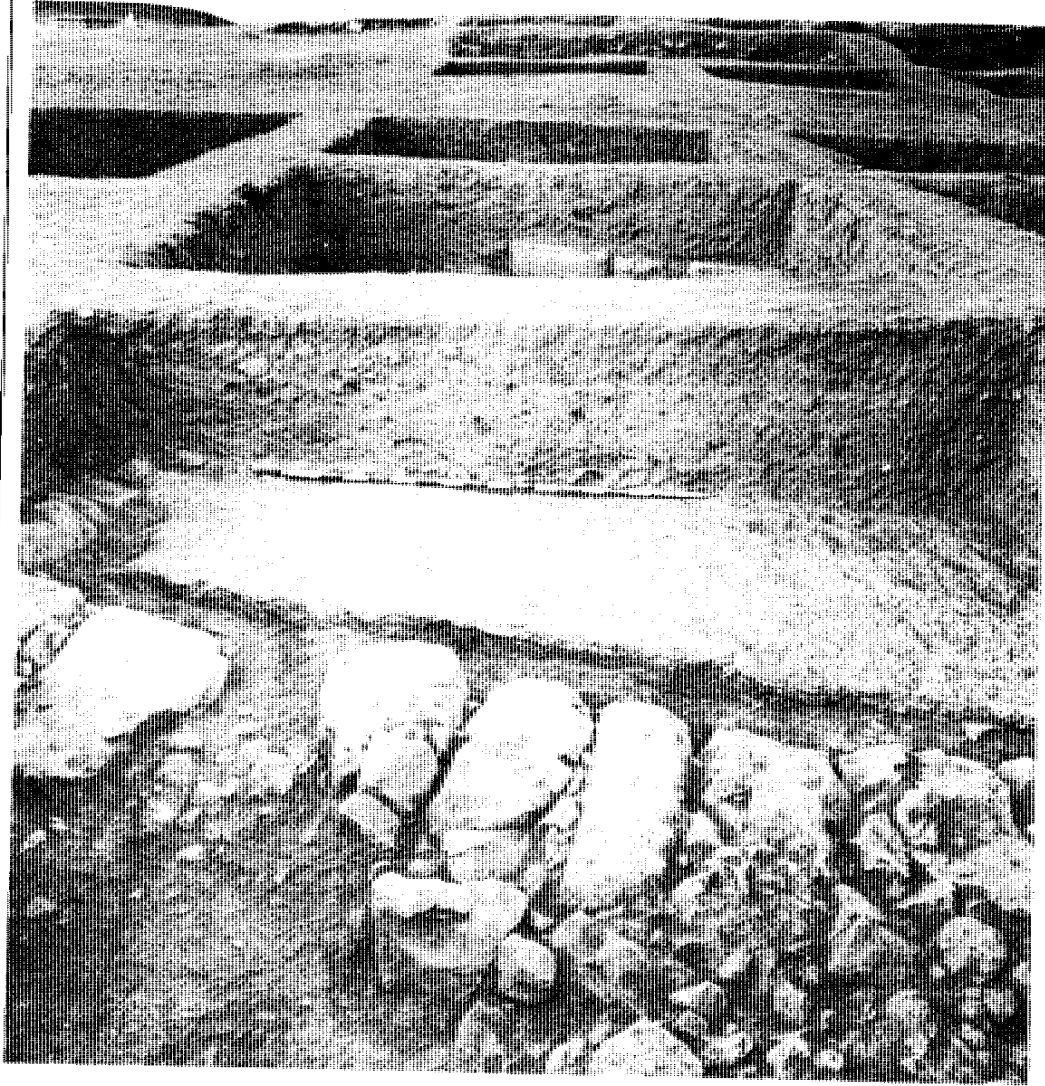
أما الباب الشمالي الذي يقود إلى المخزنين فقد أعد بجانب المنصة، ليقف فيه أفراد الحاشية، الذين يستقبلون الهدايا المقدمة إلى الملك الجالس على المنصة، ويضعونها في المخازن، قبل نقلها إلى مكان آخر فيما بعد.

ويبدو أن مجموعة من الأحواض المائية والآبار كانت موجودة في الساحة بهدف توفير المياه للناس وحيواناتهم.

إن باحة الاستقبال الملكية هذه لا نجد لها مثيلاً في القصور المعاصرة في بلاد الرافدين، ففي قصر الملك الآكادي (نارام - سن) المكتشف في موقع تل براك في شمال الجزيرة السورية، وفي بقية القصور الرافدية فيما بعد، نجد أن الباحة هي لب القصر، كما أن كافة الأعضاء المعمارية من غرف وصالات تلف حول الباحة وتدور في فلكها⁴.

- إبلا أقدم مملكة عامرة في سورية، بأولوماتيه، ترجمة قاسم طوير (ص 12 - 13).

4 - المصدر السابق (ص 14).



أرضيات وبقايا جدران الجزء الجنوبي من القصر الملكي الغربي.

أما الجناح الإداري من القصر (G) فيقع إلى الجنوب من الباب الرئيسي ، ولا يتصل به ، وتشكل باحة صغيرة محاطة برواق ، مركز هذا الجناح ، يجاورها من الشمال حجرة كانت مستودعاً حفظت بها وثائق كثيرة ، وإلى جانبها يوجد درج مؤلف من أربعة أقسام تتدرج بالارتفاع من الأسفل إلى الأعلى .

أما في الجنوب فتجاورها قاعة كبيرة ربما كانت قاعة استقبال ، وفي الواقع أن التنقيبات الأثرية لم تكشف إلا على جدارها الشمالي والغربي ، وجزء من جدارها الجنوبي المجاور للزاوية الجنوبية المفترضة ، حيث يوجد باب يفتح جنوباً على حجرات المستودعات التي تتصل عبر باب في الشرق بقسم آخر تابع للجناح الإداري .

وفي الجناح الإداري هذا ، تقع دار المحفوظات ، التي تتألف من حجرة واحدة صغيرة مساحتها 510 × 355 سم ، وقد بنيت في الرواق الشرقي بين المدخل الرئيسي للقصر في الشمال ،



جانب من الباب الجنوبي من سور مدينة إربلا ، والذي يعرف في الوثائق المسمارية ، بباب الإله رشف ، ويعود تاريخه إلى الألف الثاني قبل الميلاد (عن: باولو ماتيه).

ومع ذلك يجد الدكتور علي أبو عساف شبيهاً للتنظيم العمراني في إربلا ، في موقع تل الخويرة ، قرب الحدود التركية ، على منتصف الطريق بين مدينتي تل أبيض ورأس العين الساحة الرئيسية في إربلا منشأة عامة ، لها وظائف ثقافية واجتماعية ، تقام فيها الحفلات والاستقبالات ، وتنظم حولها المباني الرسمية أو الملكية . إن القصر الملكي وملحقاته قد انتظمت من الشمال والشرق من هذه الساحة ، وبنيت فوق أماكن أعلى من الساحة ، مما اضطر الناس لاستخدام الدراج ، للوصول بين الساحة وأجنحة القصر الملكي (G) ونرى هذا الشيء نفسه في تل خويرة ، حيث عمل الدكتور أبو عساف عام 1964 في الكشف على ما يسمى بالبناء الحجري رقم 3 الذي شيد فوق رابية إلى الشرق من الشارع الرئيسي أو الوادي الذي يخترق المدينة من الغرب إلى الشرق ، وينتهي إلى ما يمكن أن يسمى ساحة رئيسية تقع في الطرف الشرقي والجنوبي الشرقي من المدينة ، وتمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، حيث تنتظم حولها المباني الملاصقة للسور من الداخل ، والآخرى المقابلة لها⁵ .

5- مجلة الحوليات العربية السورية ، المجلد 27 و 28 لعام 1977/78 .

. القصر الملكي (Q) :

بعد انهيار فترة الازدهار الاولى لامبراطورية إبلا على يد الملك (نارام - سن) نحو 2250 قبل الميلاد، نشير أن المدينة في الفترة الواقعة بين 2250 الى 2000 قبل الميلاد قد انتشرت على نفس مساحتها في العصر السابق، وقد قادت التنقيبات الى الكشف عن ابنية تعود لهذا العصر، وجدت في شمال (الأكروبول) القطاع (N) في الجهة الجنوبية الغربية، حيث تقوم البوابة العائدة للألف الثاني القطاع (A) وفي مناطق أخرى تقع جنوب غرب (الأكروبول)، واكثر البقايا المعمارية اهمية تلك التي كشف عنها في المنطقة الواقعة تحت انقاض المعبد (D).⁷

بعد ان انتهت البعثة الأثرية الإيطالية، أعمال التنقيب في الجناح الإداري من القصر الملكي (G) في عام 1978، باشرت في نفس السنة أعمال التنقيب التوسعية نحو الغرب، بهدف الكشف عن الاطراف الغربية لباحة المراسم والاستقبال التابعة للقصر نفسه، وبذلك دخلت أعمال التنقيب في تل مردوخ - إبلا - مرحلة جديدة استمرت من عام 1978، حتى عام 1982، ولا تزال مستمرة، وقد تمثلت حصيلة هذه المرحلة الجديدة في الكشف عن قصر ملكي آخر، أطلق عليه باولوماتيه اسم «القصر الغربي» لوقوعه في غربي التل، وظهرت تحت أرضيات هذا القصر الجديد مقبرة ملكية كانت مستخدمة طيلة القرنين الاخيرين من حياة إبلا، وقد تم العثور في تلك المقبرة على قبور الأمراء التي لم تصل يد النهب والسلب إليها....



باب المدينة الجنوبي الغربي في
عصر السلالة الأمورية (1650 -
1800) ق.م.

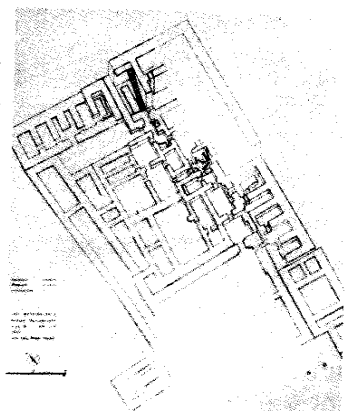
ومدخل الجناح الإداري في الجنوب، وفيها وضعت ثلاثة رفوف، كل واحد بعمق 40 سم، أمام جدرانها الشرقية والشمالية والغربية، ولم يوضع شيء أمام الجدار الجنوبي الذي فيه المدخل، وقد أسندت الرفوف على الجدران، وعلى أعمدة خشبية ثبتت في أرضية الحجر، وقد عثر المنقبون الآثاريون في هذه الدار على الرقم الطينية البالغ عددها نحو 14000 رقيم بين كامل ومكسر، وإلى الجنوب الغربي من هذه الدار، توجد قاعة كبيرة مستطيلة الشكل جمع منها نحو 500 رقيم اثناء التنقيب في عام 1976، ويظهر واضحاً أن القاعة والدار قد بنيتا وفق مخطط واحد، ولهدف واحد هو حفظ وكتابة الرقم المسارية، وقد خصصت الدار الداخلية لحفظ الرقم، بينما استخدمت القاعة للأعمال الكتابية، حيث جهزت بمقاعد، أقيمت أمام الجدارين الشمالي والغربي ليجلس فوقها الكتبة.

وهناك حجرتان حوتا رقماً، تقع الأولى في الزاوية الشمالية الشرقية من الساحة الرئيسية، وإلى الجنوب من البرج، ودرج المراسم، وقد عثر فيها على نحو 1000 رقيم أو كسرة رقيم، كانت محفوظة على رفوف خشبية. أما الحجر الثانية فتقع إلى الجنوب من الدرج الرئيسي الذي يربط بين الساحة والقصر (G) عثر فيها على نحو 500 رقيم أو كسرة رقيم مبعثرة فوق أرضها، وبين أنقاض سقفها وجدرانها⁶.

ورغم أن القصر الملكي هو الأبدية الأهم العائدة للنصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، فالأسباب الأثرية الجارية في تل مردوخ - إبلا، أكدت وجود أبنية أخرى معاصرة سواء في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، أو في وسطها، ولابد ان تقدم لنا الأعمال الأثرية المستمرة في إبلا في المستقبل الكثير من المنشآت المعمارية عن هذه الفترة الهامة من حضارتها العريقة.

6 - آثار الممالك القديمة في
سورية، مصدر سابق (ص
254 - 255).

7 - آثار الوطن العربي - د.
سلطان محيسن. المطبعة
الجديدة - دمشق (1988 -
1989) (ص 248).



رسم توضيحي شامل للقصر
الغربي الذي يعود تاريخه الى
الفترة الواقعة بين
1900 - 1650 قبل الميلاد (عن
مانتييه).

احدى الباحات الداخلية للقصر
الغربي في إبلا التي تؤدي الى
بقية أرجاء القصر.



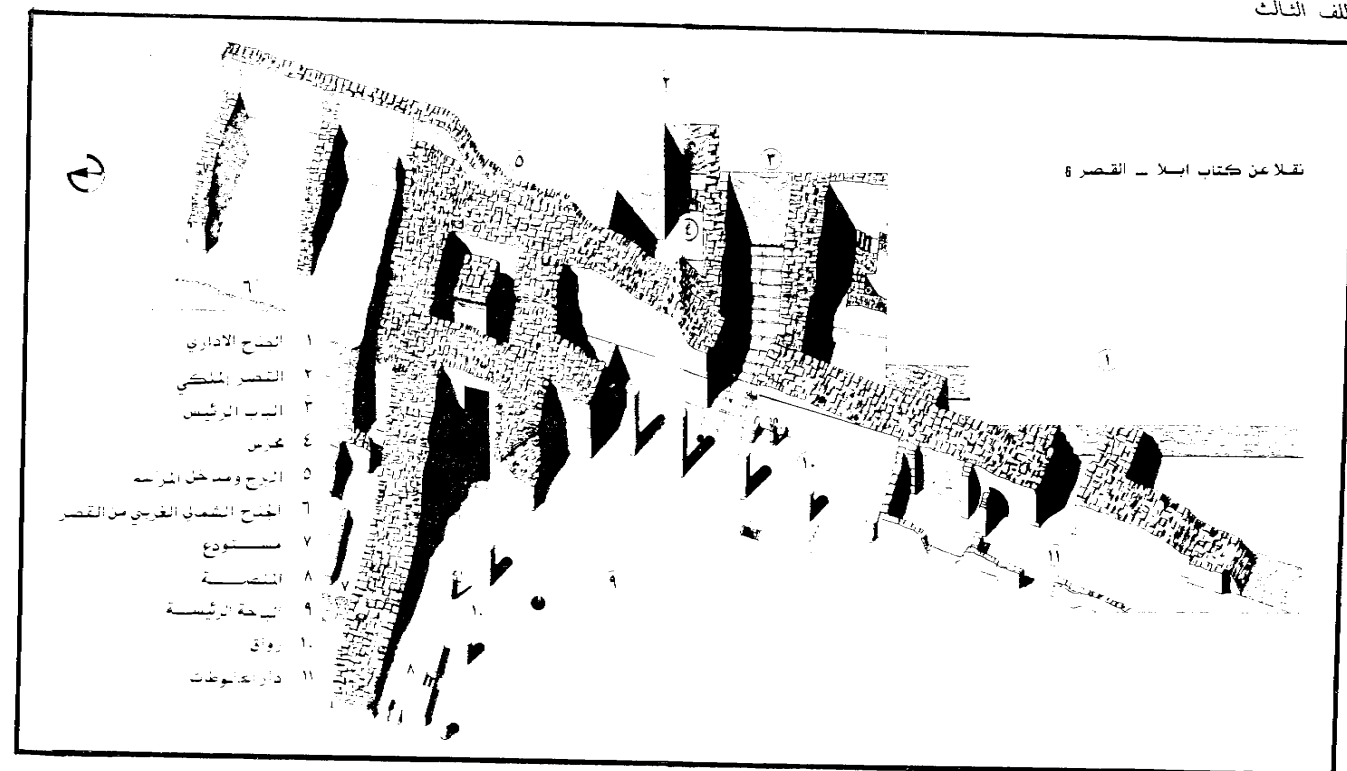
صورة لأحدى صالات جناح الخدم في القصر الغربي، حيث كان يتم جرش وطحن الحبوب بواسطة أحجار الرحي التي ترتصف على طول الجدران منذ الألف الثاني قبل الميلاد. (ت: ماتيهيه).

يشير باولوماتيهيه في دراسته عن هذا القصر ان بناء هذا القصر قد تم بموجب هذا التصميم في الحقبة الأولى من عصر البرونز الوسيط أي بين 2000 و 1800 قبل الميلاد . . . وبالفعل أبانت الاسبار التي اجرته البعثة الاثرية الايطالية في القطاعين الشرقي والشمالي من القصر ، وبالذات في أسفل أرضيات المرحلة الاخيرة من بناء القصر ، وجود أرضية أقدم عهداً ، وعثر فوقها على فخار يميز العصر البرونزي الوسيط الاول في سورية .

وتشير الدلائل الاثرية انه قد جرى تعديل على بناء القصر في اوائل الحقبة الثانية لعصر البرونز الوسيط ، ففي هذه الفترة جرى سد بعض الابواب ، وترميم جوانب الممرات .

يتمتع البنيان المعماري للقصر الغربي بمغزى خاص لتحديد الخصائص الفريدة لبواكير الحضارة السورية القديمة ، وبالفعل فإن مخطط القصر قد اعتمد على مقاييس اساسية في التصميم ، وتوزيع الفراغات المعمارية ، فالباحات السماوية صغيرة نوعاً ما ، كما انها تأخذ شكلاً مستطيلاً ، وتعتمد مع السور الخارجي للقصر ، في حين أن بعض الغرف المتجاورة ترتصف بين الباحة والجدران الخارجية للممشاة ، ويقوم في الجزء المركزي لداخل القصر جناح خاص للاستقبال ، في حين ان الباحات الداخلية في الوحدات السكنية تضمن الدوران المستمر في جنبات القصر ، فإن هناك ثلاثة أو أربعة مدارج تستند على الجدران الخارجية للقصر ، ومهمتها تأمين الوصول إلى الطابق الثاني ، الذي كان مخصصاً للسكن والمنامة⁹ .

ويرى ماتيهيه ان هذه العناصر المعمارية تختلف كلياً عن أسس التصميم المعماري المعروف في الحضارة البابلية القديمة ، حيث تتألف الوحدة المعمارية من باحة مركزية كبرى ، وتحت فيها غرف طويلة موازية لاضلاع الباحة والجدران الخارجية ، كما ان حركة الانتقال داخل جنبات القصر ليست



رسم هندسي يبين أقسام القصر الملكي (ج) عن ماتيهيه.

كانت هذه المكتشفات الجديدة منهلاً لمعلومات جديدة عن فترة ازدهار ثانية شهدتها امبراطورية إبلا في عصر البرونز الوسيط، وذلك مع نهوض الممالك العمورية - الكنعانية منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وقد قامت في إبلا في القسم الاول من هذا العصر بين 2000 - 1800 قبل الميلاد، مملكة قوية، وعادت لتلعب في هذا العصر دوراً هاماً، وعرف من ملوكها مجموعة من الملوك امثال: أجريش حيبا وأبيت ليم . . . وقد استمر هذا العصر الذهبي حتى حوالي 1600 قبل الميلاد، حيث حدث دمار معظم الممالك العمورية - الكنعانية، على يد ملكي الدولة الحثية القديمة: «حاتوشيلي الأول» و«مورشيلي الأول» حيث قاد هذان الملكان بين 1650 و 1600 قبل الميلاد جيوشهما من الاناضول باتجاه سورية الشمالية، واستوليا على مدينة آلاخ (تل عيشانة الحالية في منطقة انطاكية) واحتلا مدينة «اورشو» تلك المدينة الهامة والقريبة من إبلا، ويعتقد باولوماتيهيه ان تكون «اورشو» هذه غائبة في باطن تل طوقان، الذي تقوم البعثة - حالياً - بالتنقيب فيه، ومن المؤكد تقريباً انها استوليا على إبلا ايضاً، وفيما بعد على حلب، عاصمة مملكة يحاحض القوية، وفي نهاية المطاف احتل «مورشيلي الاول» بابل حيث كان يحكمها ملك من سلالة حمورابي⁸ .

يعتبر القصر الغربي من القصور الضخمة ، فمساحته تقارب 300 ، 27 م² . أي بطول 115 م من الشمال إلى الجنوب وعرض 60 م من الشرق إلى الغرب ، والبناء موجه من الشمال إلى الجنوب ، ويأخذ شكل مستطيل غير منتظم ، يعتمد التصميم الداخلي على رصف وحدات سكنية متجاورة ومتماثلة ، ويفصل بين الواحدة والأخرى جدران متوازية .

أما الوحدات السكنية نفسها فيتألف كل منها من باحة سماوية تقوم خلفها غرفتان ، وفي بعض الأحيان ثلاث غرف ، تطل جدرانها الخلفية الطويلة على الباحة نفسها .

8 - المقبرة الملكية ، والقصر الغربي في إبلا ، باولوماتيهيه ، ترجمة قاسم طوير ، إصدار جامعة روما عام 1986 ، (ص 10) .

9 - المصدر السابق (ص 15) .

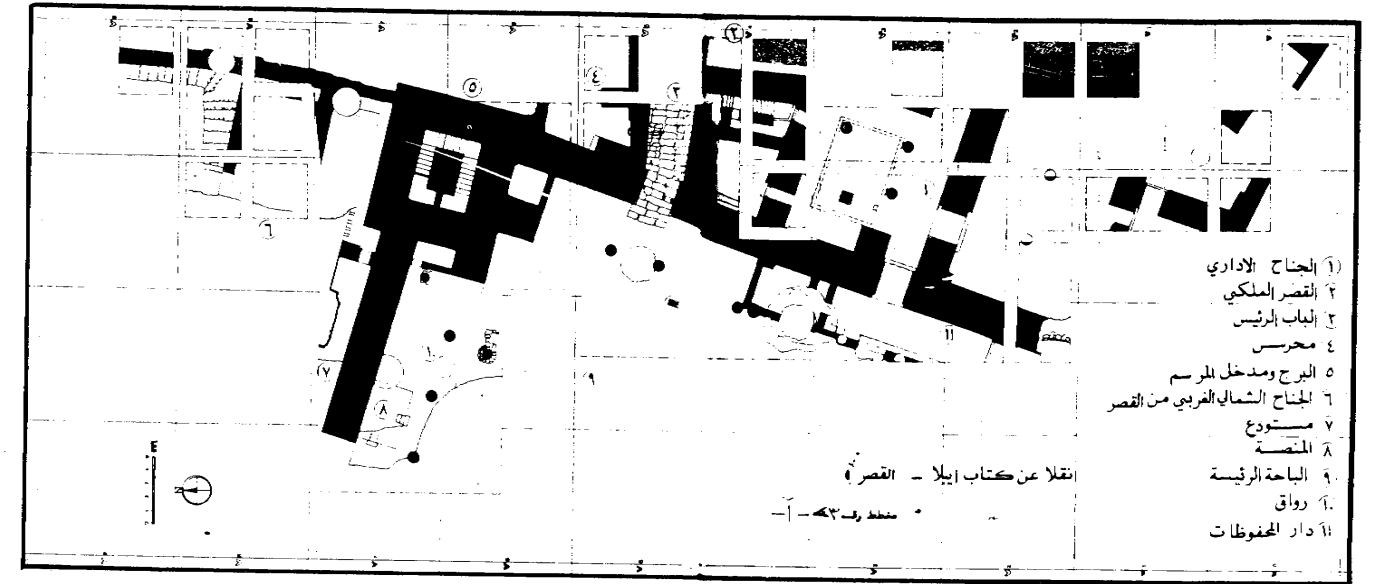


الدرج الشمالي الذي يقود الى
الطابق العلوي في القصر
الغربي

رغبة ملك اوغاريت في زيارة ابنه لمشاهدة قصره، وهذا يدل على معرفة ملوك ذلك العصر بالمنجزات
المعمارية التي تتم في البلاد، وعلى رغبتهم في تقليد الشهير منها.

القصر الملكي (E) :

لم يكشف من هذا القصر - حتى الآن - سوى جناحه الشمالي فقط، وقد شيد على الطرف
الشمالي من التل المركزي و(الأكروبول) وتتوسط الجناح المكتشف باحة مستطيلة أبعادها 28 ×
15 م جدارها الغربي والشمالي اعرض واغوى من الجدارين الآخرين تحيط بها
حجرات من الشمال والشرق، ورواق من الجنوب، ومما يدل على ان القصر كبير ويتألف من



رسم هندسي آخر يبين أقسام
القصر الملكي (ج) عن ماتيه.

دائرية كما في قصر إبلا الغربي، ومركز انطلاقها الباحة الرئيسية في الوسط، ولا يستخدم الدرج
الا قليلاً ...

بناء على ذلك نجد ان قصر إبلا الغربي، بعيد كل البعد عن التقاليد المعمارية الرافدية بدءاً
بالفترة الاكادية، وانتهاء بالعهد البابلي القديم ... وتتجلى مظاهر التقاليد المعمارية السورية في قصر
إبلا في استخدام الاساسات السميكة من الكتل الحجرية الكبيرة لاقامة جدران اللبن فوقها، وفي
الاكثر من استخدام جدران الحجر الكلسي والبازليتي، وفي استخدام دعائم حجرية من قطعة
بازلتية واحدة لوجنات الابواب، وتكون في بعض الاحيان مزينة بمحاريب غائرة في المواقع الرسمية
من القصر ... كذلك فان البوابة الامامية للقصر الغربي في إبلا والتي يحتمل ان تكون محمولة على
عمودين، تسبق البوابة المكتشفة في آلالاخ (تل عطشانة)، كما تسبق ما يسمى بطراز (بيت حيلاني)
الذي انتشر في بلاد الشام خلال الالف الاول قبل الميلاد.

ومن السمات السورية القديمة الاخرى، يذكر «ماتيه» جناح الاستقبال الرسمي ذي التقسيم
الثلاثي، والصالتين الرئيسيتين اللتين يفصل رواق بينهما، بيد ان قصر إبلا الغربي لا ينفرد بهذه
الخصائص، بل هي معروفة ايضا في عمائر آلالاخ (تل عطشانة)، ومع بعض التعديل في تلمن
هويوك، وفي قطنة (تل المشرفة قرب حصص)، وتؤكد هذه الخصائص المعمارية المنفردة في قصر إبلا
الغربي وانسجامها مع القصور الاخرى على استقلال وانفراد الحضارة السورية الشمالية خلال الحقبتين
الاولى والثانية من عصر البرونز الوسيط ... الفترة التي هيمن فيها الأموريون وتوسع فيها
الحوريون.¹⁰

10 - المصدر السابق (ص 16 -
(17).

ان هذا القصر كغيره من القصور الكنعانية - الآمورية في سورية، قد استخدم كمقر للدولة فيه
ادارات متعددة، عسكرية، زراعية، تجارية، ادارية ... وهو قريب او شديد الشبه بقصر «ياريم -
ليم» من حيث المخطط والوظائف ... ولا نستغرب ذلك اذ نعلم من رسالة موجهة من احد امراء
اوغاريت الى هورابي، ملك حلب ... حيث ان هذا الاخير، قد نقل الى ملك ماري «زيميري ليم»



مدفن سيد الماعز (1700 - 1750) قبل الميلاد. وتشير الدلائل الأثرية أن هذا المدفن كان لأحد ملوك إبلا، ونشاهد في الصورة بقايا العظام الجنائزية من الأواني الفخارية المنتشرة في أرجاء المدفن. (عن ماتيه)

يكون قد استخدم للدفن أيضاً، كذلك حال الكهف الذي ظهر على بعد بضعة أمتار خارج الضلع الشرقي، وهناك مدفن سابع وثامن وتاسع، يعتقد باولوماتيه أنه كان لهذه المدافن وظائف جنائزية. كانت المدافن الملكية الثلاثة الواقعة في وسط القصر، مؤلفة من مجموعة معقدة من الكهوف المتصلة مع بعضها البعض بحيث جعلها أصحابها في ذلك الزمان ملائمة للاغراض الجنائزية، وتشير الدلائل الأولية أن «مدفن الأميرات» الواقع في الجنوب، هو أقدم المدافن الثلاثة عهداً، ويليه في الاستخدام الجنائزي المدفن الواقع إلى الشرق من الأول، وقد أطلق عليه اسم «مدفن سيد الماعز». أما المدفن الواقع إلى الغرب من المدفين الأنفي الذكر، فهو أحدثهما عهداً، وقد أطلق عليه اسم «مدفن الخزانات».

يتألف «مدفن الأميرات» من ممر قصير يهبط إلى باطن الصخر بواسطة بضع درجات، ويتجه هذا الممر من الجنوب إلى الشمال، ويقود إلى حجرة الدفن الصغيرة المحفورة في باطن الصخر، يعود تاريخ هذا المدفن إلى حوالي 1800 قبل الميلاد أو أقل من هذا التاريخ بقليل.

بضعة أجنحة، كون الحجرتين الواقعتين إلى الشرق من الباحة لا تتصلان مباشرة بالحجرات التي تليها ولا بد في هذه الحالة من أن تكون هناك باحة أخرى إلى الشرق من الباحة المحررة من الانقاض، وقد يكشف عنها في مواسم التنقيب القادمة في إبلا.

المقابر الملكية:

أعمال التنقيب الأثري في القصر الغربي، قادت البعثة الأثرية إلى الكشف عن مقبرة ملكية يعود تاريخها إلى الحقبة الثانية من عصر البرونز الوسيط، وقد كشف عن أربعة مدافن تحت أرضية المنطقة الوسطى للقصر، أما الكهف الذي ظهر تحت أرضية، «جناح الاستقبال في القصر» فإنه يحتمل أن



المقبرة الملكية في إبلا وتعود لآلاف الثاني قبل الميلاد.

. المعابد:

اشتهرت بلاد الشام في عصر البرونز الوسيط ببناء المعابد المستطيلة ذات الأروقة ، وقد ظهر النموذج الأبركر لهذه المعابد منذ عصر السلالات المبكرة في تل الخويرة ، قرب بلدة رأس العين ، على الحدود السورية - التركية . . وتكرر ظهور هذه المعابد في إبلا ، ويمثل ذلك المعبد (ب - 1) الذي يتمتع بمخطط مألوف في بلاد الشام ، ويتميز بقاعته الطولانية ، ومن المحتمل أن يكون هذا المعبد مخصصاً للإله «رشف» إله العالم السفلي والطاعون والحرب ، الذي كان نظيراً للإله «نرجال» في بلاد ما بين النهرين ، وقد وجد في انقاض هذا المعبد حوضاً عليه نحت بارز لمشهد وليمة ربانية ، ولكنه يضم في وجوهه الأخرى ، نحتاً بارزاً لاشكال محاريب ، ولعل تمثيلهم على هذا الحوض يشير إلى الاجواء المحيطة بالإله رشف ، ومما يؤكد على هذا الافتراض ، ان النصوص المسماة المكتشفة في إبلا تطلق على باب المدينة الرابع ، والحي الرابع¹³ . اسم باب وحي الإله «رشف»¹⁴ . والمعبد (ب - 1) يقع فعلاً في الحي الرابع المواجه للباب الجنوبي للمدينة .

أما المعبد (ب - 2) فإنه يتمتع بمخطط غير منتظم ، ويتألف من هيكل كبير في الوسط ، وله مصطبة ، ومدخل محوري منكسر ، وتحف بالهيكل الكبير هياكل مربعة ومستطيلة أصغر حجماً ، ويعتبر هذا الطراز من المعابد ، ومجهولاً في تصنيف المعابد المخصصة للأرباب في بلاد الشام .

ومن خلال الترتيب المميز لأدوات ووسائل ممارسة الطقوس التي وجدت في المعبد (ب - 1) و (ب - 2) مثل المذبح الذي كان ينتصب عليه تمثال من البرونز ، والالواح البازلتية لتقديم الذبائح ، والمنصات المخصصة لتقديم الاطعمة ، وغيرها مما يتفق كلياً مع طقوس ومراسم الجنازة الملكية ، يرى ماتيه أن القصر الملكي الغربي ، ومعبد رشف (ب - 1) وهيكل الموق (المعبد ب - 2) كانوا يشكلون مجعاً معمارياً متكاملًا ، وكان هذا المجمع مربوطاً عن قصد مع المقبرة الملكية الأنفة الذكر . وبناء على ذلك يعتقد أن توسيع منطقة الدفن الملكية يشير إلى خلق علاقة وثيقة مع القصر ، أي ربط المقبرة الملكية مع المعبد لعبادة اله الأخرى (العالم السفلي) والهيكل المخصص لتقديس الموق¹⁵ .

وبناء على ذلك يمكن اعتبار تلك الوحدة المعمارية الضخمة في القطاع الغربي الأسفل من مدينة إبلا في عصر البرونز الوسيط ، أول دليل أثري متكامل على إحدى المؤسسات «الايديولوجية» الأساسية لمجتمع السلالات الامورية في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين .

. سور المدينة:

أقام المعموريون - الكنعانيون في عصر البرونز الوسيط ، مدناً قوية محصنة أحاطت بها الاسوار الضخمة المصنوعة من الحجر واللبن ، وكان لها بوابات ضخمة تحميها الابراج الدفاعية القوية ، وقد أحيطت مملكة إبلا في مطلع الألف الثاني¹⁶ بسور ضخيم صمم على النمط المعروف بالسور السفح ، وهو جدار عريض عند قاعدته ، ويضيق كلما اتجه نحو قمته .



قبر الأميرة الذي يعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين (1750 - 1825) قبل الميلاد ونرى في الصورة الأواني الفخارية التي كانت توضع في القبر أثناء مراسم الدفن . (عن ماتيه) .

أما مدفن «سيد الماعز» فله مدخل اسطواني يهبط شاقولياً في باطن الصخر ، ويؤدي إلى حجرة دفن مربعة الشكل ، وهناك ممر قصير يؤدي إلى حجرة دفن أخرى لكنها نصف مستديرة في الشكل ، وهي مغلقة بجدار من الحجارة الكبيرة ، وكان هذا المدفن من أغنى المدافن التي عثرت عليها البعثة ، ويعتقد انه يخص احد الملوك في حوالي 1750 قبل الميلاد ، أو بعد ذلك بفترة قليلة .

ويتألف «مدفن الخزانات» من خزانين قديمين للمياه ، كان لهما فتحتان في السقف ثم جرى اغلاقها ، عندما حول هذا الكهف إلى مدفن ، وقد فتح في الشرق مدخل اسطواني يهبط شاقولياً ، وحفر فيه درج يساعد على الهبوط ، وتعتقد البعثة الاثرية ان آخر عملية دفن فيه كانت في حوالي 1700 قبل الميلاد¹¹ .

وقد تأكد من خلال المقارنة ، ان طراز هذه المدافن الملكية الثلاثة المكتشفة في إبلا لا يختلف عن طراز المدافن المعروفة في بلاد الشام ، والتي تؤرخ بالحقبة الثانية لعصر البرونز الوسيط ، ويتميز هذا الطراز بوجود حجرة الدفن والمدخل الشاقولي ، وينتشر مثل هذا النوع من المدافن بين اريحا في فلسطين وجبيل على سواحل الشام ، علماً بأن المدافن ذات المداخل الافقية ليست إلا حالة استثنائية ، ومنها «مدفن الأميرات» ، و «مدفن خزانات المياه» في إبلا ، أما بقية مدافن إبلا ذات المداخل الشاقولية فهي النوع الشائع في بلاد الشام خلال الحقبة الثانية لعصر البرونز الوسيط¹² .

12 - المصدر السابق (ص 28)

11 - المصدر السابق (ص 18 - 19)

13 - كانت مدينة إبلا كما تشير التنقيبات الأثرية مقسمة إلى أربعة أحياء سكنية .

14 - عبادة الأجداد في إبلا الامورية ، باولوماتيه ، مصدر سابق (ص 35) .

15 - المصدر السابق (ص 35) .

16 - يعود تاريخ هذا السور تحديداً بين 1800 - 1950 قبل الميلاد .



طبعة ختم اسطواني على جرة فخارية. يتألف المنظر من شكل الآلهة عناة، والإله حدد وهما في حالة وهب الحياة لأحد الأمراء الإبلانيين حوالي (1750 - 1725) ق.م.

الآلهة الكبار:

1 - دجن او (داغان) : لقد امتدت منطقة عبادة هذا الاله الكبير على مناطق واسعة من سورية. وكانت إبلا وماري وترقة (تل العشارة) وتوتول (تل البيعة قرب الرقة) من اقدم مراكز عبادته في الالف الثالث قبل الميلاد، كما شملت ايضاً مناطق واسعة من بلاد الشام وما بين النهرين، وقد كان دجن (داغان) اله مدينة (توتول) مشهوراً جداً، الى درجة انه كان يبجل ويقدس في إبلا بصفته «ملك توتول»، ووجدت مناطق عبادة لهذا الاله في كثير من المواقع الاثرية وسمي معبده في (ترقة) بـ «بيت راحة الموتى» و«بيت رعشة البرد».

وكان الاله دجن (داغان) في سورية بمثابة اله الغلال، ونلاحظ انه يوضع في لائحة الهة سورية جنباً الى جنب مع كبير الهة السومريين «انليل» وبصفته الاله الحاكم الذي كان يلقب بـ «ملك البلاد» و«سيد الالهة». اما زوجته فهي «شالاش» المساوية للالهة «ننليل» زوجة «انليل». وابن (دجن) هو اله الطقس والانواء «حدد» المعداد فيما عدا ذلك ابن اله السماء، وفي احدى المرات سميت ابنته «عشتار».

وفي النصف الثاني من الالف قبل الميلاد، كان (دجن) مساوياً لاله الشعير الحوري «كوماري» - ابي الالهة.

2 - الالهتان حبيات وعشتار : ان (حبيات) احدى الآلهات السوريات المقيمات التي قابلناها في إبلا، ويمكن ربط اسمها بـ (حدا) إلهة «الساقية». وقد اصبحت في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد، (سيده أرض الارز) في لبنان، وكذلك إلهة مدينة حلب وكوماني واماكنا اخرى كثيرة، واصبحت فيما بعد زوجة الاله (تيشوب).

الا ان الزوجة الفعلية لإله الطقس، فهي ليست (حبيات) بل اخته، وهما في اوغاريت (رأس الشمرة) (بعل - عناة) وفي شمال بلاد الرافدين (حدد وعشتار) وعند الحوريين (تيشوب وشاوشكا)، اللذان يكونان زوجاً لصيقاً أحدهما بالآخر...

وعشتار هي الالهة الشهيرة رمز الجنس والعواطف والحرب والاضطراب، وبصفتهما الاقرب الى الذكورة كالهة حرب تظهر في السماء كنجمة الصباح وبصفتهما الاقرب الى الانوثة تظهر كنجمة المساء، وكانت عبادتها في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام اكثر شعبية من بقية الالهة الاخرى.

ونسجل لعشتار دورها في تعرف علماء الآثار على موقع إبلا في (تل مردوخ) عام 1968 حيث عثر على تمثال بازلي نصفي مقطوع الرأس عليه الكتابة المسارية التالية :

هذا الخوض تقدمه لمعبد الربة عشتار، من ابيت ليم بن اغريش حيبا، ملك من سلالة إبلا... في السنة الثامنة لعشتار.

ومنذ ان تألق نجم إبلا، ادخل ابيت ليم هذا التمثال الى المعبد، من اجل حياته، وحياة بنيه، وسرّت عشتار بهذه التقدمة سروراً كبيراً.



تمثال طيني آخر يمثل الإلهة عشتار في إبلا.

3 - الإلهة اشخارا : تفيدنا ترجمات الرقم المسارية، ان اشخارا كانت الهة سورية قديمة، وقد قابلناها في مجموعة الالهة في امبراطورية إبلا، حيث كانت طبيعتها مشابهة لطبيعة (عشتار) وبصفتهما الالهة العليا في منطقة شمال سورية، فقد سميت في الاتفاق المصري الحثي بين رمسيس الثاني، وهاتوشيلي الثالث بـ «اشخار سيده الجبال والانهار في أرض الحثيين».

كان رمزها في العصر البابلي القديم، الافعى الاولى باشمو، وهناك مثلاً قسم كان يقدم باسم «افعى باشمو اشخارا» وبعد ذلك اصبح العقرب رمزها الحيواني⁷.

4 - كورا وككّاب : وكان لهما دورهما الخاص والمهم في إبلا، حيث كانا يقومان بدور الشهادة على المعاهدات الدولية التي تعقدها إبلا مع المدن الاخرى، والشهادة كانت تعني، تنفيذ شروط المعاهدة.

5 - الاله دامو : يعتبر الاله دامو من اشهر الآلهة التي عني بها عامة الشعب، وقدموا لها القرابين الكثيرة، ونتيجة لحبهم له واهتمامهم به، فقد كان اسمه منتشرًا بكثرة مع أسماء الناس، وذلك تبركاً به، وكانت تدور حوله، وحول دموزي (تموز) والالهة (غولا) الكثير من القصص ذات الصلة بالعالم السفلي.

7 - الآثار السورية، مصدر سابق (346 - 349).

. ترانيم واساطير :

لقد كشفت لنا ترجمات الرقم المسهارية الابلائية على بعض الاناشيد والترانيم والاساطير، وهذه النصوص لا يمكن - حتى الان - القطع بشأنها، لان اكثرها لم يدرس بعد الدراسة الدقيقة الوافية. ولان الكثير منها مترجم عن اعمال سومرية اصلاً... لذلك لا يمكن تقييمها قبل ان تدرس دراسة مقارنة دقيقة، وعلى سبيل المثال : هناك اسطورة بطلها اصلاً إلهان من الآلهة السومرية هما (انليل) و(وانكي)، وقد وجد علماء الآثار انه يصعب في المرحلة التي نحن فيها من دراسة الرقم المسهارية، يقال بان محتوى الاسطورة هو إبلائي تماماً، او حتى الى اي درجة هو ابلائي جزئياً.

ترجمات الرقم كشفت لنا - حتى الان - نحو عشرين اسطورة، بعضها وجد في اكثر من نسخة واحدة، وهذه تلقي ضوءاً جديداً على الالف الثالث قبل الميلاد... والآلهة التي تتحرك خلال هذه الاساطير هي الآلهة السومرية الكبيرة مثل : انليل وانكي واوتو وانا... .

والسؤال الذي يطرح حول دور هذه الآلهة من حيث طبيعتها، هل ظلت سومرية ام اصبحت إبلائية؟! والى اي حد؟!

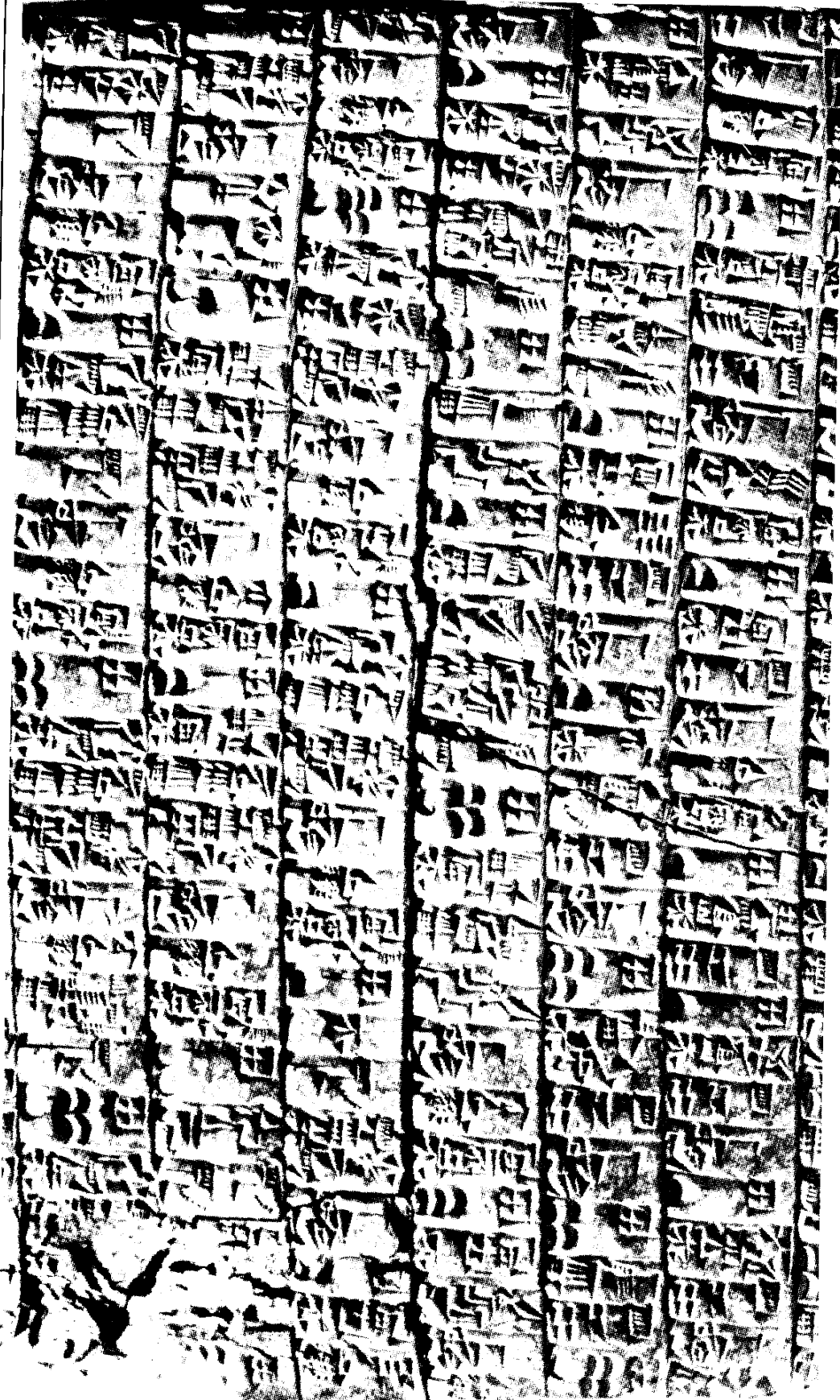
تحتوي هذه النصوص على ملاحم تروي قصصاً متنوعة، وعلى اناشيد للآلهة، ومن الاولى مثلاً : عثر على نسختين للمحمة «جلجامش» وهناك ما يشبه انشودة الخلق، وهي ابتهاج لسيد الارض والسموات، وفيها شيء من التقدم عن الوثنية التعددية التي عرفت في تلك الازمنة :

رب السموات والارضين :
- ان الارض لم تكن (موجودة) وانت خلقتها.
ان نور النهار لم يكن (موجوداً) وانت خلقتة،
لم يكن نور الصباح قد امرت بخلقه بعد،
ايها الرب (انت) الكلمة الفاعلة...
ايها الرب (انت) الرخاء...
ايها الرب (انت) البطولة...
ايها الرب...
ايها الرب (انت) الذي لا تمَل...
ايها الرب (انت) الالهية...
ايها الرب (انت) الذي ينجي...
ايها الرب (انت) الحياة السعيدة الابدية⁸.

لقد اثار هذا النص الابتهاج المتقدم الكثير من الاهتمام من قبل علماء الآثار واللغات القديمة، وخاصة عندما حاول «جيوفاني بتيناتو» الادعاء بوجود علاقة بينه وبين ملحمة الخلق في سفر التكوين، وقد رد عليه العالم الكبير الفونسو آركي بالقول ان جو النص يدور في كواليس سومرية، ومن الصعوبة بمكان عقد الشبه بينه وبين سفر التكوين، كما يدعي بتيناتو⁹.

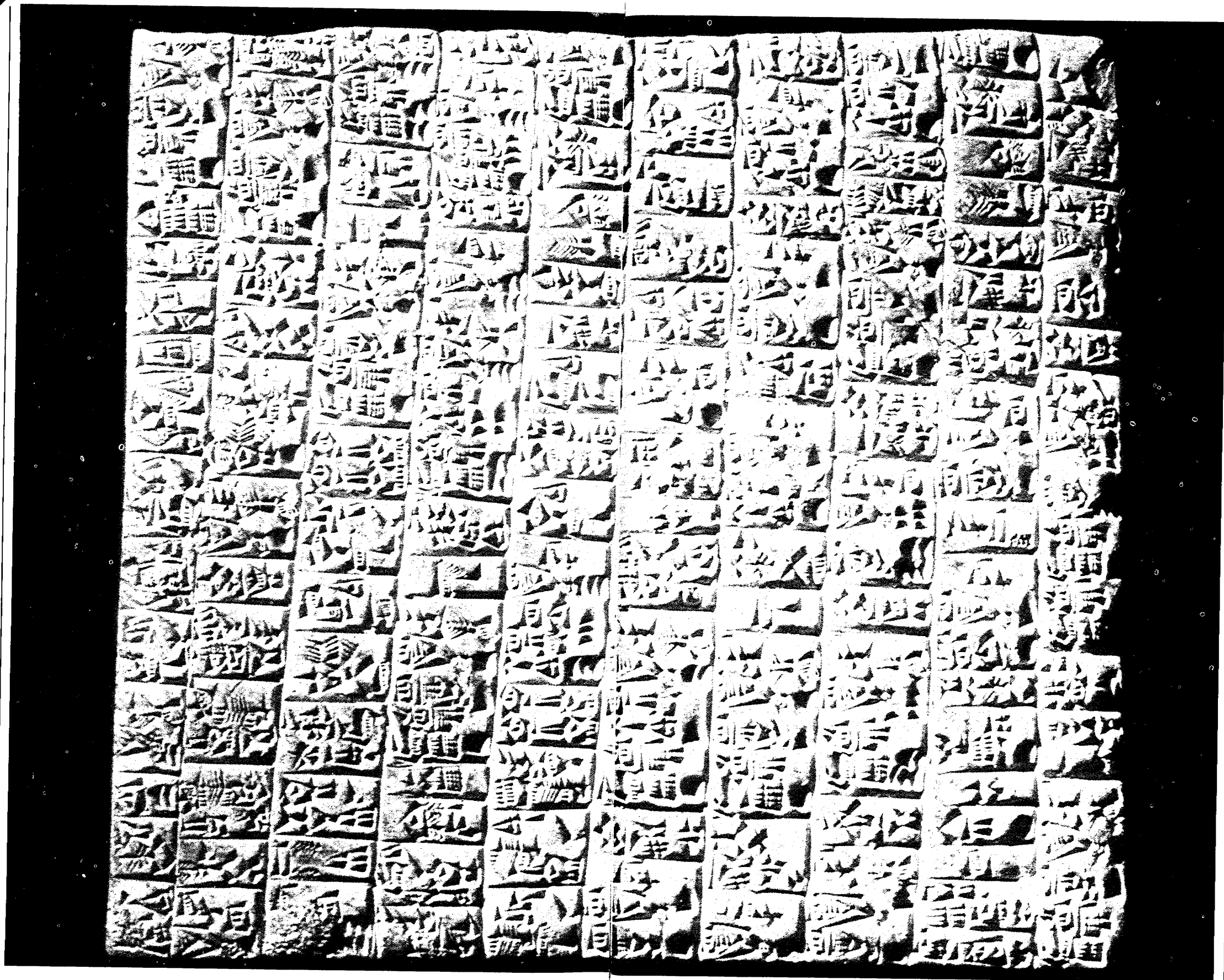
8 - انظر : G. PEHINTO : THE ARCHIVES OF EBLA, p. 95.

9 - الشواهد الكتابية في إبلا والتوراة، الفونسو آركي، مجلة بيليكا، العدد (60) ترجمة الاستاذ قاسم طوير، نشرت في كتابه إبلا، الصخرة البيضاء (ص 69).



رقيم مسماري من إبلا يتضمن قائمة بالهيات الشهيرة التي تقدم من القصر لآلهة المدينة.

آداب
إبلانية



الحديث عن الأدب الابلائي ، باعتقادي ، لا يزال سابقاً لأوانه ، لأن أكثر الرقم المسماة المكتشفة لم تترجم ، ولم يعرف محتواها . . . كما أن النصوص الأدبية المصنفة لا يزيد عددها عن خمسة وعشرين نصاً ، مازالت الآراء متضاربة حول تفسيراتها وترجماتها ، وكان أول من درسها «ادزارد» عام 1984 في دراسته (الارشيف الحقيقي لابلا V Testi) وهناك لمحات بسيطة عرضها الفونسو آركي من محتويات هذه النصوص .

في البداية نقول ان الكثير مما يسمى (الأدب) وصلنا من مواقعنا الأثرية ، مثل الأساطير والحكم وغيرها كان يتناقل بالرواية الشفوية ، والواقع ان بعض تلك الآداب والاساطير التي وصلتنا ، مثل ملحمة «جلجامش» قد مرت في عملية تطور معقدة ، تمت خلالها على الدوام ، قبل ان تكتب في صيغتها النهائية ، وربما كانوا يقومون بالرواية الشفوية

من يتتبع نصوص الأدب القديم ، الذي اكتشفت نصوصه في إبلا وماري وأوغاريت وغيرها ، يجد بجلاء ، ان أكثر جوانبه ، إن لم يكن كله ، ممتلئ بالجوانب الدينية ، ومطبوع بطابع الايمان والهيمنة الدينية الواضحة ، وسبب ذلك يعود إلى أن العديد مما اكتشف من هذه النصوص مصدره أرشيفات كان يشرف عليها موظفو المعابد ، وهذا لا يمنع من وجود بعض النصوص الادبية التي تتعلق مواضيعها بالأمور الدينية ، وخاصة ما يسمى بنصوص الحكم التي تربط الفولكلور والأمثال والنصائح السياسية ، ونصائح الزواج وغيرها ببعض . . . إلا أننا لا نعرف - حتى الآن - إلا القليل من أدب الحكمة السوري القديم ، مع أن بعضه متضمن أحياناً في الاساطير والخرافات¹ .

• أنشودة النجوم:

تعد هذه الانشودة «القصيدة» التي اكتشفت في القصر الملكي (G) في إبلا ، أكمل وأجمل النصوص الأدبية التي وصلت إلينا - حتى الآن - من الأدب الابلائي وتعد برأي العلماء أقدم قصيدة عرفتها الإنسانية ، نظمها شاعر إبلائي ، لا نعرف اسمه - منذ ما يزيد عن أربعة وأربعين قرناً؟! وربما تكون أقدم من هذا العصر بكثير ، إذ انها قد تكون متناقلة من جيل إلى جيل ، حتى تم تدوينها في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد .



1 - الآثار السورية ، إصدار مؤسسة البريد الدولي للنشر فيينا ، (ص 352) .

لقد قام بترجمة الانشودة «القصيدة» العالم اللغوي «إدوارد» ونشرها في (ARET V) عام 1984 ، غير أنه اكتفى بإيراد اللفظ دون دراسة القصيدة ، دراسة أدبية أو لغوية كافية ، وقد قام الزميل حميدو حمادة ، الاختصاصي بقراءة الرقم المسامرية بمتحف حلب ، بتبيان صلتها بالأدب والنحو العربي² .

تبدأ الانشودة الابلائية بالعبارات التالية :

«اصمد خبخي ،
اصمد لسانم ،
اصمد دخر سينم ،
اصمدك على ابنيهم صلميم ،
عل زيدان أمان ،
أصمدك عل زنبات شمش
لابنم يلبن ، لبتم
عل بابي إنليل أبي إيلي
وككب»

بهذه العبارات ابتدأ الشاعر انشودته ، وفيها نجد بأن الشاعر قد نذر نفسه ، أن يضع أمام محبوبته كل خوافي نفسه ومشاعره ... كل تعابيره الشعرية ، وكل مآذخه من قوت لأيام شدته ...

إنه سينحت «مثالا» من الصخر الاسود ، وسيضعه في مكان مرتفع ، وسينقش اسمه على فؤوس المحارين ، وسيكتب على بابي الإله إنليل عبارات التمجيد ، وعلى أزيال الشمس ، سيذكر هذا المحبوب !! سيقدم الأضاحي والقرايين ... سبعة رجال ، وسبع إماء في أول كل شهر ... وسيطلي بالبياض أبواب المدينة ، ولبنات الأسوار ، ولن ينغص محبوبه !!

كلمات شعرية وصور أدبية تحمل كل مواصفات الشعر ، وتحتوي على قافية تتنوع كل عدة مقاطع ، وال مضمونة في المقطع الأول ، وكاف مفتوحة في المقطع الثاني ، وقفل يتكرر كل عدة أسطر.

ان الافعال التي وردت في النص هي :

- (أصمِدُ ، أَصْمِدُكَ ، يَلْبَن - ينخص) وكلها أفعال مضارعة تدور في فلك الأكادية والعربية ..

أصمِدُ : فعل مضارع مرفوع . أَصْمِدُكَ : اتصل بالكاف التي هي ضمير المخاطب .. أما يَلْبَن وينخص : فقد اتصلت بأحرف المضارعة ، وتعود الى الغائب المفرد.

أما علامات الاعراب فهي متطابقة تماماً مع العربية ، لناخذ الامثلة التالية :

- عل أبنيهم صلميم : جار ومجرور ومضاف إليه .

- عل بابي إنليل أبي إيلي : جار ومجرور ومضاف إليه ، وبدل .
- لابنم يلبن لبتم = ظاهرة المفعول به المنصوب .
- أصمِدُ لسانم : جمع مؤنث سالم .
- عل زنبات

أما ظاهرة المثني : عل بابي إنليل ، فنلاحظ علامة التثنية ، وحذف النون للإضافة ، ونشير في هذا المجال ، ان ظاهرة المثني انقرضت في اللغات «السامية» التي سادت في الألف الأول قبل الميلاد ، وانحصرت في كلمات معينة (في الأزواج) . أما في لغة إبلا ، وفي لغتنا العربية ، وفي الأكادية في عهد (صارغون) فقد كانت هذه الظاهرة شائعة ، وهذا يقدم لنا أكبر دليل على قدم لغتنا العربية التي مازالت محتفظة بهذه الظاهرة إلى يومنا هذا .

وفي أدبيات إبلا ما يشير إلى أن قواعدها ونحوها وصرفها يجب أن يدرس في لغتنا العربية لأنها هي الأقرب إلى لهجة إبلا ، ليس من ناحية القواعد فقط ، كما مر معنا في نص «انشودة النجوم» وإنما أيضاً من حيث المعاني والدلالات المختلفة ، ولا اعتقد أن هناك - بشيء من الروية من لا يستطيع معرفة عبارة :

«عل بابي إنليل أبي إيلي»

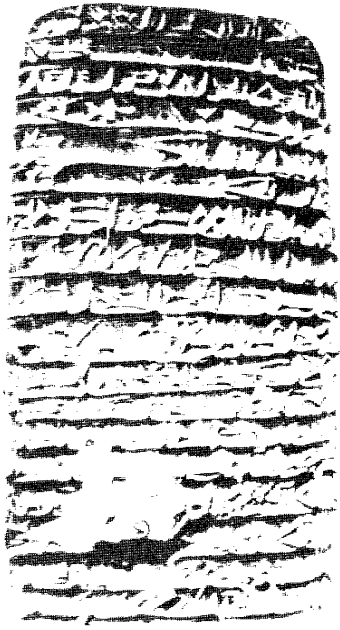
المقصود بها على بابي إنليل أبي الألهة .. إننا حينما نسمع مفردات لغة إبلا نحس بأننا نسمع لهجة عربية ، غير أن الصعوبة تكمن في المفردات السومرية التي كثر استخدامها في إبلا مثل عبارة :

كروش (GURUŠ) وحجر (NAH) وفؤوس (GIŠAL) وإماء (SIKIL) . وهذه العبارات تعرف بـ (اللوغوغرامات) ... إنها كانت معروفة لدى سكان إبلا ، غير أنهم ركبوها في تراكيب خاصة بالاسلوب الابلائي ، ولذا فإن من يريد التصدي لدراسة نصوص إبلا ، فلا بدله من معرفة أسرار العربية وقواعدها ، وحينما تتوفر هذه العناصر ، تتوفر مفاتيح تفسير هذه اللغة التي اختلف العلماء في تصنيفها ، وفي الأسرة التي تنتمي إليها³ .

ومن المفيد أن نشير إلى قراءة مماثلة قام بها الدكتور البيرفريد نقاش ، أستاذ اللغات القديمة في الجامعة اللبنانية - قسم الآثار ، لنص آكادي مماثل لانشودة النجوم الابلائية ، بعنوان «أخذة كيش» تلك التعويذة التي كتبت لاستئالة قلب امرأة من كيش ، إلى رجل يحبها ...

لقد قام الدكتور البير بقراءة النص مباشرة من الأكادية إلى العربية دون الاستعانة بوساطة لغة أخرى ، كما يفعل علماء الغرب ، وقد توصل إلى النص التالي :

«حيا يرأم اليرحم⁴
اليرحم ابن عشت قائم في المحراب
بيخور المر يتجل
البتولتان الحستان استشفعتا

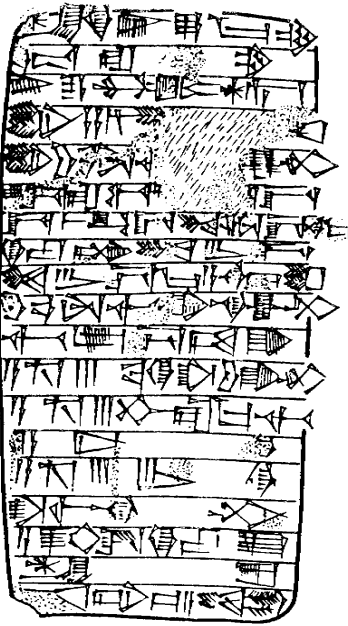


أخذة كيش ، من أقدم النصوص الأدبية في العالم (2300 ق.م. - الوجه الأول من الرقيم المسامري).

3 - انظر فصل الكتابة واللغة الابلائية .

4 - كلام قدسي : استحضار اليرحم ، وهو كائن شبه إلهي ، لا ذكر له إلا في هذا النص .

2 - انظر حوار معي ، صحيفة تشرين السورية بتاريخ 22 / 8 / 1986 .



رسم توضيحي للوجه الأول من الرقيم المسامري لأخذة كيش .

- 5 - حث الرجل على استعطاف اليرحم .
6 - تأخير جسد المرأة .

- 7 - وصف اليرحم ودعوته إلى الاستيلاء عليها .
8 - تأخير فتنة فم المرأة .
9 - الدعاء عليها بالانقباض .

- 10 - أخذه كيش ، تقديم وتحقيق البير فريد النقاش ، حسني زينة ، منشورات شركة المطبوعات والتوزيع والنشر - بيروت 1989 . (ص 47 - 49) .

وَرَدْنَا الْكُرمَ وَصَدَرْنَا
فِي كُرمَ بِخُورِ الْمَرْطِيبِ وَدَّكَ⁵
أَخَذْتُ فَالِكَ ذَا الرِّقَّةَ ، أَخَذْتُ عَيْنِيكَ الزَّرْقَاوِينَ ، أَخَذْتُ جِرْكَ ذَا الثَّنِيَّةِ⁶ .

* * *

خَفَقْتُ إِلَى كُرمَ (الاله) سَيْنَ وَقَطَعْتُ مِنْ غَرَبَةِ الْفُرَاتِ
تَمْجِيداً ذَكَرْتَنِي مَدَّةً دَهْرِي ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .
كَالرَّاعِي يَطُورُ الضَّأْنَ ، وَالْعَنْزَةَ جَدِيهَا ، وَالشَّاةَ حَمْلَهَا ،
وَالْأَتَانَ مَهْرَهَا .

هَبَّتَانِ يَدَاهُ ، دَهْنٌ وَطِيبٌ شَفْتَاهُ .
دَهْنُ الْأَرَزِ اللَّائِقِ فِي كَفِيهِ ، دَهْنُ الْأَرَزِ اللَّائِقِ فِي فَوْدِيهِ
زَمَزَمَ الْيَرْحَمَ عَلَيْهَا ثُمَّ فَتْنَهَا⁷ .
أَخَذْتُ فَالِكَ الْحَبِيبِ⁸ .

أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِـ (الِإلهة) عَشْتَرُو (الِإلهة) إِشْخَرُ ،
أَلَا تَتَفَسَّحِي قَبْلَهَا زُورُهُ وَزُورُكَ يَعْتمِدَانِ⁹ .

من المرجح أن يكون كاتب النص أحد كهنة الإله (حيا) ولكن هذا لا يعني أن النص نجوى ذاتية أو خبر عن الكاهن ، فالكلام فيه لا يجري على نسق واحد ، بل ينطوي على تنوع والتفات من الخبر إلى الخطاب ، إلى الوصف الحسي بإسلوب أدبي بادي الزخرفة ، بين الإيقاع¹⁰ ويأخذ هذا النص قيمته من مقارنته مع «أنشودة النجوم» الابلائية المعاصرة ، وهذه إشارة أخرى إلى وحدة الجوهر اللغوي بين اللسان العربي والآكادي والابلائي .



إبلا
كتابة
ولغة



رقم مسماري من إبلا عليه
كتابة يعود تاريخها الى الألف
الثالث قبل الميلاد.

لا نجافي الحقيقة اذا قلنا ان مشرقنا العربي القديم، كان مهد الحضارات الانسانية الاولى، وتعتبر الكتابة اعظم نتاج حضاري قدمه ابناء هذه المنطقة الى البشرية، وقد قدمت لنا الكثير من المواقع الاثرية في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين، ما يشير الى ظهور هذه الكتابة (المسمارية) في آواخر الالف الرابع، وأوائل الالف الثالث قبل الميلاد، وكان الشعب السومري هو الذي اوجدها، وله الفضل في انشاء حضارة تعد من الحضارات الاولى التي عرفها الانسان في تاريخه القديم.¹

كانت الواح الطين (الرقم) تشكل مادة الكتابة الرئيسية عبر التاريخ الطويل الذي عرفته الكتابات المسمارية، إذ استمر وجودها حتى عام 50 بعد الميلاد، فكانت تطبع عليها العلامات المسمارية، وهي لا تزال طرية، ثم تعرض للحرارة، او تشوى، حتى تجف وتصلب ويصعب تهشيمها... وكان القلم الذي استعمل في طبع الاشارات المسمارية في بداية ظهورها مصنوعاً من الخشب، وذا رأس مثلث الشكل، دقيق المقدمة، ثم اصبح بعد ذلك غليظاً، بعض الشيء، واستمر كذلك حتى اختفاء الخط كله، ولما كانت الاشكال التي تظهر على الرقم تعكس شكل القلم المستعمل ذي الرأس المثلث، فتبدو كالمسامير، حتى في بداية الكتابة عندما كانت تصويرية، فان هذا الشكل هو الذي اكسب اسم «الكتابة المسمارية» او «الاسفينية» في العربية.

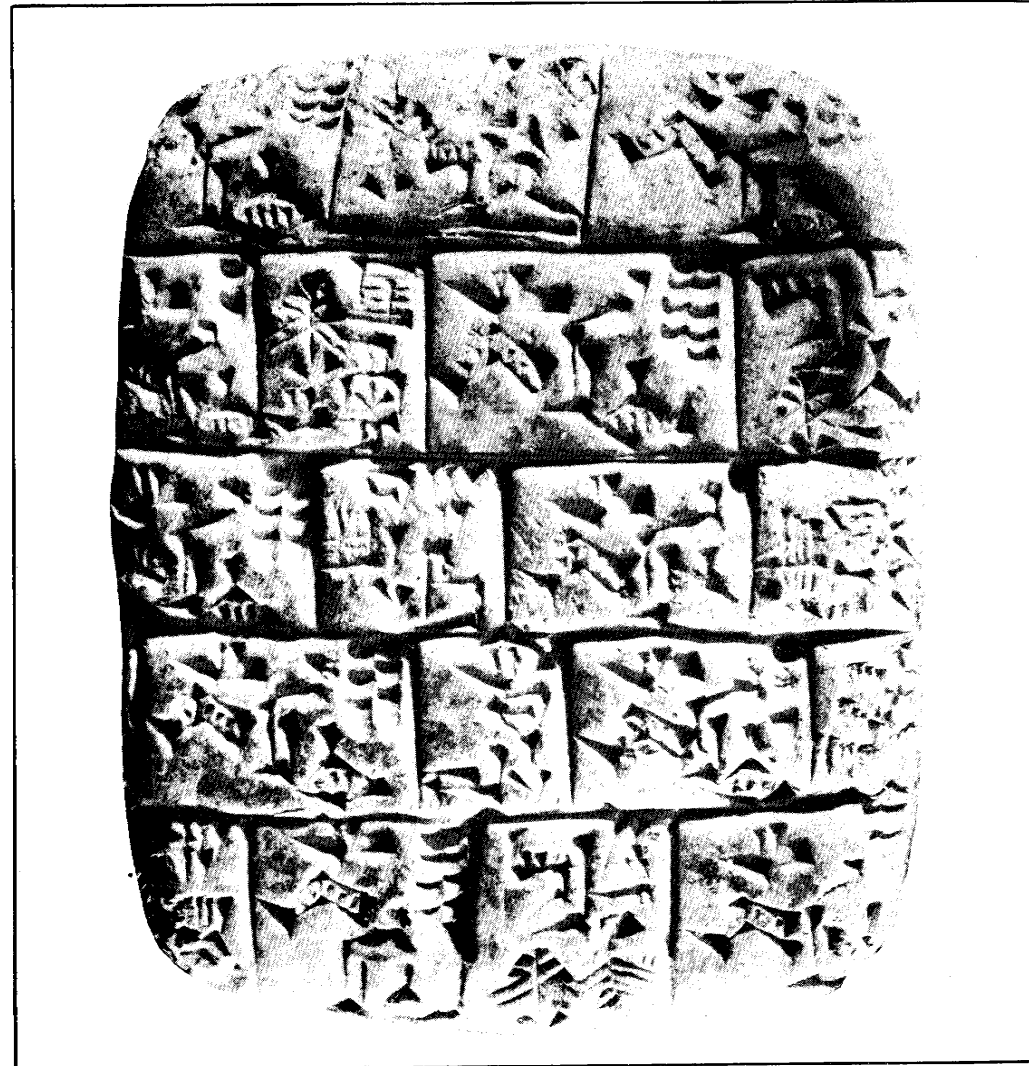
كانت البدايات الاولى للكتابة السومرية تصويرية، تعبر عن الاشياء، بصور تعكس شكلها الحقيقي، الا ان عدد تلك الصور لم يكن كبيراً، لانها جعلت للاشياء التي يندر استخدامها، مثل صورة الاسد، واثني الابل والماعز الجبلي. كما كانت تضم عدداً كبيراً من الصور المقتضبة التي تمثل الشيء الحقيقي باختصار ووضوح كاف، كأن ترسم رأس الحيوان لتدل عليه عوضاً عن رسم هيئة الحيوان بكامله.

ومن ثم ظهرت الرسوم التي بدأت تبتعد تدريجياً عن الصورة الاصلية فاصبحت الاشكال تبدو ابسط تكويناً، وتفقد صلتها الواضحة بالشكل الاولي المتقن، حتى اصبحت اشارات وعلامات، بل رموزاً، يدل كل واحد منها على صوت محدد، او اصوات قريبة من بعضها، وسبب ذلك كله يرجع الى استخدام القلم ذي الرأس المثلث الغليظ، الذي ما عاد يسمح برسم الخطوط المنحنية التي تشكل منها الكلمة (الصورة) فاضطر الكاتب الى رسم زاوية محل الخط المنحني بما تيسر من اشكال مسمارية، ومن ثم بدأ يقلل من هذه الاشكال المعقدة، وكانت النتيجة ان ضاع الشبه بين هذه الاشكال المتأخرة وبين الصورة الاصلية، وهذا تطور بديهي.²

1- ان البت في هذا الموضوع الهام، لم يزل موضوع جدل كبير بين علماء اللغات القديمة، فثمة من يعتقد ان السومريين اخذوا ايضاً من الرافديين قبلهم.

2- الابجدية، نشأة الكتابة وتطورها عند الشعوب، د. احمد هبو (ص 34-35).





رقم مسماري من مكتشفات
أرشيف القصر الملكي العائد إلى
فترة الازدهار الأولى في الألف
الثالث قبل الميلاد.

ونشير إلى حقيقة مفادها أن بعض الباحثين، يقومون بترجمة هذه الكتابات وفي أذهانهم التعرف على أحداث التوراة من خلال هذه المدونات القديمة، ومحاولة مطابقة هذه القراءات مع مجيء في التوراة، فيحملون النص أكثر مما يتضمن، وهذا ما حدث مع «بتيناتو» وقبله مع «فيرولو» وغيرهما، كما أن بعض هؤلاء لا يجيدون قراءة اللغة العربية، الابنة الشرعية لكل اللغات «اللهجات» القديمة، فيقعون في شرك تشويحات الترجمة الأجنبية، وقد ثبت بما لا يقبل الشك الصلة الوثيقة، والتقارب الحميم بين لغتنا الحالية (لهجتنا) ولغتنا القديمة، وأن اللغة العربية بصورتها الحالية كافية لاستيعاب كل نصوص المدونات القديمة، دون مخافة التشويش أو التشوية.⁶

وهنا نصل إلى لب المشكلة... مشكلة اختلاط الأوراق في القراءات الأولية لرقم إسلا، والتأويلات الخاطئة التي تلاشت الآن بعد أن بينت الدراسات المستجدة، أن هذه اللغة التي دونت بها هذه المحفوظات الهامة النادرة، ماهي إلا لهجة أكادية قديمة، مازالت تحتفظ بأهم سمات لغتنا الأم...

أن الكتابة المسمارية المكتشفة في إسلا، سجلت أسطرها وفق المنحى العمودي، أي أن مقاطعها وكلماتها تتوالى من الأعلى إلى الأسفل على غرار الكتابات اليابانية والصينية. أما من حيث

لقد انتشر الخط المسماري على أيدي الأكاديين، الذين تسلموا الحكم زمن ملكهم (صارغون) في عام 2350 قبل الميلاد في جميع مناطق بلاد ما بين النهرين، وانتقل إلى عيلام وإلى بلاد الشام، فكتب به الحوريون والحثيون في آسيا الصغرى، كما كتب به المصريون مراسلاتهم مع ملوك المشرق العربي القديم في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد باللغة البابلية والخط المسماري، واستخدمه الأخمينيون (الفرس) أيضاً، وتأثر الأوغاريطيون بشكله رغم اختلاف كتابتهم من حيث المبدأ معه، ثم ما لبث أن تقلصت رقعة المناطق التي كانت تكتب به إثر سقوط (نينوى) عاصمة الآشوريين في عام 612 قبل الميلاد، واستمر في بابل إلى نهاية العهد السلوقي، أما تاريخ آخر كتابة مسمارية فيعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي، ولا شك أن سبب انحسار الرقعة التي كانت مسرحاً للكتابات المسمارية أولاً، ومن ثم اندحارها وانقراضها هو ظهور الكتابات الأبجدية في منطقة المشرق القديم، وانتشارها السريع بين الشعوب المجاورة لسهولة كتابتها، وقلة عدد علاماتها، وميل الناس إلى استعمال الكتابة في أغراض مختلفة ومتعددة، غير الأغراض التقليدية القديمة ذات الصلة بالاقتصاد وأمور الحرب والدين.³

3 - المصدر السابق (ص 39).

أن المتتبع لمسيرة الكتابة المسمارية، يرى أنها كانت في البداية تصويرية رمزية، ثم أصبحت صوتية، وفي غالب الأحيان لم يعد فيها علاقة بين الصورة والصوت... فاشارة اليد كانت في الأصل ليد الإنسان، ولا تعني إلا اليد، وعندما أصبح لها قيمة صوتية (شو) لأن (يد) تسمى (شو) لدى السومريين، وأصبحت هذه الإشارة تستخدم لتسجيل صوتياً لكل كلمة فيها المقطع (شو)، وثمة ملاحظة يوردها الدكتور عدنان البني⁴ فيقول: «بصدد موضوع الكتابة المسمارية فإن إشارات الكتابة محدودة العدد، أما الأفكار فلا تقع تحت حصر، ولابد من التعبير بإشارة واحدة عن كل الأفكار القريبة من معناها الأصلي، فشكل القرص لا يعني الشمس فحسب، بل فكرة النهار وفكرة الفياء وفكرة البياض... ولما كان كل من هذه الأفكار له اسم مختلف، فإن إشارة القرص الأصلية قد أصبح لها قيم صوتية جديدة... ومن هنا فإن إشارات الكتابة المسمارية يمكن أن تعبر عن أصوات عدة تصل أحياناً إلى خمسة عشر أو عشرين. وبالمقابل فإن لفظة واحدة تعطي في لغة من اللغات معنيين أو عدة معان، وفي الكتابة رمزية كالمسارية السومرية نجد المعاني المشتركة لفظياً لا بد أن يكون لكل منها إشارة خاصة وبالتالي، فإن العديد من الإشارات تدل على لفظ واحد... ولما كانت الكتابة المسمارية وضعت أصلاً لتسجيل لغة مدغمة ملصقة أو مدغمة كالسومرية، وهذا يلائمها، فلما اقتضت على الأمور الدينية، وحلت محلها اللغة الأكادية في بلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام، وماجاورهما، وكتبت الأكادية بالمسارية السومرية، حصلت صعوبات جديدة في الكتابة المسمارية، لأن الكتابة السومرية، بالأصل غير مؤهلة تماماً للتعبير عنها، فالأكادية كالعربية بعض حروفها لها حالات في اللفظ (كالتاء والطاء والثاء والصاد والظاء والسين والشين) ولا تفرق الإشارات المسمارية بينها.

في هذا الصدد يقول «بول غاريلي»: إزاء هذه الطريقة المعقدة في الكتابة كان لابد للباحثين الأوائل من أن يضلوا سواء السبيل، وما أن يتوصلوا إلى معرفة قيمة أو لفظ إشارة من الإشارات في أحد الأسماء، حتى يتضح لهم أن هذه الإشارة تقرأ بشكل مغاير من اسم آخر، الأمر الذي لا بد أن يزرع الشك بالنسبة لقراءة الاسم الأول.⁵

5 - المصدر السابق (ص 26-25).

6 - انظر حوار مع الدكتور
البرير فريد نقاش حول
قراءاته لنصوص تراثنا
القديم، صحيفة تشرين
السورية 1989/5/18 (ص 3).

توالي الاسطر نفسها فهي تتوالى من اليسار نحو اليمين، وهذا يعني ان الكتابة الابلائية المسطورة على احد التماثيل او النصب او اللوح، انما تقرأ ابتداءً من الطرف الايسر المقابل للعين اليسرى، ومن الزاوية العليا نزولاً في قراءة المقاطع شاقولياً، ثم البدء بقراءة السطر العمودي التالي من جهة اليسار ايضاً بما يحاذي السطر الاول، وقد تتم قراءة الاسطر، كما كتبت في هذه الكتابة وزمرتها المسماة ولاسيا السومرية، وفق الخطوط المنكسرة التي تتوالى من الاعلى الى الاسفل، فالى الاعلى فالاسفل دون انقطاع، وفي وضع شاقولي، وفق اشعة البرق او (زيك - زاك).⁷ وهذه الكتابة التي اطلق عليها اصطلاحاً (الابلائية) نرى انها قد دونت وفق ماكانت عليه سائر كتابات المشرق العربي القديم، في الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد باستثناء الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية التي اعتمدت الطريقة التصويرية، اي الرمز للمعاني بواسطة صور هيئاتها).⁸

ويشير باولوماتيه بهذا الخصوص:⁹ ان كافة النصوص الوثائقية المكتشفة في (G) في تل مردوخ، قابلة للتأريخ بين 2400 - 2250 قبل الميلاد، وباستثناء المفردات السومرية فان كافة النصوص مكتوبة باقدم لغة سامية (شمالية غربية). ونحن نطلق على هذه اللغة اسم اللغة الابلائية، تبعاً لمدينة إبلا التي وجدنا فيها الوثائق نفسها، هذا وكانت اللغة الابلائية تستخدم الاشارات السومرية في مجالات واسعة، كما هي الحال في اللغة الأكادية القديمة، ومن المؤكد ان اللغة الابلائية كانت لغة البلاط الملكي في إبلا 2400 قبل الميلاد ولكن هذا لا يعني انها قد ولدت في 2400 قبل الميلاد بل لابد انها تركت ماضياً من التراث الادبي اقدم من هذا التاريخ بكثير.

لغة إبلا:

ولكن ماذا عن لغة إبلا؟! بعد مرور اكثر من عشر سنوات على الضجة الاعلامية التي اثيرت حولها، ومحاولة بعض الاقلام المأجورة تسخيرها لخدمة اغراضها الدينية...

بداية نشير الى ان لغة إبلا لم تكن واضحة لدى اكثر العلماء الذين اطلعوا على رقمها الكتابية، فجعلها «جيوفاني بيتيناتو» وبعض العلماء في عداد زمرة اللغات الشمالية الغربية، تبعاً لموقع إبلا الجغرافي، مع الاعتراف بان هذه اللغة جديدة على قراءاتهم، اذ لم يسبق لرقم اخرى اكتشفت في منطقة المشرق العربي القديم ان تضمنتها، وفي البداية قام «بيتيناتو» بوصف هذه اللغة بـ«الكنعانية القديمة» ثم اقترح ان تنسب الى إبلا نفسها وان تسمى منذ اليوم بـ«اللغة الابلائية» وهذه اللغة او اللهجة الكنعانية تنتمي الى الارومة «السامية» وفق التصنيف اللغوي التقليدي لمجموعة لغات المشرق القديم عامة.

وهناك من اكد على خصائص لغة إبلا المشتركة مع اللغة الأكادية التي تكلم بها الأكاديون في منطقة بلاد ما بين النهرين قبل اليوم، بنحو خمسة آلاف سنة، وما تجدر ملاحظته ان هذه اللغة الابلائية (الكنعانية الداخلية) سبقت في ظهورها تلك اللغة الفينيقية (الكنعانية الساحلية بما يقارب الف سنة...¹⁰

ولكن ما ان تعمق بها الدارسون حتى وجدوا انها اقدم لغة عربية، فهي مشابهة للأكادية التي ظهرت أولاً في عهد صارغون الأكادي، ثم هي اصل الكنعانية، ولكنها اقدم من الاولى بجيلين،

7 - إبلا، منعطف التاريخ، د. عمر الدقاق، نقلًا عن بحث مترجم لباولو ماتيه (ص 51).

8 - المصدر السابق (ص 52).

9 - إبلا، اقدم مملكة عامرة، في سورية، ترجمة: قاسم طوير (ص 20).

10 - إبلا، منعطف التاريخ، مصدر سابق (ص 43 - 44).

وهذه اللغات هي لهجات متنوعة للغة واحدة، او لاسرة من اللهجات، اطلق عليها خطأ اسم «الاسرة السامية»... وقد اصبح من المفضل ان يطلق عليها اسم (الاسرة اللغوية العربية) ذلك ان مفهوم السامية متناقض في التوراة، بعيد عن العلم والاثبات في التاريخ، اما كلمة (عرب) فهي تعني سكان هذه المنطقة الذين كانوا يتكلمون هذه اللهجات المختلفة، و تربطهم طبيعة واحدة، وحضارات متشابهة معاصرة لبعضها، ويتفاعلون مع بعضهم باستمرار عن طريق التجارة والهجرة والحروب.¹¹

حول هذا الموضوع، يقول الدكتور عفيف بهنسي:¹² ان العلاقة بين اللغة القديمة (الأكادية - الابلائية - الكنعانية) وبين اللغة العربية ظاهرة وواضحة، بل انه من الخطأ ان ننطق الالفاظ القديمة بحسب نطقها العبراني، ولذلك لان اللغة العبرانية خليط، اما اللغة العربية فهي صرفة والالفاظ الدخيلة فيها معروفة بوضوح.

ويوضح المشكلة التي تنشأ عن عدم الاعتماد على اللغة العربية بالامور التالية:

- 1 - عدم العثور على كثير من معاني الالفاظ القديمة، او سوء ترجمتها.
- 2 - عدم التمكن من نطقها جيداً، نظراً لان اكثر الحروف غير مشترك مع اللاتينية والعبرية، بل هو مشترك بوضوح مع العربية مثل (ق - غ - ع). وقد عرض العالم الآثاري بيلو فرانزا رولي،¹³ فقال:

ثمة صعوبات نواجهها في دراسة لغة إبلا، ففي غالب الاحيان نجد طريقة الكتابة في الالف الثالث قبل الميلاد، تتيح المجال لقراءة مزدوجة للكلمة الواحدة، اذ يمكن أن تقرأ الكلمة هكذا وهكذا... لكن الصعوبة الكبيرة تظهر لدى محاولتنا معرفة دلالة الكلمات، فاذا اخذنا على سبيل المثال الاسم (ايبلول - ايل) الذي يظهر في نصوص إبلا ايضاً على اساس انه اسم لأحد ملوك ماري.

نجد ان الاستاذ جيلب يرى في كلمة (ايبلول) مشتقة من كلمة (بالالوم) ومعناها (يصب - يسكب)، بينما يرى الاستاذ روبرتس - ان الكلمة تعني (خلط - مزج). اما الاستاذ «ادزارد» فيقرأها (يبلول) ويترجمها الى (سبق - تقدم).

ومع ضرورة الإشارة الى تزامن اللغة الابلائية مع الأكادية ومع الأمورية، غير ان فرانزا رولي يؤكد ان بعض الاسماء الابلائية ليس لها مثيل للمقارنة في الأكادية والأمورية، وان بعض الاسماء والمفردات الابلائية لا تزال حية - حتى الآن - في اللغة العربية، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الوحدة بين اللغة الابلائية، واللغة العربية الحديثة مازالت قائمة، على الرغم من مرور ما يقارب خمسة آلاف سنة.

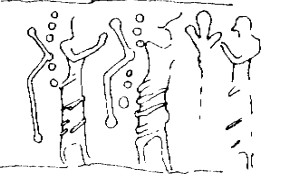
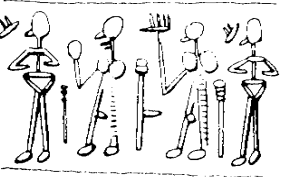
ويعرض لنا فرانزا رولي قائمة كبيرة بهذه المفردات الحية، نورد بعضاً منها نظراً لاهميتها:

شرشوم: (شرش) - (خيرتوم): (الاخير) - نصاروم (ناظر)، بيتوم: (بيت) - تهاماتوم: (تهامة - بحر) - ملكتوم: (ملكة) ملكوم (ملك) - موليتوم: (مولدة - قابلة) كوكاباتوم: (كوكب) -

11 - مجلة الفكر العربي، العدد الثاني والخمسون آب السنة التاسعة (ص 92 - 93).

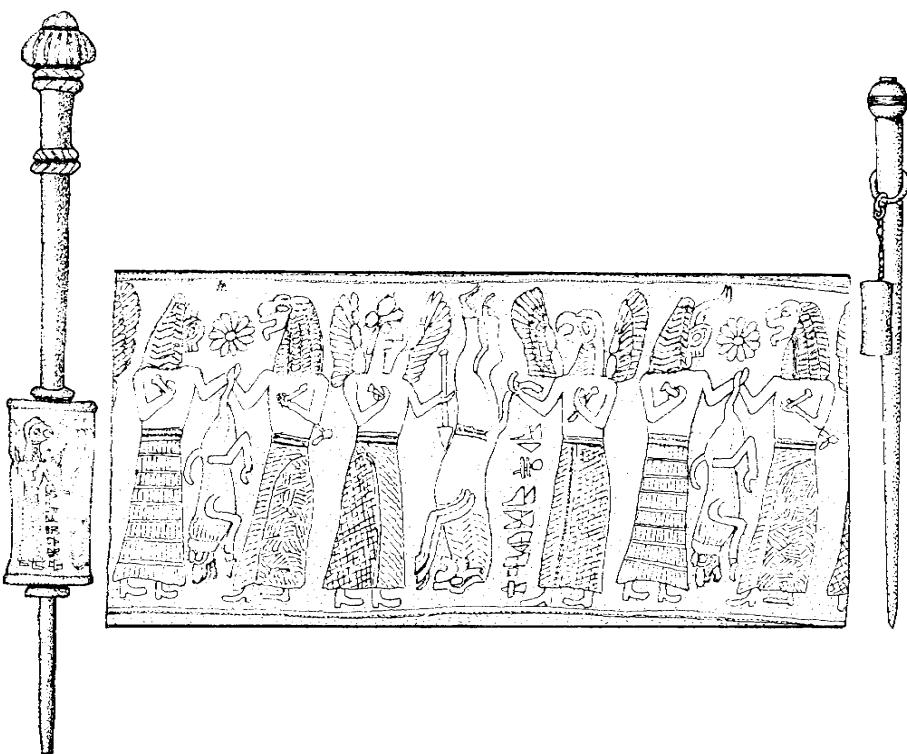
12 - وثائق إبلا، (ص 142).

13 - استاذ اللغات السامية في جامعة فلورنسا، عضو الهيئة الدولية لدراسة نصوص إبلا.



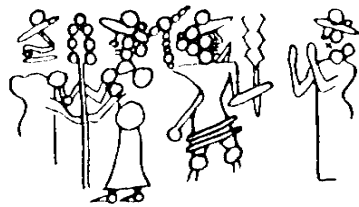
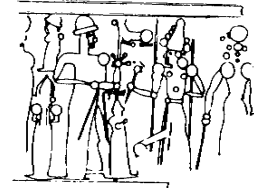
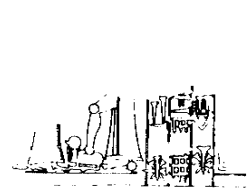
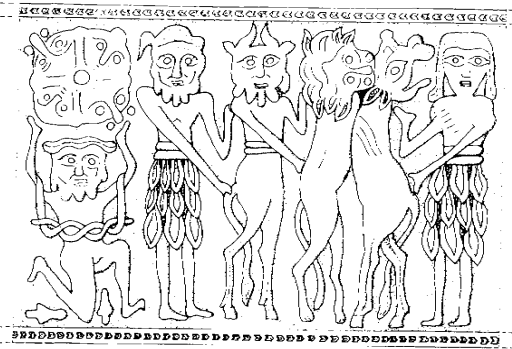
طبغات ورسوم توضيحية لاختام
اسطوانية.

مشهد يمثل صانع الاختام أثناء
العمل . (مصري 2290 - 2135)
ق.م.



ختم اسطواناني داخل دبوس ذهبي
وللختم غطاء ذهبي . يتضمن
مشهد من شكلين لرجل
خرافيين .

طبعة ختم إسرائيلي يتضمن
مشهده الرئيسي من خمسة
عناصر . اسد واقف على قائمته
الخلفيتين بعض عنق نور ينتصب
ايضا على قائمته الخلفيتين .
يحيط بهما الانسان الثور وانثى .
ويقف رجل خلف الانسان -
الثور . ويتضح من حركة
السواعد ان الاشخاص يحاولون
فصل الحيوانين عن بعضهما .



طبغات اختام اسطوانية
إسرائيلية مع مقارنات ورسوم
توضيحية .

ختم اسطواناني كان يعلق بسلك
ذهبي معقود . ويمثل مشهده الإله
السوري بعل وامامه ربة اليبوع
والإله البابلي إيا .

ان ابطال المشاهد المشخصة في الاختتام الاسطواني الابلائية تشبه الى حد بعيد المشاهد المعروفة في اختتام السلالات الرافدية، اي (الانسان - الثور - الأسد - البطل العاري) بيد ان ثمة اشكال اخرى تنضم الى تلك القائمة، يعتبرها «ماتيه» مشاهد سورية بحثة وانها تؤلف القاعدة الاساسية في تكوين المشهد العام في الختم..

تتجلى النماذج السورية الجديدة في شكل امرأة في وضع امامي، وتتميز بمزرها الطويل الذي تتدلى منه الخصلات الكتانية، فضلاً عن أشكال رجال ونساء باللبسة عادية تتدلى منها الخصلات الكتانية، ويظهر في بعض مشاهد الاختتام الاسطواني شكل عملاق (اطلس) وهو عاري الجسد، شامخ الرأس، يرفع يديه للأعلى رمزاً كونياً مؤلفاً من اجزاء اربعة قوامها وجهها أسد وانسانان (?) متقابلان، اضافة الى شكل نادر يمثل رأساً ضخماً لثور متعدد القرون، ينسجم تكوين المشاهد مع ادوار وظائف الاشكال فيها.

لقد جرى تشخيص المرأة التي تواجهها في وضع امامي، في شكل سيدة الحيوانات، فهي إما ان تقوم بترويض أسدين، او انها تحمي ثورين ويساعدها في ذلك رجلان او امرأتان او ثور على هيئة انسان «الثور - الانسان».

بالرغم من ان هذا المشهد ليس غريباً عن اختتام السلالات الرافدية الاولى، الا ان الوضعية التي يتخذها كل بطل من الابطال في المشهد، لا تتميز عن بعضها البعض، كما ان مشهد البطل لا ينفرد بخصائص تميزه عن البطل الاخر وهذا مانراه بجلاء في اختتام إبلا¹³. وفي ضوء هذه الاختتام، فانه من المؤكد ان شخصية «سيدة الحيوانات» كان لها دوراً مركزياً وهاماً في المواضيع الفنية في إبلا خلال فترة التاريخ المبكر لسورية.

ان حاشية «سيدة الحيوانات» هي (الثور - الانسان) واشكال الرجال والنساء، اما الرعية الخاضعة لها فانها تتمثل في اشكال الاسود والثيران.. واذا كانت اختتام السلالات الاولى في بلاد الرافدين قد مثلت الأسد دوماً وهو يفترس الثور، ويقطعه اوصالاً بأنيابه ومخالبه، وبالتالي يستحيل ان يصبح من رعية «سيدة الحيوانات» دون ان ترتعد فرائص الثور الضعيف عند الوقوف الى جانب غريمه الكاسر، ودون ان ينقض القوي الجبار على فريسته الشهية عندما يراها قريبة منه، فاننا نرى في اختتام إبلا، ان سيدة الحيوانات قد فرضت حمايتها على الثور وألقت على عاتقها مهمة ترويض الأسد، وتتجلى ذلك في مشهد الأسد الذي ينجع رأسه للسيدة او لأفراد حاشيتها.

ويخلص «باولو ماتيه» من خلال هذه المشاهد الرائعة الى القول انه يجب على التوازن الكوني ان يقود الارباب وانصاف الآلهة الى حماية الثور (الذود عن الضعيف) والى ترويض الاسود (الحد من تعسف القوي). واذا فهمنا مشاهد الاختتام الاسطواني المكتشفة في إبلا، بهذا المعنى، فإن فن الحفر على الاختتام في سورية، يكون قد تبنى الاشكال المستخدمة في اختتام السلالات الاولى في بلاد ما بين النهرين، لكنه أدخل (العقلانية) على ادوار الاشكال المشخصة، تلك العقلانية التي يجب التأكد من وجودها، ولو بصورة جزئية جداً في بلاد ما بين النهرين.

وتعتبر طبقات هذه الاختتام الاسطواني المكتشفة - حتى الآن - في إبلا شاهداً ثميناً على الاسلوب الرفيع لفن الحفر على الاختتام في سورية خلال الربع الثالث للألف الثالث قبل الميلاد،

13 - المصدر السابق (ص 25 - 28) والاختتام الاسطواني في سورية بين 2300 و 330 ق.م دليل معروض الاختتام السورية الذي نظمته المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية، بالتعاون مع مؤسسة العلاقات الخارجية في شتوتغارت وجامعة ايرهارد كارلز، في توبنغن، تعريب، قاسم طوير، د. علي ابو عساف (ص 54 - 55).

وهذا ما اعتبره علماء الآثار والفنون كشفاً حقيقياً بحد ذاته، لاسيما وانه لم يعرف اي مثال على هذا الفن مصدره سورية، ومعاصر للفترة الأكادية القديمة في بلاد ما بين النهرين.. وهذه الاختتام تقدم دلائل لا مثيل لها على حيوية الحضارة الفنية في إبلا خلال فترة ازدهارها الاولى 2400 - 2250 قبل الميلاد..

وتتجلى تلك الحيوية في تلاقي الخبرات السورية مع الخبرات الرافدية في العهود المتأخرة للسلالات الاولى هناك¹⁴.

وثبت من خلال المكتشفات الاثرية ان هذا التراث التصويري الذي قامت عليه حضارة إبلا الغنية بقي مستمرا من اول عهد السلالة الحاكمة في إبلا حتى آخر ملوكها، وكان هذا التراث يعتمد على تكوينات فنية لها مفهومها المستقل، متمشية مع ذوق الخبرة الفنية وميولها في بلاد آكاد المعاصرة..

لقد استمر هذا الفن في فترة ازدهار إبلا الثانية 1800 - 1600 قبل الميلاد، ودليل ذلك اكتشاف طبقات الاختتام الاسطواني على بعض الجرار الفخارية.. منها طبعة ختم واحد وجدت على عدة كسر من ابريقين وقد تمكنت البعثة الاثرية المكتشفة من اعادة تشكيل الطبعة بواسطة تجميع عدد من القطع، على الرغم من انه لم تظهر الملامح التشكيلية البارزة والناعمة لهذا الختم الممتاز بشكل جيد بسبب رقة الطبع، وخشونة بنية الصلصال النسبية.

يقف قبالة المتعبد رب الطقس (بعل) الذي نعرفه من تاجه المزين بعدة ازواج.. من القرون ورأسه المدبب، يُقبل قرنان من القرون نحو الامام، يتفرع عنهما زوجان من القرون، كبير وصغير، وتسقط خصل لحيته المتموجة فوق صدره.. ويرتدي مئزراً، ويتمنطق خنجراً طويلاً يلوح بدبوس في يده اليسرى، بينما يمسك بيده اليمنى شيئاً ما غير واضح في طبعة الختم الاسطواني.. لذا يظن البروفيسور «باولو ماتيه» انه يحمل فأساً، ولجأماً يعود الى الثور المضطجع فوق مصطبة، بين الرب والمتعبد، كما هو الحال في اختتام اخرى، وقد نقش بين ذراعي الرب والمتعبد صورة (أنخ) المصرية التي ترمز الى الحياة، وفوقه قرص الشمس المجنحة.

يصور لنا طبعة الختم، مشهد تعبد أمام الإله بعل والآلهة عناة.. حيث يتقدم رجل رفيع المقام يقف امام رين، شعره مضمفور، رد الى الخلف ليسقط فوق العنق، أما لحيته فمخضلة وتتدلى متموجة فوق صدره، يرتدي مئزراً فوقه قنبازاً، مقادمه مشربشة، وقد يكون القنباز السوري ذي الجزمة السمكية اذا ما قورن بمشاهد مشابهة، يتمنطق خنجراً، ويسبل ذراعه اليمنى، ويرفع اليسرى محياً.

يتبع الرب شخص يتميز بقلنسوته العالية التي يقع فوقها طائر صغير، والتي لها قرنان معقوفان، أمامي وخلفي، ويتدلى منها على الأرجح رباط طويل فوق الظهر.. ويبدو ان شعر الرجل معقود خلف عنقه الذي يزينه طوق ثقيل لف حول العنق عدة مرات، ويرتدي ثوباً طويلاً ذي ياقة واسعة اذا ما قورن بمثيلاته من المشاهد.. يمد الذراع الأيمن نحو الامام، ويمسك بيده اليمنى على صورة (أنخ) التي لم تكتمل بسبب ضيق المساحة. أما الذراع الأيسر فيبرز من تحت الثوب ويمسك بشيء ماكروي؟ بقي منه جزء صغير، ويبدو من كل ما ذكر ان هذا الشخص إلهة (ربة) ويظن «باولو ماتيه» انها ربة الحب والحرب السورية (عناة) التي تشير الى أهميتها النجمة الثمانية، الموجودة امام رأسها، وهي رمز الربة (عشتار) في بلاد ما بين النهرين.

14 - إبلا، اقدم مملكة عامرة في سورية، مصدر سابق (ص 28).

واذا صدق الخدس بأن العنصر الدائري الذي تحمله يسراها هو (مرآة) فمن المرجح انها (كوبابا) ربة آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين الشمالية (ربة الأمومة والحب) التي ورد ذكرها في عداد آلهة إبلا أيضاً.

لقد سطر تحت اليد اليمنى للربة سطرين من الكتابة المسمارية غير واضحين يضمنان على مايعتقد، اسم صاحب الختم، واسم ابيه.

ومن خلال نظرة سريعة الى طبعة هذا الختم نلمس جيداً ان الختم متقن الصنع، والمدحش ان بعض العناصر الملبسية قد صوّرت بأبعادها الثلاثة ليظهر شكلها تاماً تقريباً، فترى مثلاً ان سطح التاج الذي يقف فوقه طائر صغير قد نقش بيضوياً ليرز شكله الحقيقي.¹⁵

فن التطعيم وصناعة الحلي:

قدمت لنا المكتشفات الاثرية في إبلا مجموعات كبيرة من الآثار الفنية النادرة التي تثبت بملا يقبل الشك، أن صناعة فن التطعيم بالأحجار الكريمة النادرة مثل اللازورد والعقيق والكورنالين والفيروز والصدف وغيرها - قد شهدت ازدهاراً كبيراً في هذه الامبراطورية المترامية الاطراف.

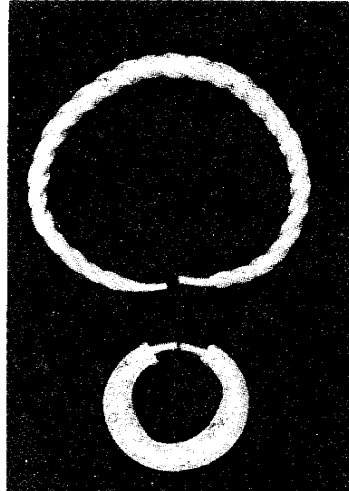
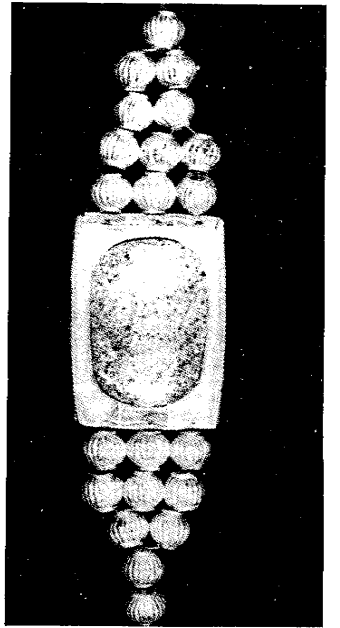
فقد ثبت ان إبلا كانت على علاقات تجارية جيدة مع جيرانها، وقد كانت تستورد هذه الاحجار الكريمة من ايران وافغانستان، والصدف من الخليج العربي، وتقوم بنقل المواد الخام من تلك الاحجار الكريمة، الى ورش القصر الملكي حيث تصنع من قبل صانعي الحلي والمجوهرات والقطع الفنية المطعمة.

لقد عثر المنقبون في القصر الملكي على العديد من القطع النفيسة المختلفة الاحجام والأشكال، منها قطع من الحلي مصنوعة من حجر اللازورد، وابرزها انواع من الخرز اللازوردي الذي كان يشكل ذات يوم طوقاً ثميناً يزين عنق احدى بنات القصر أو حريمه، وهناك عدة اشكال آدمية مغطاة بصفائح الذهب، واللباس المصنوع من الحجر الكلسي، أما الشعر فكان من حجر السيتاتيت او من اللازورد.

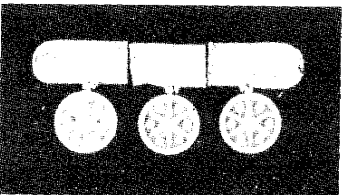
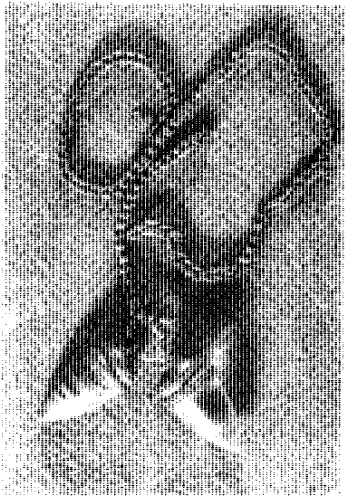
لقد نفذ الفنان الابلائي، بواسطة هذه الاحجار النادرة مشاهد في غاية الدقة والروعة والابداع، تمثل بعض المواضيع الميثولوجية. كالصراع والولائم المقدسة، واشكال بشرية ملوك او كبار الموظفين في الدولة، وقد اتخذ فن التطعيم من خلال هذه النماذج طابعاً محلياً خاصاً.

ونشير في مجال فن التطعيم الى عدة اجزاء من أوان حجرية مصرية اكتشفت في إبلا، منها جزء من غطاء علبة مراهم يعود تاريخه الى 2250 قبل الميلاد، تقريباً... كان هذا الغطاء يحمل آثار حريق يغلق أحد الأوعية الشبيهة بالكوب المميزة للحضارة المصرية، وقد كانت هذه الاوعية تستعمل لوضع المراهم، التي كان المصريون يستعملونها للعناية بالجسم... وقد وجد على غطاء العلبة اسم (بيبي الاول) 2300 - 2260 قبل الميلاد، وهذا يدل على علاقات تجارية وفنية كانت موجودة بين إبلا ومصر...

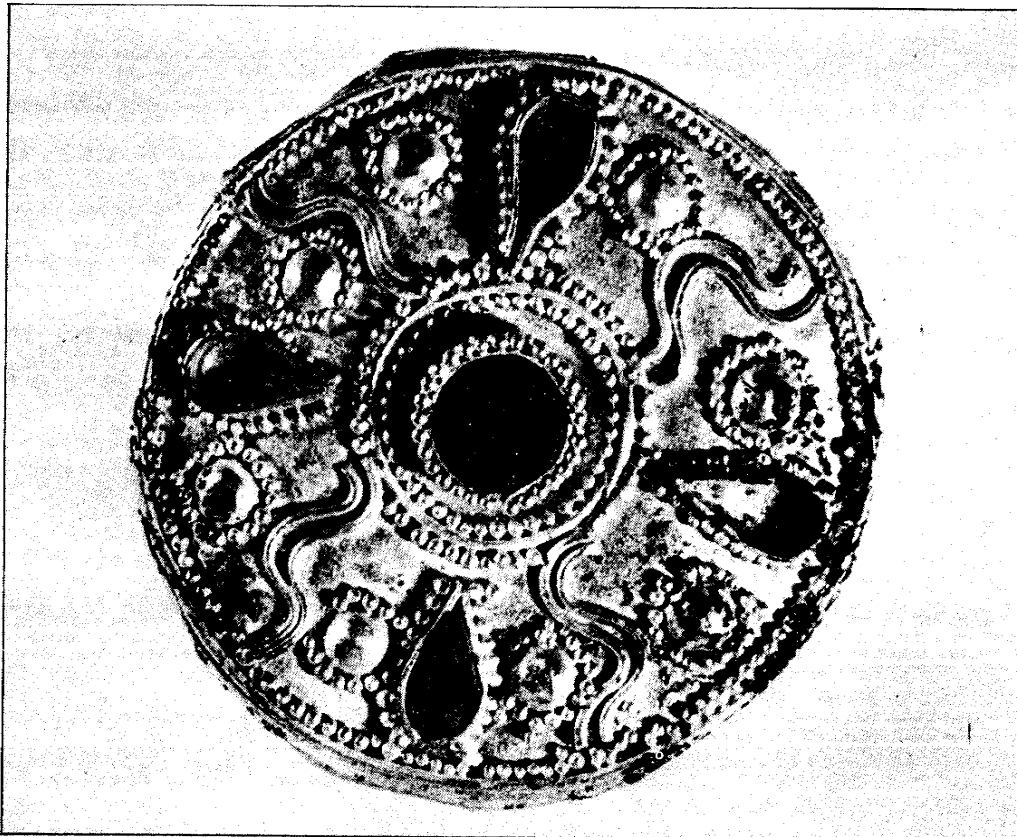
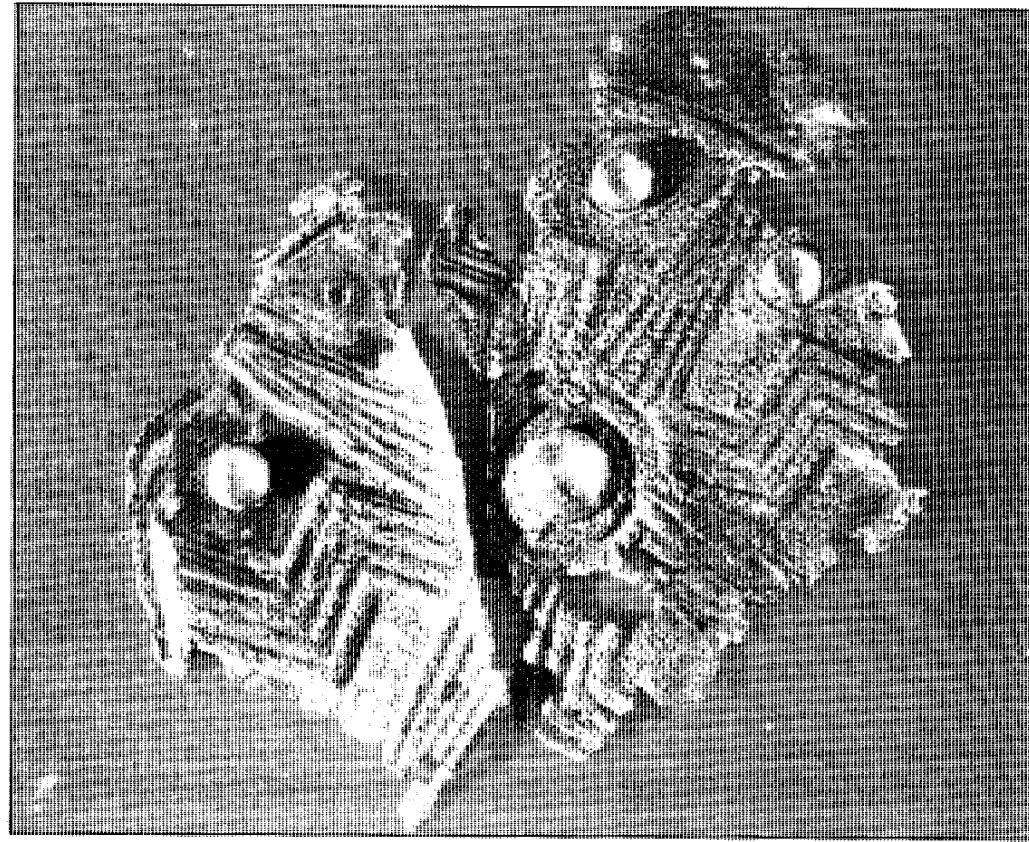
15 - الاختتام السورية الاسطوانية، مصدر سابق (ص 83 - 84).

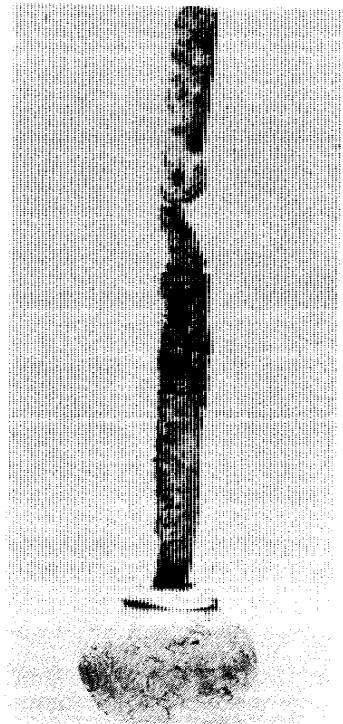


حلي واساور مطعمة من مدفن تحت الأرض بإبلا، يعود تاريخها الى العصر السوري القديم (الربع الاول من الألف الثاني قبل الميلاد) من مقتنيات متحف حلب.



قلادة وحلي إبلاية جميلة الصنعة يعود تاريخها الى الربع الاول من الألف الثاني قبل الميلاد.





صولجان الفرعون المصري
(حبيب - أ ب ر ع) عثر عليه في
المقبرة الملكية داخل القصر
الغربي في إبلا، الألف الثاني
قبل الميلاد.

وقد تمت لنا حفريات المقبرة الملكية في إبلا، مدافن ملكية غنية جداً بالعطايا الجنائزية التي يعود تاريخها الى عصر البرونز الوسيط، من هذه العطايا مجموعة ثمينة مطعمة مصنوعة من حجر الالباتر والجزع والمرمر الجصي. . ومجموعة هامة من المجوهرات الراقية الصنعة التي تؤكد تطور صناعة الحلي وازدهارها في إبلا.

فالأساور الذهبية الابلائية المزينة بالحبيبات الدقيقة يعتبرها علماء الآثار نماذج نادرة، واكثر رقياً من نماذج الاقراط المكتشفة في قبرص وفي اوغاريت، وتل العجول في الاردن.

اما الدبوس المفصلي المصنوع من الذهب للأميرة، فيعتبر تحفة من تحف الصياغة الذهبية، وتتمتع حلقة الاذن بشكل خاتم كبير الحجم، وهي مصنوعة من ورقتين سميكتين مسبوكتين مع بعضهما البعض.

وكانت القطعة الهامة التي اكتشفت في «مدفن الاميرة» مؤلفة من طوق قوامه الاساسي منحوتة من حجر اللازورد تأخذ هيئة الخنفساء، وكانت محاطة بزخارف نافرة. . أما بقية الطوق فيتألف من بعض الخرزات التي تأخذ شكل البطيخة، وهذا النوع من الخرز كان واسع الانتشار في بلاد بابل وآشور، وعلى طول سواحل بلاد الشام.

في مدفن «سيد الماعز» عثر على صولجان مصري كان يخص الفرعون المصري (حوتب - ابرع) الذي يحتمل انه كان الملك التاسع في السلالة الثالثة عشرة، وحكم لبضع سنوات في منتصف الألف الثامن قبل الميلاد.

أما القطع البرونزية التي عثر عليها في مدفن «سيد الماعز» فقد كانت في حالة متأكلة بسبب رشح المياه، ويبدو ان القطع كانت جزءاً من زخارف وتصفيح الاثاث الخشبي او الاسلحة او الشعارات، ومن جملة تلك القطع يذكر «ماتيه» رأسي ماعز له وتد تثبيت لعله كان يزين مسند كرسي العرش، ثم هناك تماثيل لشكل ماعز في حالة القرفصاء، لعلها كانا يزينان ظهر الكرسي نفسه. . وتعتبر تلك القطع فريدة من نوعها، ومن المحتمل جداً ان تكون من صنع سورية الشمالية.¹⁶

ومن جملة الحلي التي عثر عليها في هذا المدفن، مجموعة كبيرة من الخرز ذي الشكل البرميلي النادر من نوعه، والمصنوع من الذهب او اللازورد او العقيق، وهناك انواع من الحلي لا نجد لها مثيلاً إلا ضمن مجموعات الحلي المكتشفة في مقابر ملكية في مناطق اخرى، فالخرز الانبوبي الشكل مثلاً، يشابه الخرز المكتشف في المقبرة الملكية رقم 3 في جبل على سواحل بلاد الشام، والخرز الموجود مع الكنز المكتشف في قصر مجيدو (الطبقة الثامنة) في فلسطين.

ومن المؤكد ان الازرار المصنوعة من وريقات الذهب، والمزودة بأربعة ثقب، كانت ترصع ثياباً رسمية، وقد عثر على مثل هذا النوع من الازرار في موقع (كول - تبه) في تركيا، ولا بد انها كانت مستوردة من شمال سورية، كما يؤكد ماتيه ذلك.¹⁷

وتجدر الإشارة الى نوع آخر من الحلي المكتشفة في مدفن «سيد الماعز» ويتمثل في تعليقه من اللازورد مصنوعة على هيئة نسر. اما الطوق الكامل المؤلف من ثلاث صفائح ذهبية مزينة بالصفائر،

16 - المقبرة الملكية والقصر الغربي في إبلا، باولو ماتيه، تعريب قاسم طوير، اصدار جامعة روما عام 1986 (ص 21 - 25).

17 - المصدر السابق - (ص 26).



دبوس ملابس من مكتشفات مدفن
تحت الأرض بإبلا (الربع الاول من
الألف الثاني قبل الميلاد).

ومن ثلاثة اقراص مزينة بنجوم من الحبيبات، فيعتبر من روائع فن الصياغة في حضارات المشرق العربي القديم.

ومن جملة المجوهرات المصرية الصنعة المكتشفة في إبلا، يذكر «ماتيه» ذلك الخاتم الجميل للغاية، المزين بأزهار اللوتس النافرة وعلى وجهيه شكل الخنفساء، وهناك اجزاء من طوق على هيئة زهرة الزنبق مع ست خرزات صغيرة على هيئة حلقات، وما يذكر في هذا المجال ان الذهب المستخدم في هاتين القطعتين، يميل الى الاحمرار، ويختلف عن الذهب الفاتح اللون المستخدم في الحلي السورية المصنعة.

وتتمثل القطع الملوكية الفرعونية المكتشفة في مدفن (سيد الماعز) في صولجانين من الحجر الكلسي، وقبضة كل منهما من العاج والفضة والذهب، وكان جزء من كل قبضة مصنوعاً من اسطوانة فضية ملبسة او مزينة بورقة سميكة او بعنصر من الذهب، وكانت الاوراق الذهبية مثبتة في الاسطوانة الفضية في شكل معينات هندسية، وتشبه بذلك قبضة السكين المكتشفة في القبر رقم 2 في جبل على سواحل بلاد الشام. وقد ذكرنا ان احد الصولجانين يحمل اسم الفرعون (حوتب - ابرع) احد ملوك السلالة الثالثة عشرة. . ويزين نقش اسم الملك من الجانبين شكل قرد، وهذا الشكل حسب قول «ماتيه» معروف في مصر، وبخاصة في المشاهد التي تمثل تقديس الشمس الصاعدة، ويبدو ان يد الاصلاح قد امتدت الى هذا الصولجان في إبلا، فقد أعيد ترتيب النقوش الهيروغليفية التي تشكل اسم الملك بطريقة غير صحيحة. . وبناء على ذلك يمكن اعتبار الصولجانين هدية فرعونية الى ملك إبلا، وما يجب ذكره بهذا الخصوص ان الفرعون (حوتب - ابرع) هو الوحيد بين فراعنة مصر الذي حمل لقب (ابن الاسيويين) اي ابن بلاد الشام.

كما عثر في مدفن «سيد الماعز» على تيمتين من العاج، واحدة منها كانت بحالة سليمة جداً بالرغم من انها كانت هشّة للغاية، وتتألف هذه التيمية من سلسلتين من الصفائح العاجية الرقيقة، وهما مثبتتان بقضيين في الاسفل، وكانت السلسلتان متوازيتان مع بعضهما البعض بحيث لا يظهر للروية إلا الوجه الخارجي.

وكانت دمي صغيرة جداً مثبتة بملقط برونزي على الوجه الخارجي للصفائح، وتتألف الدمى من اشكال حيوانات (افعى - أسد - دب). وتتمتع المشاهد المحفورة على صفائح العاج بأهمية خاصة، فالمشهد الأول يمثل وليمة جنائزية مؤلفة من رجل عاري الرأس ويمسك بعصا، ويجلس وراء منصة مليئة بأرغفة الخبز، ويقف امام ذلك الرجل عدد من الخدم، ورجل وامرأة عاريين في حالة وقوف امامي.

ويتألف المشهد الثاني من قردين في حالة ابتهاج امام ثور، ومن شكل ثانوي لرجل يحمل فأساً، ومن شكلي الرجل والمرأة في حالة الوقوف الامامي.¹⁸

ومن المفيد ان نشير الى الحلي والمطعمات الابلائية التي شاركت في معرض «كنوز الآثار السورية» الذي لا يزال يتجول في كبريات مدن العالم، ويلقي الاعجاب المنقطع النظير من قبل عشاق الفن والحضارة والتراث. . فمن هذه القطع الابلائية، سوار ذهبي اكتشف في قبر الأميرة، وسط باحة

18 - المصدر السابق - (ص 27).

صغيرة ضمن البناء (ق). ودبوس ملابس من الذهب، يتألف من قطعة واحدة، وقد فتل القسم العلوي منه، وخرز بخطوط رفيعة طويلة. أما رأس الدبوس فينتهي بنجمة ثمانية الرؤوس. وقطعة حلي على هيئة حلق، يعتقد بأولوماتييه أنها كانت حلقة للأنف، وقد صنعت من طبقة ذهبية سميكة، وحفر عليها نقش على هيئة معين، ووضعت عليه حبيبات ذهبية صغيرة، ودسار كبير مصنوع من البرونز والصدف واللازورد، صنع رأسه على هيئة «مقدمة» تيس راعع، وقد حشيت عيونه بالصدف واللازورد، وربما كان يزين مسند عرش فخم، ويذهب بأولوماتييه إلى حد الاعتقاد بأن «سيد الماعز» الذي ورد ذكره معنا كثيراً، قد يكون الكاهن للإله «رشف» إله الطاعون والحرب، إذ أن التيس هو الحيوان الذي يرمز إلى هذا الإله.¹⁹

19 - الآثار السورية، مصدر سابق (ص 106).

ف. فن صناعة الفخار:

كان الفخار قديماً، يقيم تقييماً مقتصرًا على مدى الوظائف النفعية التي يمكن أن يتكيف لها، ولكن بمرور الزمن، ومع تطور نظرة الإنسان إلى الأشياء، راح يضيف مسحة جمالية على الأشكال الفخارية، ذات الوظيفة الجمالية البحتة، فكان مولد فن صناعة الفخار بعد أن كان صناعة نفعية وحسب.

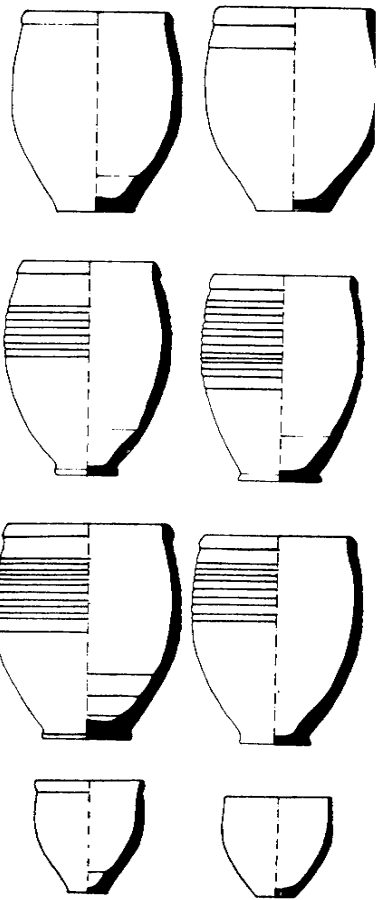
إلا أن تطور هذا الفن لم يتوقف عند هذا الحد فقد استمر في التوسع والتشعب حتى كان في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد فناً جميلاً له فنانونه الكبار.

وحكاية فن صناعة الفخار في إمبراطورية إبلا، من خلال المكتشفات الأثرية، تشير إلى ازدهار هذا الفن وتطوره في فترة ازدهار إبلا الأولى، 2400 - 2250 قبل الميلاد. فقد كشفت أعمال التنقيب في القصر الملكي (ج) عن مجموعات كبيرة من القطع والكسر الفخارية المعروفة باسم الفخار العادي، الموحد الشكل والنوع، وقد تمكن علماء الآثار والفنون من رصده بدقة، وتحديد طبقاته والأنواع المتوفرة منه.

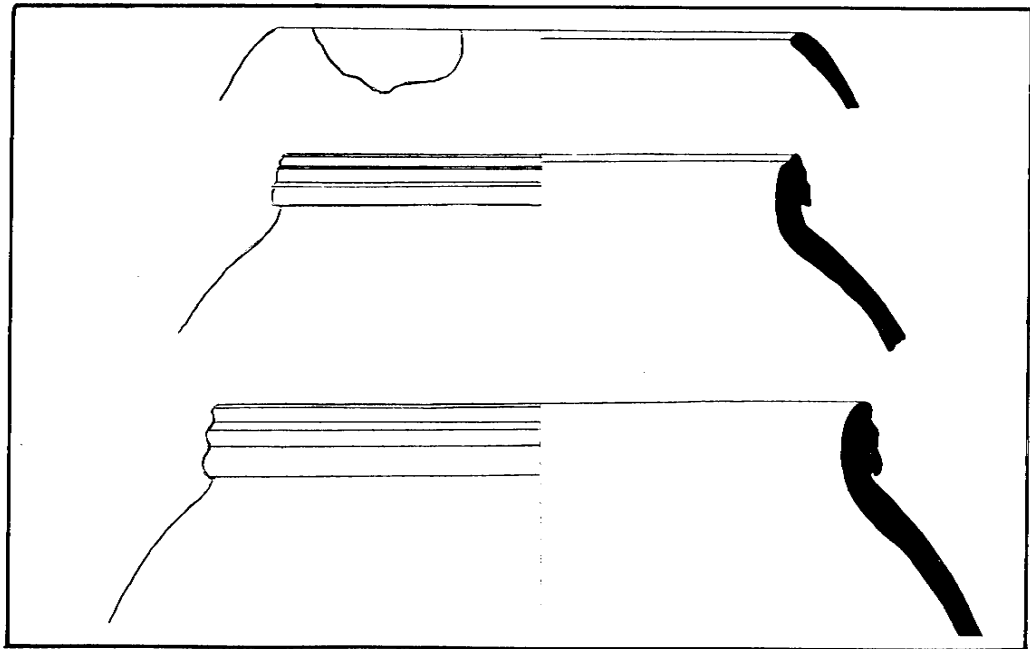
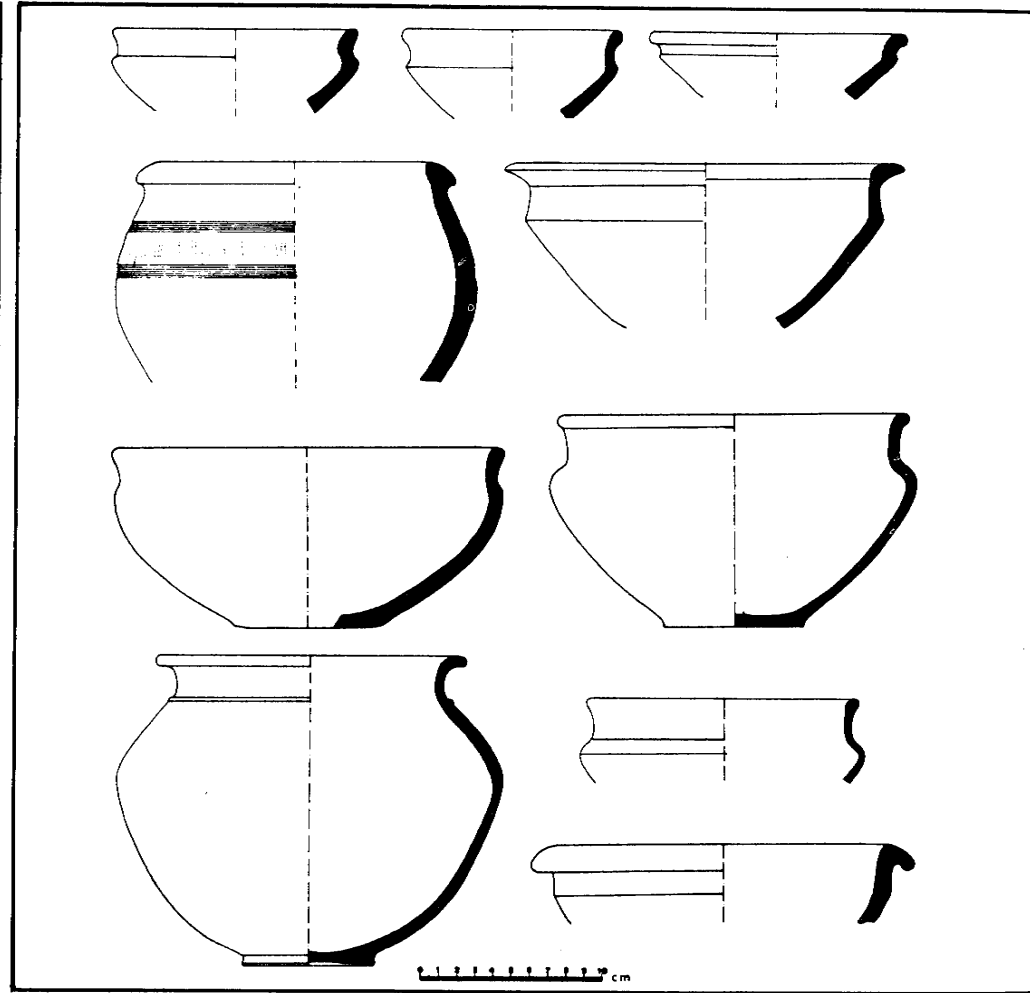
لقد وجدت في سورية تل مردوخ (إبلا) 2 ب 1، مجموعة من الأواني الفخارية المصنوعة على الدولاب، وتتميز بحجمها الصغير والمتوسط، واللوانا البيضاء أو الصفراء أو الخضراء. وقد صنعت من طين مخلوط بالرمال الناعم، وقد شوي جيداً. بحيث أصبح لبعض الأواني رنيناً يشبه رنين المعادن.

من الأشكال الفخارية التي خلفها لنا فنانون إبلا فناجين واكواب تتميز بشكلها الاسطواني، مع ميلان لجدرانها نحو الداخل، بحيث يكون قطر كعبها أصغر من قطر فوهتها. وفي كثير من الأحيان كان سطح الاكواب الكبيرة والمتوسطة، ونادراً الصغيرة مجعداً، وبشكل خاص في القسم العلوي من الكوب، وقد نفذ التجعيد بواسطة الدولاب أيضاً. وقد يكون الكعب مسطحاً ومقعرًا، أما الشفة فهي سميكة بشكل إجمالي.

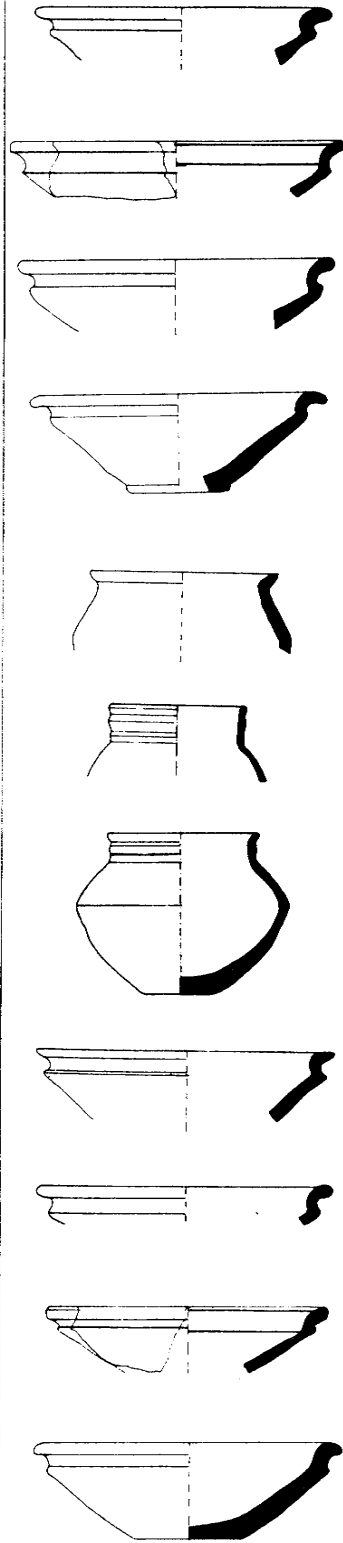
وعثر في إبلا أيضاً على نماذج قليلة من الأواني الفخارية العادية الملونة بخطوط بنية أو سوداء أو زرقاء غامقة دائرية على الكتف والعنق، وتعتبر هذه الأواني النماذج الأولى التي تطورت عنها الأواني



رسم أوان فخارية إبلاية تعود إلى الطبقة (ب1) - 2200 - 2400 ق.م.



رسم أوان فخارية إبلاية تعود إلى الطبقة (ب1) - 2200 - 2400 ق.م.



رسم أوان فخارية إبلاية تعود إلى الطبقة (ب1) - 2200 - 2400 ق.م.



أنية فخارية إسلامية.



صحن فخاري إسلامي.

21 - الآثار السورية، مصدر سابق (ص 120).

الخلفي قد صيغ بحرية. أما الشعر الذي ينساب في غدائر مفتولة وملفوفة النهايات، فقد ظهرت معالمة التشكيلية عن طريق تظليلها بخطوط سوداء على الخلفية المائلة إلى الزرقة.²¹ ويعد هذا القدح بحق، ورغم اكتشافه في حي سكني شعبي، من الأواني الدينية المقدسة وذلك لصياغته الدقيقة النادرة، وإتقان صنعه، أما المادة التي صنع منها الخزف فهي: خليطة من الرمل والصودا والكلس المطفأ، وتجعل عجينة أولاً ثم تشوى، ثم يتم طلاؤها بالمينا في المرحلة اللاحقة، وقد كان شمال بلاد الرافدين وبلاد الشام أحد مراكز صناعة الخزف منذ فترة أقدم الحضارات الكتابية، كما تدل على هذا مكتشفات أولقى الدرر والزهور والتماثيل الحيوانية المصنوعة من تلك المادة في (تل براك) في الجزيرة السورية، ووصلت مادة الخزف إلى أوج ازدهارها وانتشارها في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وتدل على ذلك أوانٍ كثيرة وجدت في آشور وبابل وأوغاريت.

العادية الملونة في العصر التالي (مردخ 2 ب 2 اي بين 2250 - 2000 قبل الميلاد أو ما يطلق عليه فجر الدور السوري المتأخر.

ويلاحظ هنا وجود أوانٍ عادية أخرى مثل القصعات والصحائف ذات اللون الأصفر أو البني خارجياً، واللون الرمادي الأخضر داخلياً. الكعب فيها مسطح، الشفة مثنية نحو الداخل، الجسم بيضوي.

كما صنعت الكؤوس الصغيرة ذات الفوهة الواسعة والعمق البسيط، وهذه كانت مشوية بشكل أفضل من غيرها، ويظهر رنينها عند الطرق واضحاً. ومن أشكال الأواني العادية اشتهرت الأباريق ذات الحجم البيضوي والرقبة الضيقة القصيرة ذات جدران رقيقة ومجعدة بخطوط محدبة متقاربة ومستقيمة، وهناك أنواع أخرى من الأباريق الدائرية الأشكال أو المتطاولة، وعليها تجهيزات زخرفية، وجرار كبيرة استخدمت في تخزين الحبوب، جدرانها رقيقة أيضاً مصبوعة بلون أبيض، إضافة إلى الأواني العادية غير الملونة. والقليل منها زخرف على الفوهة والاكتاف بخطوط سوداء أو بنية أو بنفسجية.²⁰

20 - آثار الوطن العربي القديم، د. سلطان محيسن (ص 247).

وبشكل عام فإن فخار تل مردخ 2 ب 1 هو نفس فخار بلاد الشام الداخلية، كما أنه يشابه فخار المناطق الشرقية في منطقة نهر الفرات، وفخار مناطق الساحل السوري غرباً. وهذا يقدم دلالة واضحة على وحدة الصناعة والفن في بلاد الشام منذ بواكير الحضارة.

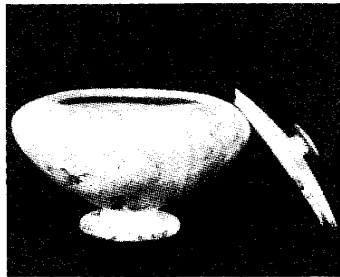
فخار فترة الازدهار الأبلائية 1800 - 1600 قبل الميلاد جاء من مكتشفات القصر الغربي، وعطايا المقبرة الملكية.

فقد عثر في «مدفن الأميرة» على ما يقارب سبعين آنية معظمها مصنوع من الفخار الخفيف، إلى جانب بعض الصحون النادرة المدهونة بالبني الضارب للأخضر، فضلاً عن الجرار المدهونة بلون بني. ويعود تاريخ تلك الجرار الفخارية البسيطة إلى نهاية الحقبة الثانية من عصر البرونز الوسيط 1800 - 1600 قبل الميلاد، أو ما يطلق عليه الدور السوري القديم الثاني. بيد أنه لم يعثر مع تلك المجموعة على ذلك النوع الذي يميز المرحلة الوسطى واللاحقة للفترة الزمنية الآتفة الذكر.

كما كانت المعزبة الأولى من مدفن «سيد الماعز» تعج بالأواني الفخارية. ستون منها من النوع العادي. وعثر في المدفن الثالث من القبرة الملكية أيضاً على بعض الصحون والأواني الفخارية والحجرية، وكانت واحدة من تلك الأواني الحجرية بديعة للغاية، يعتقد «باولوماتيه» أنها من صناعة مصر.

ونشير بشيء من التفصيل إلى قدح من الخزف اكتشف في القطاع (ب) ويعود تاريخه إلى الفترة الواقعة بين 1900 - 1700 قبل الميلاد.

فهذا القدح المصنوع على هيئة رأس إنسان، يشبه التماثيل الكبيرة القليلة ذات النوعية الممتازة العائدة إلى عصر سورية القديمة، وذلك في التشكيل الدقيق الناعم لتقاسيم الوجه، وقد صيغ الجزء الامامي من هذا القدح القائم على ثلاثة أرجل مكورة بواسطة كابسة نماذج، في حين أن القسم



آنية فخارية إسلامية.



صحن فخاري إسلامي.

21 - الآثار السورية، مصدر سابق (ص 120).

الخلفي قد صيغ بحرية. أما الشعر الذي ينساب في غدائر مفتولة وملفوفة النهايات، فقد ظهرت معالمه التشكيلية عن طريق تظليلها بخطوط سوداء على الخلفية المائلة الى الزرقة.²¹ ويعد هذا القدح بحق، ورغم اكتشافه في حي سكني شعبي، من الاواني الدينية المقدسة وذلك لصياغته الدقيقة النادرة، وإتقان صنعه، أما المادة التي صنع منها الخزف فهي: خليطة من الرمل والصودا والكلس المطفأ، وتجعل عجينة اولاً ثم تشوى، ثم يتم طلاؤها بالمينا في المرحلة اللاحقة، وقد كان شمال بلاد الرافدين وبلاد الشام أحد مراكز صناعة الخزف منذ فترة أقدم الحضارات الكتابية، كما تدل على هذا مكتشفات اولقى الدرر والزهور والتماثيل الحيوانية المصنوعة من تلك المادة في (تل براك) في الجزيرة السورية، ووصلت مادة الخزف الى أوج ازدهارها وانتشارها في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وتدل على ذلك أوانٍ كثيرة وجدت في آشور وبابل واوغاريت.

العادية الملونة في العصر التالي (مردخ 2 ب 2 اي بين 2250 - 2000 قبل الميلاد او ما يطلق عليه فجر الدور السوري المتأخر.

ويلاحظ هنا وجود أوانٍ عادية أخرى مثل القصعات والصحائف ذات اللون الاصفر او البني خارجياً، واللون الرمادي الاخضر داخلياً. الكعب فيها مسطح، الشفة مثنية نحو الداخل، الجسم بيضوي.

كما صنعت الكؤوس الصغيرة ذات الفوهة الواسعة والعمق البسيط، وهذه كانت مشوية بشكل افضل من غيرها، ويظهر رنينها عند الطرق واضحاً. ومن اشكال الاواني العادية اشتهرت الاباريق ذات الحجم البيضوي والرقبة الضيقة القصيرة ذات جدران رقيقة ومجموعة بخطوط محدبة متقاربة ومستقيمة، وهناك انواع أخرى من الأباريق الدائرية الاشكال او المتطاولة، وعليها تجعيدات زخرفية، وجرار كبيرة استخدمت في تخزين الحبوب، جدرانها رقيقة ايضاً مصبوغة بلون ابيض، اضافة الى الاواني العادية غير الملونة. والقليل منها زخرف على الفوهة والاكتاف بخطوط سوداء او بنية او بنفسجية.²⁰

20 - آثار الوطن العربي القديم، د. سلطان محيسن (ص 247).

وبشكل عام فإن فخار تل مردخ 2 ب 1 هو نفس فخار بلاد الشام الداخلية، كما انه يشابه فخار المناطق الشرقية في منطقة نهر الفرات، وفخار مناطق الساحل السوري غرباً. وهذا يقدم دلالة واضحة على وحدة الصناعة والفن في بلاد الشام منذ بواكير الحضارة.

فخار فترة الازدهار الابلائية 1800 - 1600 قبل الميلاد جاء من مكتشفات القصر الغربي، وعطايا المقبرة الملكية.

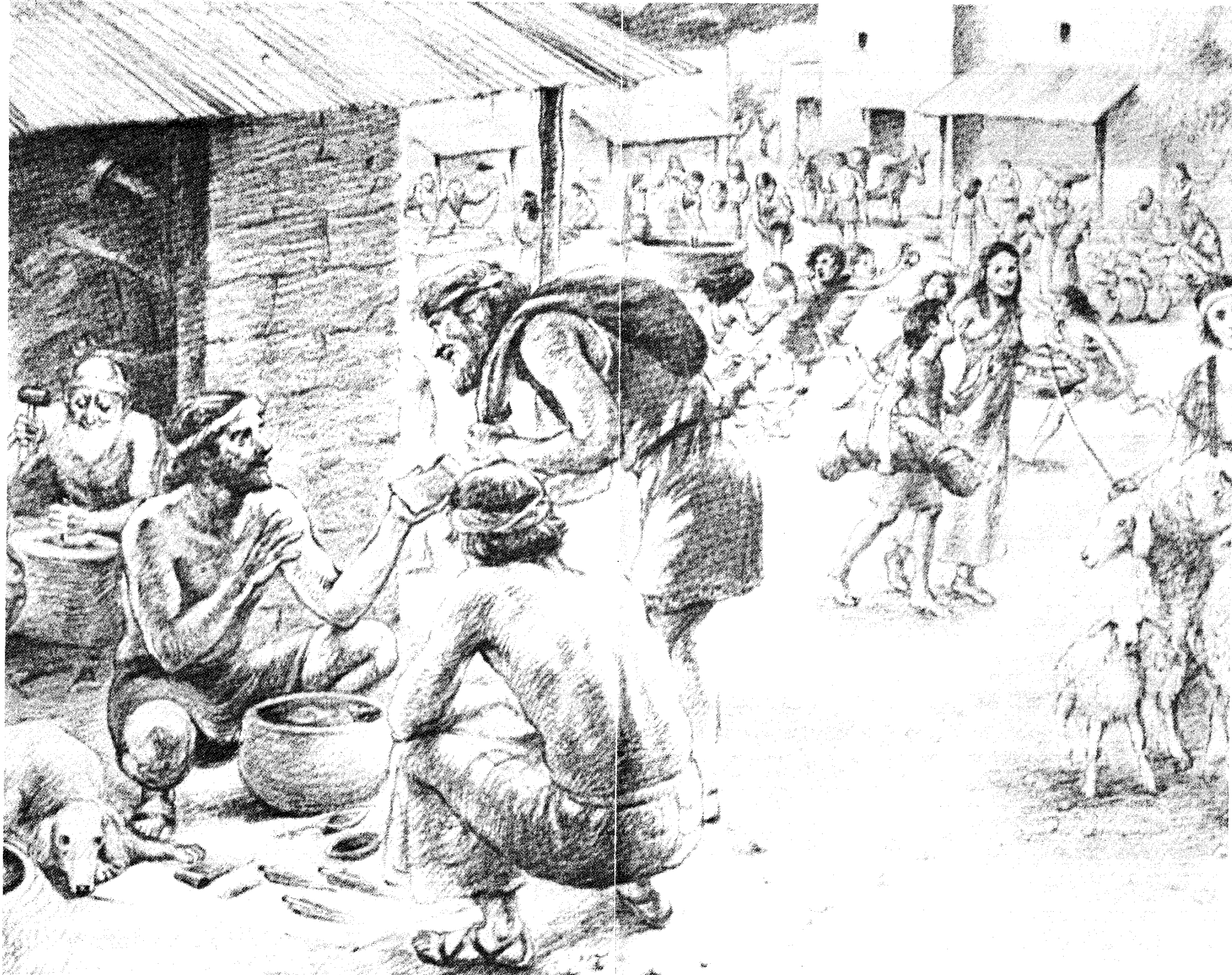
فقد عثر في «مدفن الأميرة» على ما يقارب سبعين آنية معظمها مصنوع من الفخار الخفيف، الى جانب بعض الصحون النادرة المدهونة بالبيني الضارب للأخضر، فضلاً عن الجرار المدهونة بلون بني. ويعود تاريخ تلك الجرار الفخارية البسيطة الى نهاية الحقبة الثانية من عصر البرونز الوسيط 1800 - 1600 قبل الميلاد، او ما يطلق عليه الدور السوري القديم الثاني. بيد انه لم يعثر مع تلك المجموعة على ذلك النوع الذي يميز المرحلة الوسطى والاخيرة للفترة الزمنية الأنفة الذكر.

كما كانت المعزبة الاولى من مدفن «سيد الماعز» تعج بالأواني الفخارية. ستون منها من النوع العادي. وعثر في المدفن الثالث من القبرة الملكية ايضاً على بعض الصحون والاولاني الفخارية والحجرية، وكانت واحدة من تلك الاواني الحجرية بديعة للغاية، يعتقد «باولوماتيه» انها من صناعة مصر.

ونشير بشيء من التفصيل الى قدح من الخزف اكتشف في القطاع (ب) ويعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين 1900 - 1700 قبل الميلاد.

فهذا القدح المصنوع على هيئة رأس انسان، يشبه التماثيل الكبيرة القليلة ذات النوعية الممتازة العائدة الى عصر سورية القديمة، وذلك في التشكيل الدقيق الناعم لتقاسيم الوجه، وقد صيغ الجزء الامامي من هذا القدح القائم على ثلاثة ارجل مكورة بواسطة كابسة نماذج، في حين أن القسم

الحياة
الاقتصادية
والتجارية
والعلاقات
الدولية



رسم تخيلي للحياة العامة في أحد
أسواق إبلا، حيث نرى الناس
يمارسون حياتهم يبيعون
ويشترون ويتبادلون أطراف
الحديث.

من الطبيعي أن تكون قوة امبراطورية إبلا في فترتي ازدهارها مستمدة من حيوية وقوة ومتانة اقتصادها ، وهذا ما يمكننا أن نلمسه بجلاء في كثير من مناحي حياتها

• الزراعة :

المعطيات الاثرية والعلمية تشير إلى أن الزراعة كانت المورد الأول والأقدم والأهم لامبراطورية إبلا ومجتمعها فالعاصمة إبلا بالذات ، تتوسط رقعة واسعة ، تبلغ مساحتها 57 كم² . وتضم عشر قرى هذا فضلاً عن امتداد رقعة المالك والمناطق والمدن والقرى التي تسيطر عليها ، وكلها تقع في مناطق زراعية خصبة ، تتوافر فيها المياه

ويكفي أن نعلم ان النصوص المسارية أخبرتنا بمعلومات تفيد بأن أراضي إبلا كانت تنتج سبعة عشر نوعاً من القمح . وكانت الغلات الرئيسة فيها القمح والشعير والكرمة والزيتون والتين والرمان ، وتخبّرنا هذه الوثائق الأرشيفية عن الكميات الكبيرة من الغلات الزراعية التي كانت المنطقة تنتجها ، ويكفي أن نعرف أن الشعير وحده كان يمكن أن يكفي سكان بلاد الشام كلها ، ويصدر منه كميات إلى بلاد ما بين النهرين . . كما أنه من الطبيعي أن يتبع زراعة الزيتون والكرمة بكميات كبيرة ، انتاج الزيت والخمر والدبس ، بما يتناسب مع ذلك . .

كما أن النصوص المسارية تشير إلى ازدهار نباتات الكتان في المنطقة المحيطة بابلا ، ومن هنا فقد كان لابلا شهرة عالمية في صناعة الاقمشة الكتانية الجيدة فهناك بعض السجلات الملكية التي تتضمن ايصالات توريد المنسوجات ، وكانت هذه الصناعة تحت اشراف الدولة المباشر . . لذلك اعتبر باولو ماتيه في بداية اكتشاف إبلا ، صناعة المنسوجات من أهم ما اشتهرت به الامبراطورية في الالف الثالث قبل الميلاد ، وكانت تصدر إلى كثير من بلدان المشرق العربي القديم .

على ان المصدر الثاني لثروة إبلا كان تربية الاغنام والابقار والحيوانات المختلفة ، الكبيرة منها والصغيرة ، فقد عثر على نص مساري ، تفيد ترجمته «انه في سنة واحدة أعدت من الاغنام نحو أحد عشر ألف رأس ، لتقدّم قرابين للآلهة ، ولأغراض أخرى غير الاستهلاك البشري كما أن الابقار كانت تربي أيضاً بكثرة ، ونخبّرنا عن ذلك الرقيم (2283 - 75 - ت م) حيث ورد فيه معلومات عن عرس (كيشدوت) أخت ملك إبلا ، وقوائم بالمهر المقدم ، الذي تطرقنا إليه في حديثنا عن أخبار القصر والعرس الكبير ، وكان مجموع الابقار المختلفة المقدمة (3254) رأساً ، وهذا لا شك يدل على وجود ثروة حيوانية كبيرة ، وخيرات وفيرة جداً .





د. الفونسو آركي

1 - الممارسة الادارية والسنة السبعية في ابلا ، الفونسو آركي - مجلة دراسات ابلانية ، المجلد رقم (1) . (ص 91)

الصناعة :

إلى جانب الغلات الزراعية والمواشي المتنوعة ، تجربنا ترجمات النصوص المسماة ، ان إبلا كانت تنعم بصناعة متقنة رائجة ، كانت تباع في رقعة جغرافية واسعة ، تشمل بلاد الشام كلها وبعض مناطق بلاد الرافدين وغيرها ..

كانت صناعة النسيج ، بشكل عام ، متطورة في إبلا ، وكذلك تصنيع الصوف والكتان ، نحو نصف الشواهد الكتابية ، تتعلق بتوزيع وتصدير المنسوجات ، داخل امبراطورية إبلا ومناطقها التي كانت تحت نفوذها السياسي والتجاري ، وكانت مصانع النسيج ، كما ذكرنا سابقاً ، تحت اشراف الدولة ، وهناك ما يشير إلى أن الملكة كانت تقوم بالاشراف عليها ، فالرقم المسماة التي دونت فيها الكميات التي تُنسج ، مع ذكر الالوان والنقوش ، تدل على انها وثائق رسمية للدولة ، ولم تكن قيود مؤسسات خاصة .

فهناك على سبيل المثال لوحة مسماة تتضمن جرداً لأعمال تصنيع اللباد ، في العاصمة إبلا ، وتغطي هذه العملية د فترة 27 سنة ، أما كميات اللباد فيبلغ مجموعها 4762 لباداً ، وتم تصنيعها من 18940 وحدة وزنية من الصوف¹.

وتذكر لوحة أخرى عن قيام القصر الملكي بإبلا بإرسال ثلاثة أنواع من الأقمشة من مشاغل القصر ، إلى ملك الأموريين (ماردو) وهي : عباءة (إنا - أوم - توج) ، وجلابيات (إكتوم - توج) وحرام - بطانية (أب - دار - توج) .

وهناك لوحة تشير إلى وجوب تقديم أقمشة من أجل فلان ، وفلان ، من الناظرين في (مارتو) الذين ذهبوا لتقديم الزيت ، وتأدية اليمين في معبد (كورا) .

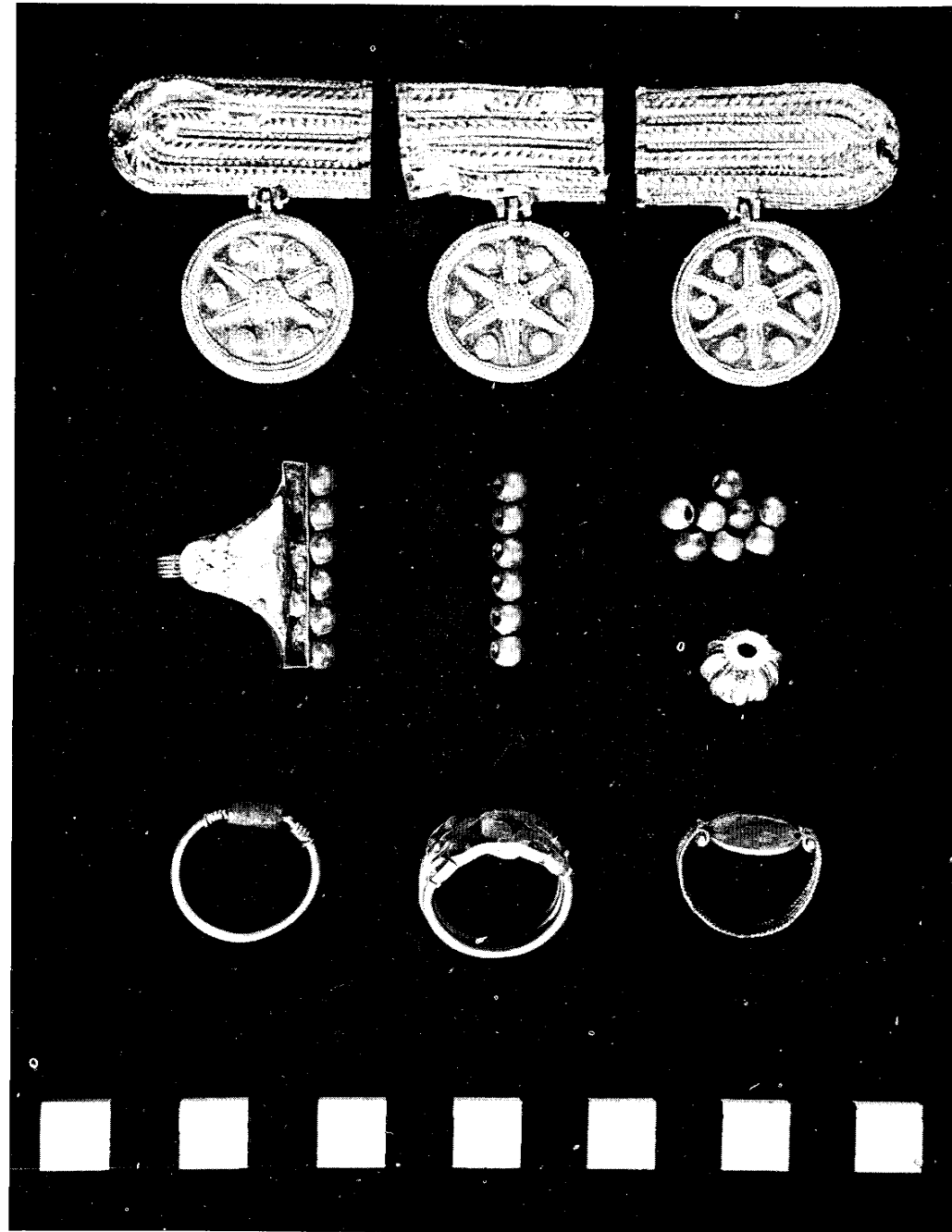
وهناك ما يشير في ترجمات الرقم المسماة إلى نوع نادر وثمين من النسيج كانت إبلا تستأثر بصناعته ، وهو ما يعرف باسم (الدمقس) ، ويصنع من القماش الكتاني أو الصوفي أو الحريري المنسوجة فيه خيوط من الذهب المقصب ، ووصفه يشبه إلى حد بعيد الأقمشة الحريرية المطرزة التي يتقنها النساجون هذه الأيام في دمشق والمعروفة باسم (دامسكو) والتي مازالت تحظى بشهرة عالمية كبيرة .

ونجدها مناسبة ان نشير إلى ترجمة نص اداري إبلائي يذكر فيه لائحة بأسماء مستلمي الاقمشة الملونة الرقيقة والملابس والحلي الثمينة التي وزعت من قبل الملك والملكة ومقاديرها (العمود الثاني - 12 - الغرفة 2769) :

[(إيدوم) قماش ل 2 (ربما مقياس الانتاج) .

(أكتوم قماش ، 1 ثوب ملون وفاخر ، اسوار فضي بوزن 32 مثقال ، اعطى الملك حارسه (اشبوتو) . 2 إيدوم قماش 2 ، 2 أكتوم قماش ، ثوبان ملونان وفاخران ، أعطت الملكة لداريمو ، وسارميلو . 1 إيدوم قماش ل 2 و 1 أكتوم قماش وثوباً ملوناً وفاخراً لحارسها (اشبوتو)] .

طوق ذهبي مؤلف من اقراص مزينة بنجوم دقيقة الصنعة ، عثر عليه في مدفن سيد الماعز (1700-1750 ق م) ، ويعتبر هذا الطوق من روائع فن الصياغة في سورية .



وفي النهاية يجمع الكاتب عدد كل نوع من القماش والملابس ويستخرج المجموع العام ويؤرخ للحدث² .

ومع أن صناعة النسيج استأثرت بأكبر عدد من العمال في إبلا ، فإنها كما تجربنا المكتشفات الأثرية الكثيرة ، لم تكن الصناعة الوحيدة الكبيرة في المدينة ذلك أن صناعة الأدوات والأشياء المعدنية وغيرها ، كانت مهمة ومزدهرة أيضاً . . فالذهب كان يصل إليها بكثرة تسديداً لأثمان ما تصدره ، أو مكوساً تفرضها ، وكما يقول علماء الآثار في البعثة الأثرية العاملة في إبلا : (لأول مرة يذكر الذهب على أنه (سلعة) عالمية في الألف الثالث قبل الميلاد) ويبدو من هذه الوثائق أن تجار الذهب في إبلا كانوا خبراء في أصناف الذهب الصافي منه والذي هو أقل من ذلك . .

2 - الآثار السورية ، عن ترجمة لجيوفاني بيتيناتو (ص 86 - 88) .

كما أمكن تحديد مجموعتين من الأوزان ، تعتمد المجموعة الأولى على أساس وحدة الوزن المسماة «المثقال» الذي يعادل 7,75 غراماً ، ولما كانت المينا مؤلفة من ستين مثقالاً ، فإنها تعادل $470 = (60 \times 7,75)$ غراماً .

وتعتمد المجموعة الثانية على المثقال الذي يزن 9,40 غراماً ، وقد أصبح هذا المثقال هو الأساس المتبع في أوغاريت (رأس الشمرا) بعد ذلك . ولما كانت المينا في أوغاريت مؤلفة من خمسين مثقالاً ، فإن المينا الاوغاريتية تعادل : $470 = (50 \times 9,40)$ غراماً .

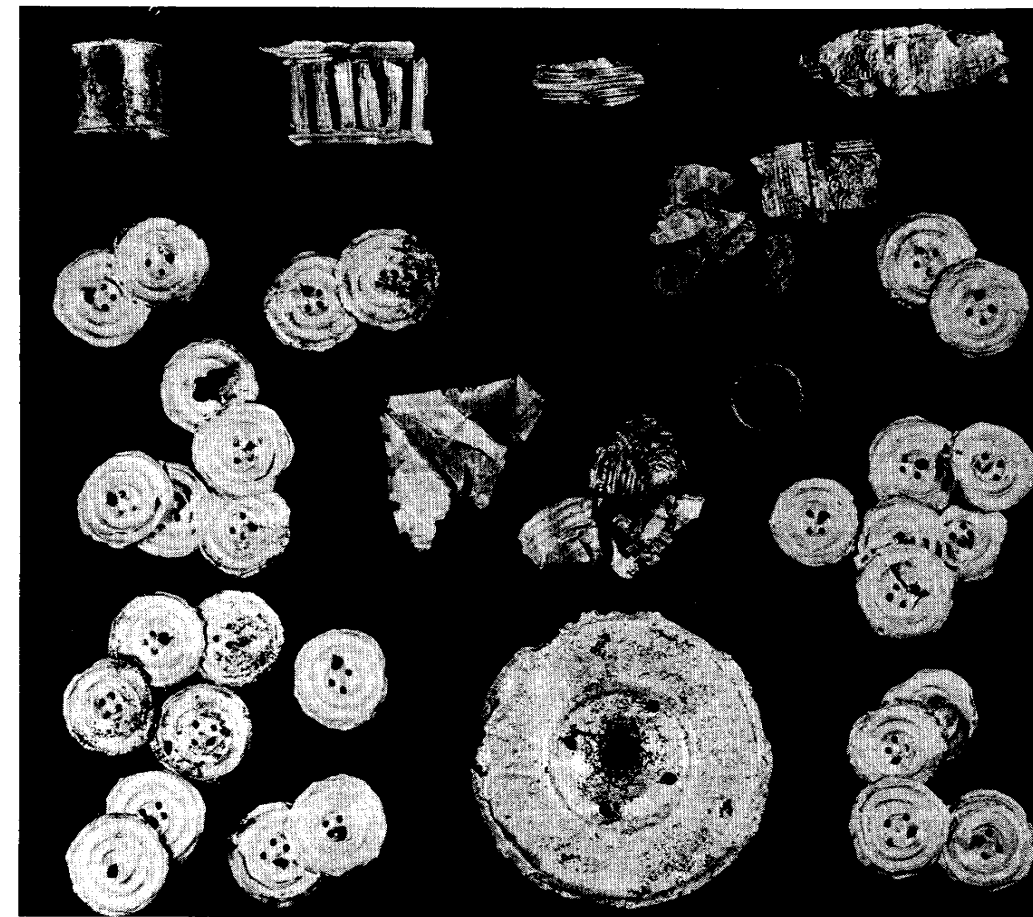
وثمة أوزان منقوشة تشهد على استخدام وحدة الوزن الاناضولية التي يعادل المثقال فيها مقدار 11,45 غراماً ، وترتبط الوزن الاناضولية بكلا وحدتي الوزن آنفتي الذكر .

«تفيد نصوص إبلا إلى تقسيم المينا إلى 60 مثقالاً ، وهو الوزن المتبع لوزن البضائع التي يتم عقد صفقاتها ضمن حدود امبراطورية إبلا . . ومن المعروف أن المثقال الذي يعادل 7,75 غراماً كان معروفاً في بلاد الرافدين وعيلام خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد أكدت الكميات الكبيرة من أحجار اللازورد التي تم العثور عليها في إبلا ، أن هذا المثقال كان يستخدم في العلاقات التجارية القائمة بين إبلا والبلاد الواقعة إلى الشرق منها . ولعل المثقال الذي يعادل وزنه 9,40 غراماً ، كان مخصصاً لوزن البضائع التي يتم عقد صفقاتها بين إبلا ومدن الساحل السوري بالإضافة إلى مصر . وتجدر الإشارة إلى أن المثقال الرافدي الذي يزن 8,75 غراماً لم يكن مستخدماً في إبلا آنذاك⁴ .

لقد كانت علاقات إبلا الاقتصادية أوسع بكثير من رقعة سيادتها السياسية ، ومكتشفاتها العديدة ، تؤكد ذلك ، فالمنطقة التي كانت إبلا تقيم معها علاقات اقتصادية وتجارية بصفة دائمة ومستمرة . . واسعة الأرجاء ونائية في الشرق ، وتشمل وادي الفرات الأوسط ، حتى مدينة ماري ، الواقعة قرب بلدة البوكمال - حالياً - ثم منطقة وادي الدجلة الأعلى ، وعاصمتها مدينة (كاكوم) الوارد اسمها في كثير من النصوص البابلية القديمة ، ولكن لم يتم التعرف على موقعها - حتى الآن - ثم بلاد آكاد وشمال بلاد بابل إلى الجنوب من بغداد ، حيث يرد في نصوص إبلا بكثرة اسم مدينة (كيش) التي كانت من كبريات مدن ذلك الزمان .

كذلك كان لابلا علاقات اقتصادية وتجارية مع المدن التي كانت تقع على الطريق البري الواصل بين إبلا والفرات الأوسط ، حيث يرد في النصوص المسارية أسماء مدن كثيرة تقع على هذا الطريق مثل : مدينة الطوب الواقعة في منطقة بحيرة الجبول ، ومدينة إمار (مسكنة/بالس) . . كما يرد أسماء يعتقد أنها واقعة في شمال بلاد ما بين النهرين بين الفرات والدجلة الأعلى ، مثل : (بورمان) ، (جرمو) و (نجر) . . كما يرد اسم مدينتين هامتين آشوريتين واقعتين إلى الشرق من نهر الدجلة وهما : مدينة (خمازي) الواقعة إلى الشمال الشرقي من الموصل ، ومدينة (جاسور) القريبة من كركوك .

ويؤكد «باولوماتيه» أن نفوذ إبلا على المنطقة الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين ، كان مقبولاً وطويل الأجل ، وذلك لأننا بعد مرور نحو ألف سنة من تاريخ نصوص القصر الملكي في



أزرار وقطع زينة من الذهب كانت تزهو بها ثياب شخصية إبلائية. دفنت في قبر سيد الماعز (1700 - 1750 ق.م.) وقد اتلف رشح المياه، الثياب الثمينة التي كانت الشخصية الإبلائية المدفونة ترتديها.

ومع أن الذهب كان الأرفع قيمة بين المعادن ، فإن الفضة كانت الأكثر شيوعاً ، وكان المعدنان يصنعان حلياً في إبلا ، وترسل هذه إلى الاسواق القريبة والبعيدة

ولندلل على كميات الذهب والفضة التي كانت تأتي - أحياناً - إلى إبلا ننقل عن نص مساري خبيراً مفاده :

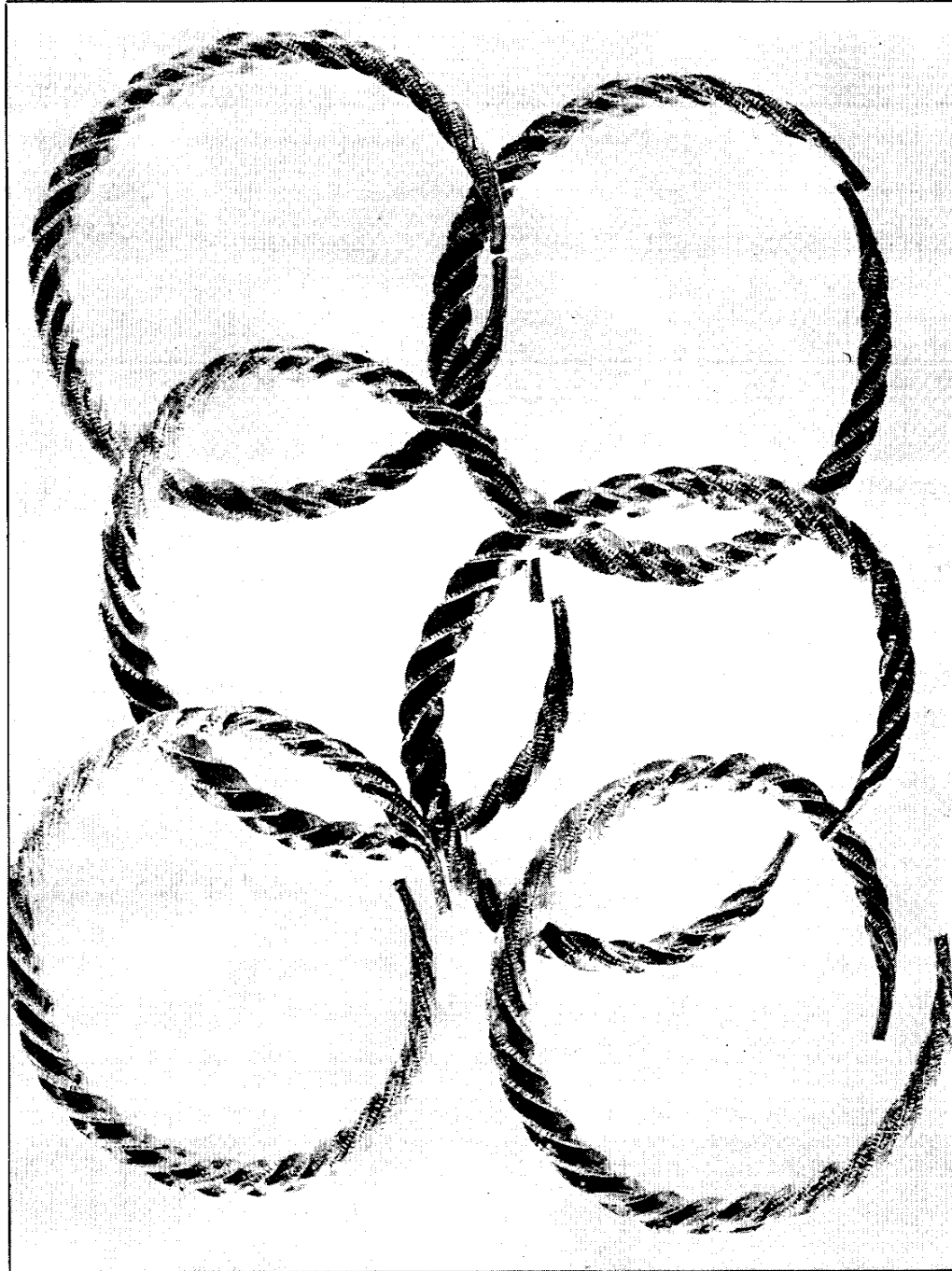
«إن مدينة ماري - تل الحريري - لما احتلتها إبلا ، فرضت هذه عليها غرامة قيمتها 2193 مينا من الفضة ، و 134 و 26 شاقلاً من الذهب» .

ومعنى هذا نحو طناً واحداً من الفضة ، ونحو ستين كيلوغراماً من الذهب ، وهذه المناسبة فقد دفع (إبلول - إيل) ملك ماري وحده 1100 مينا من الفضة ، و 93 مينا من الذهب ، فيما دفع شيوخ المدينة ما تبقى³ .

وهذه المناسبة تشير إلى نظام الأوزان في إبلا ، فقد اكتشفت غالبية الأوزان في القصر الملكي الذي يعود تاريخه إلى العصر البرونزي القديم ، وقام بدراستها البروفيسور - ألفونسو أركي ، وقد أبانت تلك الدراسة أن الأوزان في إبلا كانت تحدد بالغرام ، الوزن الفعلي لوحدة الوزن المسماة آنذاك «المينا» وتعادل المينا الواحدة نحو 470 غراماً . وهذا هو الوزن الفعلي للمينا في أوغاريت خلال الألف الثاني قبل الميلاد .

3 - الفكر العربي ، العدد (52) - آب 1988 (ص 110) .

4 - انظر ، إبلا ، الصخرة البيضاء ، ترجمة الاستاذ قاسم طوير ، عن الفونسو أركي - دراسات إبلائية - العدد الرابع ، إصدار جامعة روما لعام 1981 (ص 153 - 154) .



صناعة الحلي الذهبية كانت من روائع فن الصياغة في إبلا. وهذه نماذج عنها كانت تزين معصم الأميرة التي كانت ترفد في «قبر الأميرة» المكتشف في إبلا.

أنواع مختلفة الحجم من الخرز اللازوردي ، والذي كان يشكل ذات يوم طوقاً ثميناً يزين عنق إحدى بنات القصر أو حريمه ، وعثر أيضاً على لوحات خشبية مطعمة ، وقطع أثاث مزينة بأشكال الثيران الملتحية ، وفيها بقايا من اللازورد ، وكانت خلفيات جدران الجناح الرسمي للقصر ، منزلة بفصوص اللازورد ..

إن وجود اللازورد في إبلا بهذه الكميات النسبية أثار اهتمام علماء الآثار من عدة نواحٍ وخاصة في مصدره لأنه لم يعثر عليه سابقاً في سورية في الألف الثالث قبل الميلاد ، فمن أين وصل اللازورد إلى إبلا؟! وإلى أين كانت ترسله؟!

إبلا ، أي في نحو 1500 قبل الميلاد ، اكتشف في منطقة كركوك اسم مدينة كانت تدعى (دور - إبلا) أي مدينة إبلا ، ولعلها كما يعتقد «ماتيه» كانت مستوطنة تجارية يقطنها تجار من أهالي إبلا .. ان لم تكن قاعدة إبلائية في شرقي بلاد آشور⁵ .

تجارة اللازورد:

يعتبر حجر اللازورد من الأحجار الشبه كريمة ، وتتمتع القطع الثمينة منه بلون أزرق ، تتخلله نقاط ذهبية براق ، وهذا الحجر لا يتوفر إلا في أماكن معدودة جداً ، وحتى اليوم لا يستخرج إلا في أفغانستان ، وفي منطقة بحيرة بايكال وفي الشيلي ، لكن اللازورد الأفغاني لا يزال الأجود نوعية وشكلاً .

إن معظم اللازورد المكتشف في المواقع الأثرية في بلاد الرافدين مصدره أفغانستان ، لكن لم يتم العثور على أية قطعة منه في فلسطين ، كما أنه نادر الوجود في مصر ، حيث كان يجلب من الشرق كما تفيد بذلك الكتابات المصرية القديمة .

وقد عثر المنقبون على قطع لازوردية في أور وماري يعود تاريخها إلى الفترة الواقعة بين - 2350 2550 قبل الميلاد ، ولم يعثر على قطع أخرى في أي موقع أثري إلى الغرب من ماري حتى جاءت تنقيبات القصر الملكي في إبلا في فترة ازدهارها الأولى 2400 - 2250 قبل الميلاد ، حيث كشف النقاب عن أدلة جديدة للتجارة باللازورد

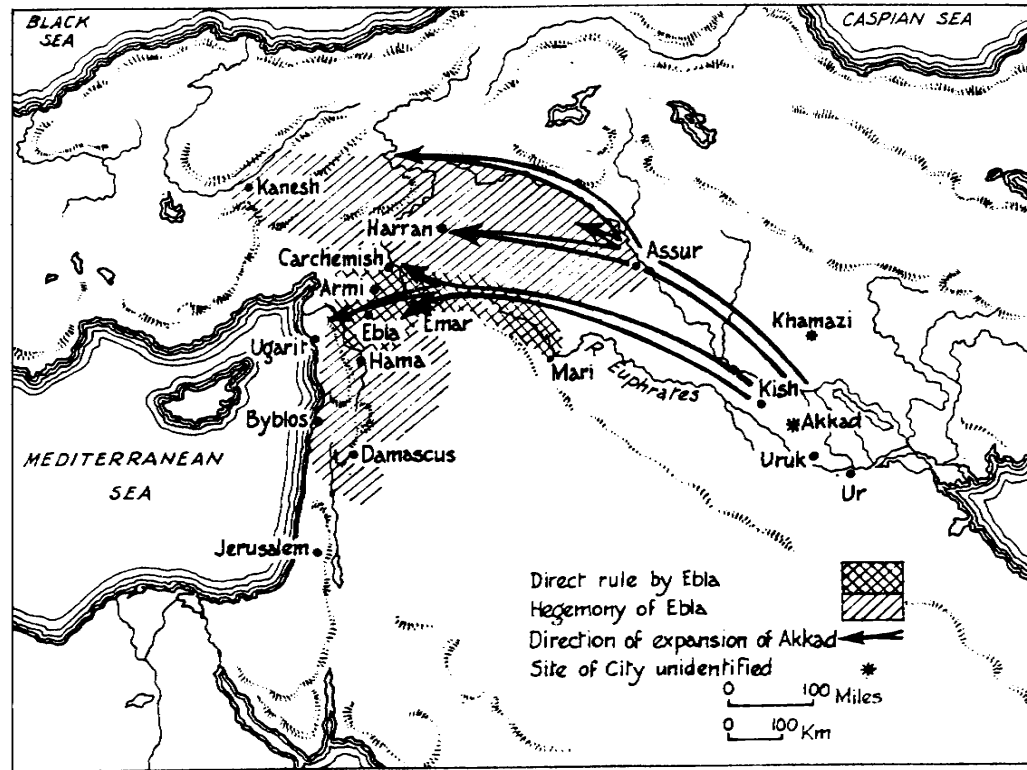
وبالفعل عثرت البعثة الإيطالية في باحة الجناح الرسمي للقصر الملكي ، على عدة قطع لخامات اللازورد وقد بلغ الوزن الإجمالي للقطع الخام أكثر من 22 كغ ، ويتألف 30% منها من قطع تزن كل واحدة منها ما بين 400 ، 600 غراماً .. وكانت معظم القطع مغلفة بقشرة رمادية اللون ، ولعل هذا اللون قد خلفته عملية الاستخلاص . وبالفعل كان يجري في الماضي ، وحتى في الوقت الحاضر اشعال النار في المنجم لاستخلاص اللازورد من فلزاته الصخرية ، وعندما تصبح درجة حرارة الفلزات عالية جداً ، يجري صب الماء البارد عليها ، عندئذٍ تتشقق الفلزات إلى قطع متعددة ، لذلك فإنه من المرجح جداً أن تكون القطع التي عثر عليها المنقبون في قصر إبلا من هذا النوع من الكتل الخام ، التي يبلغ وزنها الوسطي نحو 500 غرام⁶ .

وترجح السيدة بينوك أن تكون تلك القطع الثمينة من اللازورد الخام قد حفظت في الغرف الرسمية للقصر ، بانتظار تسليمها إلى الصناع الفنيين أو إلى أحد التجار المكلفين بالتجار بها في الخارج . وبالفعل كانت هناك كتل تزن بين 100 - 200 غرام ، وعليها آثار القطع والحز الناجمة ، على ما يبدو ، عن عملية التقطيع الأولى إلى كتل صغيرة ، أكبر بقليل من حجم القطعة الفنية المراد صياغتها من قبل صانع الحلي والمجوهرات ، وبما أن المادة ثمينة وغالية الثمن ، فلا بد أن كان المرء حريصاً على عدم التفريط بأي غرام منها أثناء عملية التقطيع والصقل والصياغة .

على الرغم من أن علماء الآثار لم يعثروا في القصر الملكي بإبلا على ما يشير إلى وجود عملية التصنيع كانت تتم داخل القصر ، فقد عثر على عدة قطع من الحلي المصنوعة من اللازورد ، وأبرزها

5- علاقات إبلا الاقتصادية والسياسية - باولوماتيه - اصدار جامعة روما - عام 1983 ، ترجمة الاستاذ قاسم طوير (ص 11 - 13) .

6- تجارة اللازورد ، بقلم فرانسيس بينوك ، عضوة البعثة الأثرية الإيطالية العاملة في إبلا ، اصدار جامعة روما عام 1983 ، ترجمة قاسم طوير (ص 36 - 35) . والمحاضرة التي قدمتها الباحثة إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية - جامعة حلب (19 - 24) ايلول 1981 .



خارطة توضح بعض علاقات
إبلا السياسية والاقتصادية مع
بلاد ما بين النهرين.

الأثرية التي تمت في بعض الحفريات في جنوب فلسطين ، حيث تم العثور على حطام أوانٍ مصنوعة من حجر الألباتر ، لكنها لا تحمل أية كتابة ، وعلى حطام أوانٍ فخارية مشفوعة بنقوش هيروغليفية ، تؤلف أسماء عدد من الفراعنة ، وقد استمرت تلك العلاقات ، وامتدت خلال فترة السلالات القديمة نحو الشمال ، بحيث أنها تركزت في ميناء جبيل على الساحل السوري ، حيث كشفت التنقيبات الأثرية في هذا الموقع عن العديد من القطع الأثرية المشفوعة بأسماء معظم الفراعنة الذين حكموا في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي مقدمتهم الفرعون «خاسي خيمو» الذي كان آخر ملوك الأسرة الثانية في مصر⁸.

وفي تحليلها لأسباب التركيز المصري على ميناء جبيل دون غيره من موانئ الساحل السوري ، تقول البروفيسورة «غابرييلا ماتيه» : إن جبيل كانت الميناء الذي تأتي منه المواد الخام الأساسية لمصر مثل أخشاب جبل لبنان ، والصمغ المستخرج من أشجار الجبال نفسها ، إضافة إلى منتجات أخرى في بلاد الشام الداخلية ، والتي كانت تصل إلى ميناء جبيل بطريق القوافل البرية ..

كان المصريون يحتاجون إلى الأخشاب في البناء والتعمير ، وفي صنع توابيت موتاهم ، أما الصمغ فكان مادة أساسية في تحنيط الجثة ، وقد أكدت التحاليل الكيميائية الحديثة وجود عناصر صمغية خشبية في الجثث المحنطة في عصر السلالات القديمة في مصر ، فضلاً عن وجود نص كتابي يعود تاريخه إلى مطلع عصر السلالات الوسطى ، يشكو فيه كاتبه ، من السفن التي لم تتمكن من الإبحار في اتجاه الساحل السوري لجلب الزيوت اللازمة لتحنيط الموتى .

وتتابع غابرييلا تحليلها : ويبدو أنه كان في جبيل في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، مكتب لمدوب دائم عن الفرعون المصري ، وهذا يفسر لنا أسباب العرى الوثيقة التي كانت تربط جبيل مع

تجيب عن ذلك البروفيسورة فرانسيس بينوك فتقول :

كان معظم اللازورد القديم يستخرج من مناجم (باداخشان) في أفغانستان ، والتحليل الدقيق الذي قمت به مع بعض المختصين أثبت أن اللازورد المكتشف في إبلا مصدره من هناك .. وتحدث بعض النصوص المسارية التي تمكنا من قراءتها - حتى الآن - عن أن إبلا كانت ترسل سبائك الفضة إلى ماري (تل الحريري) مقابل استيراد اللازورد ، وعن ورود شحنات من اللازورد من ماري إلى إبلا كهدية ، ومن إبلا إلى كيش في بلاد ما بين النهرين ، مع أنه ليس من السهل تفسير هذه العلاقة الأخيرة .

وفي ضوء الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة في ذلك الزمان تتصور «بينوك» بشكل عام حالة تجارة اللازورد في إبلا : فمن المرجح تماماً أن إبلا كانت تحصل على الفضة من بلاد الأناضول ، بينما لم تجد ماري صعوبة في الحصول على اللازورد من منطقة الدولة الأكادية ، وكانت العلاقات نامية بين إبلا وماري إلى حد أنه من المعقول أن يكون تبادل اللازورد والفضة بينهما بنسبة واحد إلى واحد ، رغم القيمة العالية والندرة للازورد بالقياس إلى معدن الفضة .. وهناك ما يشير إلى أن تجار إبلا قد قاموا بنقل هذه المادة الثمينة إلى المناطق الغربية باتجاه سواحل بلاد الشام ، ومن هناك كانت تشحن إلى مصر حيث يشتد الطلب على هذه المادة النادرة ، وكان يبادل في مصر بالأواني الحجرية التي كانت تشهد بصناعتها ، وقد عثر المنقبون في إبلا على بقايا من تلك الأواني المصنوعة من حجر الديوريت ومن حجر الالباتر ، وكانت تحمل أسماء فراعنة مصر مثل خفرع وبسبي الأول⁷.

7 - المصدر السابق . (ص 39)

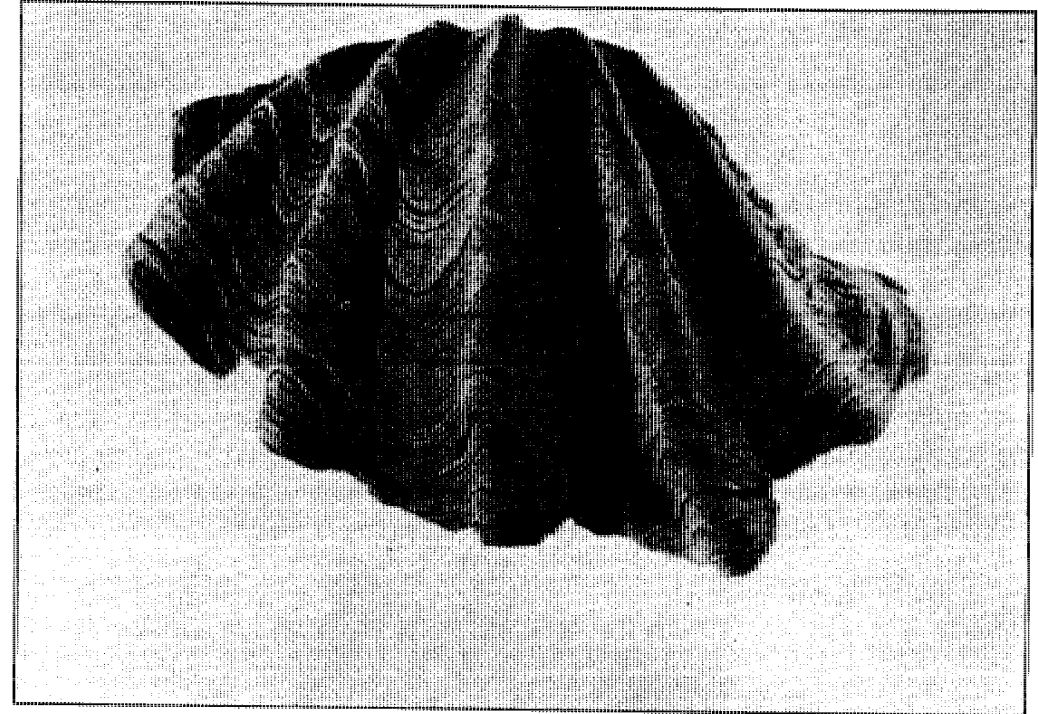
علاقات إبلا مع مصر :

لقد عثر في تنقيبات إبلا ، على دلائل أثرية مادية ، تبرهن على وجود علاقات بين مصر وامبراطورية إبلا من هذه الآثار تلك القطع المبعثرة هنا وهناك في أرضيات القصر الملكي (ج) المصنوعة من حجر الألباتر ومن حجر الديوريت ، وكلا المادتين لم تعرف إلا في بلاد مصر ، وقد تمكن علماء الآثار من تجميع بعض تلك القطع الحجرية المحطمة مثل أغطية الأواني والشمعدانات النادرة .

تلك القطع والأواني الحجرية ، جعلت البعثة الأثرية الإيطالية تعيد حساباتها بخصوص علاقات إبلا التجارية والدولية ، خاصة وأن أجزاء الشمعدانات كانت تحمل كتابات هيروغليفية مصرية ، تؤلف اسم ولقب الفرعون المصري الشهير «خفرع» سليل الأسرة الرابعة ، وباني الأهرام الثاني في منطقة الجيزة الذي يحمل اسمه . وهناك أيضاً قطعة بشكل غطاء لآنية اسطوانية مصنوعة من حجر الألباتر تحمل لقب الملك «بسي الأول» وهو الملك الثالث في السلالة المصرية السادسة ، وكان حكمه أطول حكم في التاريخ المصري القديم

هذه المعطيات دفعت علماء الآثار - كما قلنا - إلى البحث جدياً عن جذور العلاقات بين امبراطورية إبلا وبلاد مصر ، وقد ثبت أن هذه العلاقات تعود إلى عصور ما قبل السلالات ، وإلى عصر السلالات الأولى ، وقد توفرت الأدلة الإضافية على ذلك من خلال بعض المكتشفات

8 - المصدر السابق ، بقلم
غابرييلا ماتيه سكانيوني ،
عضوة البعثة الأثرية
الإيطالية العاملة في إبلا ،
(ص 25)



صدفة من الخليج العربي
اكتشفت في مواقع التنقيب في
إبلا.

مصر ولكن بماذا نفسر سبب وجود الأواني المصرية داخل القصر الملكي في إبلا هذه المدينة التي تعتبر أبعد نقطة في الشمال ، وفي الشرق وصلت إليها تحف مصرية يعود تاريخها إلى عصر السلالات القديمة ؟!

الجواب عن ذلك يمكن في ثلاثة افتراضات وضعتها «غابرييلا ماتيه» ولكنها لا تبت في أيهم الأقرب إلى الحقيقة :

يعتمد الافتراض الأول احتمال وجود روابط مباشرة بين بلاط إبلا والبلاط المصري ، ونستغرب أن يكون ملوك إبلا قد قاibusوا تلك الأواني الحجرية النادرة ، بقطع من اللازورد ، ذلك الحجر المفقود في مصر والمرغوب جداً في صناعة الحلي ، ومن الممكن أن تكون مثل هذه البضاعة تصل إلى البلاط المصري من سورية الشمالية بطريق القوافل أو بطريق البحر ، انطلاقاً من الميناء الذي جعله ملك إبلا الميناء الرئيسي على ساحل البحر المتوسط ، حينذاك ، ومن الممكن أن يكون ذلك الميناء (أوغاريت) التي يرد ذكرها كثيراً في قائمة الاسماء الجغرافية في نصوص إبلا .

- الافتراض الثاني يقوم على أساس أن إبلا جلبت تلك الأواني المصرية من ميناء جبيل على الساحل السوري ، وبالفعل عثر المنقبون الآثاريون في موقع جبيل على عدد مناسب من الأواني الحجرية المشفوعة بأسماء فراعنة السلالة القديمة في مصر ، بحيث أصبح من المؤكد أن مصر كانت تصدر مثل هذا النوع من الأواني إلى موانئ بلاد الشام على ساحل المتوسط ، ولا بد أن كانت جبيل بصفتها ميناء خطير الشأن ، تحتكر الحركة التجارية لبلاد الشام الداخلية ، وفي رحاب أسواقها كانت تتم المقايضة بين البضائع المستوردة من مصر ، والبضائع المراد تصديرها إلى مصر .

يبد أنه يصعب الأخذ كلياً بهذه الفرضية ، لأن اسم جبيل لا يرد ذكره في أي نص من نصوص إبلا - حتى الآن .-

9 - المصدر السابق (ص 28) .

- الافتراض الثالث يقوم على أساس أن مدينة هامة لها روابط مع بلدان أخرى ، سقطت بأيدي قوات إبلا ، وكانت تلك الأواني جزءاً من الغنائم . وهذا أضعف الافتراضات⁹ على كل حال الأعمال الأثرية لاتزال قائمة في إبلا على قدم وساق ، ونرجو أن تقدم لنا المكتشفات القادمة ، الدلائل المادية التي نستطيع من خلالها أن نرجح كفة على كفة أخرى

. علاقات إبلا الدولية :

من خلال الكشف الأثري ، التي تطرقنا إلى كثير من محتوياتها في الأبحاث الماضية ، نستطيع القول بثقة تامة أن إبلا كانت عاصمة سياسية وحضارية لامبراطورية سورية ، تمتد رقعتها الجغرافية على مساحة واسعة ، تقع بين نهر الفرات شرقاً ، وجبال الساحل السوري على البحر المتوسط غرباً ، ومن منطقة قطنة (تل المشرفة قرب حمص) جنوباً ، حتى جبال الأمانوس وطوروس شمالاً

إن النصوص المسامرية التي اكتشفت في القصر الملكي (ج) تطرقت إلى ذكر أعداد كثيرة من أسماء المدن والقرى والمناطق التي كانت تابعة لامبراطورية إبلا ، وقد تمكن علماء الآثار من التعرف على بعض منها بين التلال الأثرية الكثيرة المنتشرة في تلك البقاع ، مع العلم أنه من النادر جداً أن تتناقل الأجيال اسم المدينة أو القرية على مر أربعة آلاف وخمسمائة سنة تقريباً ، ومن تلك الأسماء : مورك وصوران قرب حماه ، ونيارس شمال بلدة سراقب في محافظة ادلب . كما يرد في النصوص المسامرية أيضاً اسم (دوجان) وهو قريب في لفظه من اسم (تل طوقان) الهام جداً ، والواقع في منطقة (أبو الظهور) شرقي إبلا ، والذي قامت البعثة الأثرية الإيطالية ببعض الأعمال التنقيبية فيه .

كما ترد في نصوص إبلا أسماء ملوك الكثير من المدن ، مثل ملوك حماة وتوبا وإيمار وأورشو ، ومن المحتمل جداً أن هؤلاء الملوك كانوا خاضعين للعاصمة إبلا ، وربما كان بعضهم ولاة من أصل إبلائي ، كما حدث في مدن هامة ونائية مثل ماري (تل الحريري) قرب بلدة البوكمال حالياً .

وهناك ما يشير إلى أن نفوذ إبلا السياسي ، قد امتد إلى ما وراء نهر الفرات . . ذلك لأن هناك عدة مدن يرد ذكرها في نصوص إبلا ، كانت تقع فيما وراء نهر الفرات مثل مدينة (ايرتا) ومدينة (حران) . . كما كانت تربط إبلا الأحلاف الودية مع مدن ما وراء الدجلة الشمالي مثل : مدينة (حازوان) ومدينة (عرار) ومدينة (كاسميوم) ومدينة (خمازي) وبالرغم من أن هذه المدن لم تكتشف أماكنها إلا أن أغلب الباحثين يرجحون وقوعها في مكان ما إلى الشمال الشرقي من نهر الدجلة .

ونستفيد من ترجمة بعض النصوص المسامرية ، إلى وجود علاقة جيدة كانت تربط مدينة (كيش) العاصمة الثانية للأكاديين ، مع إبلا ، حيث قام الملك الابلائي (أبي - زكير) بزيارتها ، وكان كنية من (كيش) يعملون في إبلا ، وكان المواطنون في إبلا يزورون (كيش) أو يقطنون فيها . . كما أن كيش ، كانت تشترك في تقديم القرابين في معابد إبلا ، وتشير كل هذه المعلومات إلى وجود علاقة متوازية وطيبة بين إبلا ، وعاصمة الأكاديين¹⁰ .

10 - إبلا ، عبلاء ، الصخرة البيضاء ، قاسم طوير (ص 33) .

ومع ذلك من الصعوبة - حتى الآن - وضع نظرية متكاملة حول سعة رقعة إبلا الجغرافية ، نظراً لعدم اكتمال المعلومات الأثرية ، ورغم ذلك فقد كشفت نصوص السجلات الملكية الأبلائية بجلاء عن ثلاثة أشكال لطريقة حكم المناطق الجغرافية والاشراف الإداري عليها : يوضحها لنا «باولو ماتيه» على النحو التالي :

في مقدمة تلك الاشكال نذكر المدن التي تتبع مباشرة لابلا ، وكان يحكمها (الاوغولا) أي القاضي ، أو ابن الملك ، أو أحد وجهاء البلاط الملكي ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة (آرمي) التي يبدو أنها كانت إحدى كبريات المراكز في امبراطورية إبلا ، ويمكن أن تكون المقصودة في كتابات الملك الأكادي (نارام - سن) الذي يفتخر بأنه فتح إبلا وارمانوم (حلب القديمة) .

وتأتي في الدرجة الثانية ، المدن الغربية التي تم اخضاعها في أعقاب حملة عسكرية ، وفي هذا الوضع ، يتسلم أحد وجهاء إبلا سدة الحكم في المدينة المغلوبة ، مثلما حدث بالنسبة لمدينة ماري ، وقد وجد في نصوص إبلا ما يخبرنا عن الحملة العسكرية التي قامت بها إبلا ضد ماري ، من خلال تقرير القائد (إننا - دجن) إلى مليكه في إبلا ، حاملاً إليه بشائر النصر المين ، حيث يقول له :

«إنادجن ، ملك ماري إلى ملك إبلا ، حاصرت مدينة إبود ، ومدينة إيجي ، التابعتين لدولة بلاد إبلا ، ودحرت ملك ماري ، وتركت بلاد لبنان الجبلية حطاماً ورماداً ، ثم حاصرت مدينة تيبالات ومدينة ألوى ، ودحرت ملك ماري ، وتركت بلاد انجاعي الجبلية رماداً وحطاماً ، ثم حاصرت دولة راعياك وايروم وأشلد وبادون ودحرت ملك ماري ، وتركت حدود (الاسم ناقص) في منطقة ناحال رماداً وحطاماً ، ثم حاصرت مدينة ايمار ، ومدينة لالانيوم وقناة إبلا ، ودحرت قائد ماري العسكري المدعو (اشتوب - شار) وتركت مدينة ايمار ومدينة لالانيوم رماداً أو حطاماً ، ثم قضيت على مدينة جلالبيغي ، ومدينة (.....) وعلى القناة ، ثم دحرت ملك ماري وآبارسال ، في مدينة زاهيران ، وأقامت سبعة أهرامات من الرماد والحطام ، وحاصرت (ايلول - ايل) ملك ماري ومدينة شادا ، ومدينة الداليعي ومدينة اريسوم في دولة بورمان التابعة لبلاد ساجوروم ، ودحرت (ايلول - ايل) وتركت تلك المدن حطاماً ورماداً ، ثم حاصرت مدينة شران ومدينة داميوم ، ودحرت (ايلول - ايل) ملك ماري ، وأقامت هرمين من الرماد والحطام ، وفي مدينة ميرات ، في قلعة حازوان هرب من أمامي (ايلول - ايل) ملك ماري ، واستلمت جزية إبلا الموجودة في مدينة (نه - ما) . أما مدينة ايمار فقد دحرتها وتركتها رماداً وحطاماً ، وفي بلاد كنعان دحرت (ايلول - ايل) ملك ماري ، في منطقة نحال ، وفي مدينة نوبات ، وفي مدينة شاوا التابعة لدولة جاسور ، وأقامت سبعة أهرامات من الحطام والرماد ، كذلك دحرت (ايلول - ايل) ملك ماري في مدينة براما للمرة الثانية ، وفي مدينة إبود ، وفي مدينة تيبالات التابعة لدولة بيلان أنا (إننا - دجن) سيد ماري ، تركت تلك البلاد ، رماداً وحطاماً ، ثم ربطت الصولجان ، وانغمست في الهيئة الملكية¹¹ . ويبدو أن (أننا - دجن) كان متزعجاً من ملك ماري (ايلول - ايل) لذلك نراه في تقريره يكرر كثيراً خبر التصدي له والقيام بدحر جيوشه ، وفي ذلك شيء من الطرفة ؟!

11 - مجلة اونيس انتيكوس الصادرة عن معهد الشرق ، مركز آثار وتاريخ فنون الشرق الأوسط ، المجلد (19) الجزء (4) لعام 1980 (ص 231 - 245) ترجمة الاستاذ قاسم طوير ، مصدر سابق (ص 118 - 119) .



قطع من رقائق ذهبية إبلائية، اكتشفت في القصر الملكي (ج) .

ونظراً لأهمية هذا التقرير العسكرية والسياسية فقد قام أكثر من عالم لغوي بدراسته ، ويرى العالم «ادزاد» أن هذا التقرير يعيد إلى الأذهان الانتصارات العسكرية مع تداعي الخواطر في كثرة ذكر الاسماء ، ويبدو أن لهذا أهمية في العلاقات المتبادلة بين ماري و إبلا .

أما في الدرجة الثالثة فتأتي المدن المستقلة ظاهرياً ، ويحكمها ملك من أهلها لكنها ترتبط بمعاهدة سياسية مع إبلا ، كما هي الحال بالنسبة لمدينة آشور وحماة (?) ، أو باتفاقية تقوم على دفع الجزية لابلا ، كما تحقق من ذلك بالنسبة لأكاد ، وكانيش ويمكننا أن نأخذ فكرة عن تلك المعاهدات التي تربط إبلا بتلك المدن من خلال «ما يسمى بالمعاهدة بين إبلا وآشور» التي تفيد ترجمتها :

«إذا اعتدى أحد على أبارسال فإن إبلا ستتكفل (ستحمي ؟) غلال محاصيل حقول أبارسال ، أو إذا اعتدى أحد على أبارسال فإن أبارسال ستقتله . وإذا اعتدى أحد على إبلا فإن أبارسال ستتكفل غلال حقول إبلا ، وإذا اعتدى أحد على إبلا فإن إبلا ستقتله» .

لقد جرى خلاف بين علماء اللغات القديمة حول ترجمة هذا النص ، وخاصة المدينة التي وقعت مع إبلا تلك المعاهدة ، «فجيو فاني بتيناتو» قرأ كلمة (آشور) اسماً لتلك المدينة ، وادموندسولبرجيه دقق النص مرة ثانية ، وقال بأن الكلمة لا يمكن أن تكون (آشور) بل (أبارسال) لكن لم يسمع أحد باسم هذه المدينة ، إذ لم يرد لها ذكر في أي نص مسماري قديم ، أو متأخر في أي موقع أثري خارج

12 - قاسم طوير، المصدر السابق (ص 34) و (132).

إبلا ، ومع هذا يرجح الباحثون أن تكون هذه المدينة واقعة في مكان ما على الفرات لأن المعاهدة تحرم (ابارسال) ممارسة التجارة النهرية ، وتجعلها حكراً بيد إبلا¹².

وفي نصوص سجلات القصر الملكي في إبلا عثر المنقبون أيضاً على رسالة دبلوماسية من نوع آخر ، بين ملك إبلا (اركب دامو) مرسله إلى (زيزي) ملك خمازي ، وتفصح هذه الرسالة بصراحة عن تحالف بين إبلا وخمازي . ولما كانت مملكة خمازي حسب تقدير علماء الآثار تقع في مكان ما من شمال إيران أو إلى الشرق من نهر دجلة ، فإن ما يثير الإعجاب أن تقيم إبلا علاقات دبلوماسية مع مملكة نائية عنها ، وهذا يؤكد بما لا يقبل الشك أن إبلا كانت امبراطورية كبرى مترامية الاطراف وإعادة ترتيب النص (الرسالة) يفيد بما يلي :

«من ايوب- بونا قصر الملك إلى الرسول ،

اسمع انما انت اخي ، وأنا أخوك ،

أرغب من أخي أن ينصت إلى ما أقوله ،

إن الرغبة التي اتفوه بها هي أن ارجوك بإرسال

جنود ابرار .

فأنت حقاً أخي ، وأنا أيضاً أخوك ،

فأنا ايوب بو أعطيت عشر قطع أثاث من الخشب

وقطعتين من الاثاث الفاخر لرسول اركب- دامو

ملك مدينة إبلا ، وأخ زيزي ملك مدينة خمازي .

وزيزي ملك خمازي هو أخ اركب دامو ملك مدينة إبلا

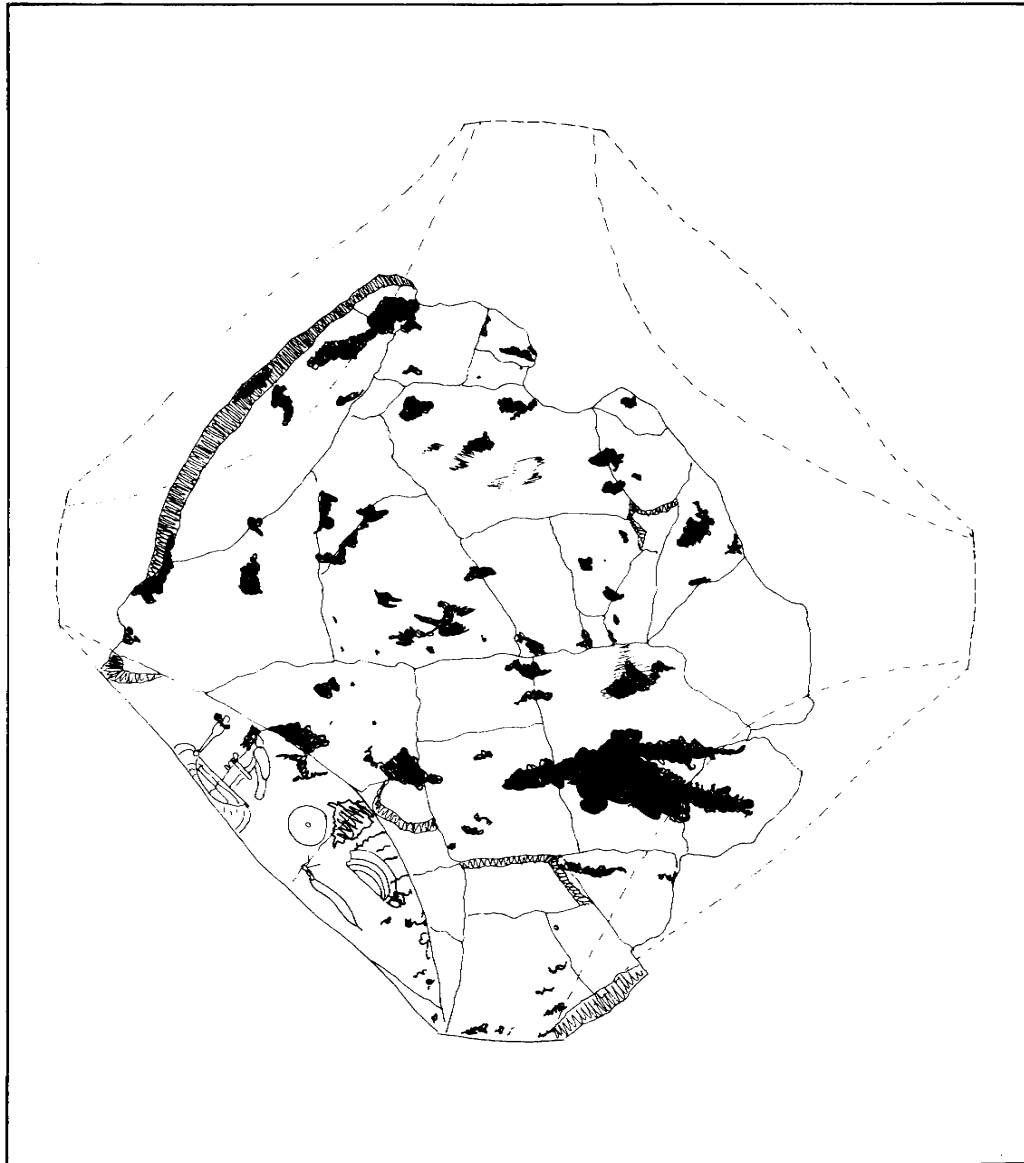
وأخ زيزي ملك مدينة خمازي

انما كتب (هذه الرسالة) الكاتب تيرا- ايل ، وأعطاه لرسول زيزي» .

وفي هذه الرسالة ما يشير إلى أن ناظر قصر إبلا قد طلب من مبعوث مملكة خمازي أن يرسل له جنوداً ابراراً ، وهذا يدفع للتفكير بأن إبلا كانت تستخدم الجنود المرتزقة في تشكيل جيوشها ، أو أن معاهدات التحالف كانت تنص على إرسال الجنود للخدمة في بلاط إبلا ، وهذا أيضاً يمكن أن يدل على الصفة المسالمة لأهالي إبلا الذين وهبوا أنفسهم للتجارة الدولية في كل أنحاء العالم المعروف آنذاك كما أن ارسال ملك إبلا هدايا تتألف من قطع الاثاث الخشبي يؤكد على المستوى الصناعي العالي الذي كانت تتمتع به حضارة إبلا¹³ ، لاسيما وان هذه الحقيقة لا تقتصر على الدليل الوثائقي بل على دليل ملموس اكتشف بكثرة في إبلا ، اثناء تنقيبات البعثة الأثرية الايطالية في الموقع خلال عدة مواسم .

في مكتشفات إبلا ، أدلة كثيرة ومتنوعة تثبت على أن علاقاتها الاقتصادية كانت أوسع بكثير من رقعة سيادتها السياسية (على امتدادها) ، وهذه المكتشفات مكنت علماء الآثار من رسم صورة معقولة إلى حد ما لعلاقات إبلا الخارجية في المجالات السياسية والاقتصادية والحضارية المباشرة ، وغير المباشرة ، وتمثل العلاقات المباشرة في القطع الأثرية المكتشفة في انقاض القصر الملكي (ج) والتي تطرقنا إليها في مواضيع سابقة .

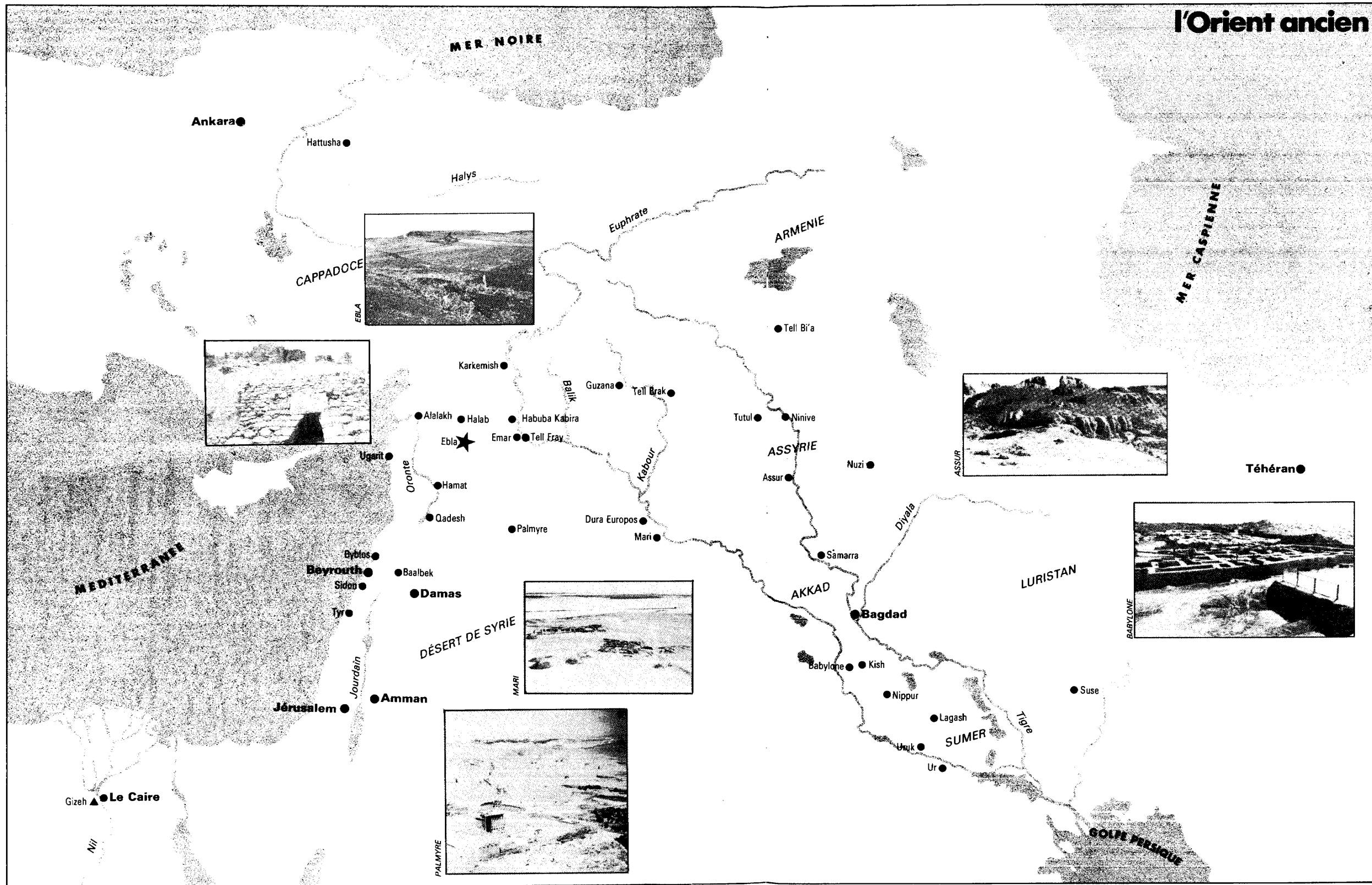
13 - المصدر السابق (ص 150 - 147 قراءة ، بقلم جيوفاني بيتناتو .



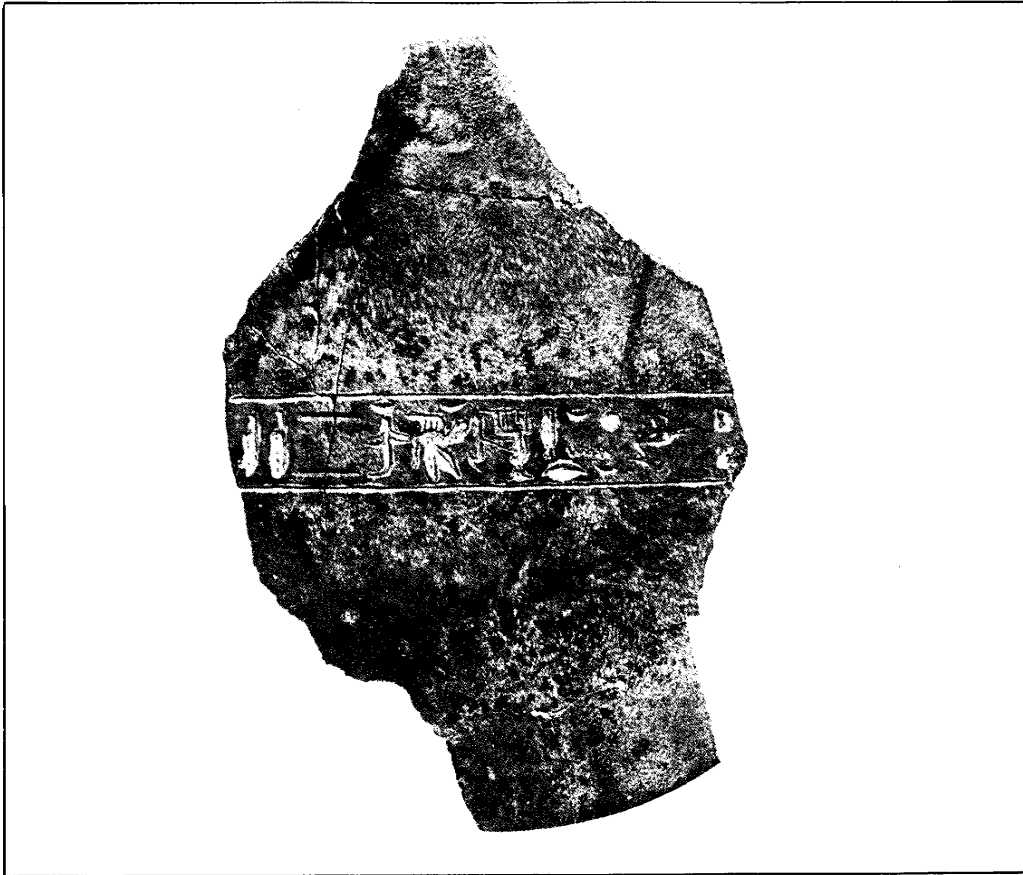
رسم شمعدان الفرعون خفرع

أما العلاقات غير المباشرة فتجلى في الأعمال الفنية التي عثرت عليها البعثة الأثرية وأبانت دراستها على وجود تأثيرات لمدارس فنية معروفة في بلدان أخرى ، لا بد أن إبلا كانت على علاقات معها .

وقد زدتنا النصوص المسارية ذات المضمون المعجمي واللغوي بمعلومات ذات أهمية كبيرة لأنها احتوت على قوائم بأسماء مدن نائية وذات شأن . ومع انها لا تفصح عن وجود علاقات تجارية أو سياسية بين تلك المدن وامبراطورية إبلا ، فإنها تقدم الدليل على أن أهالي إبلا آنذاك كانوا يعرفون تلك المدن على أقل تقدير ، ومن جملة تلك المواقع التي تم التأكد من اسمائها ، أسماء موانئ على الساحل السوري مثل : أوغاريت وأرواد وربما بيروت أيضاً ، فضلاً عن أسماء مدن كبرى في بلاد آكاد وبلاد سومر مثل (إكشاك) و (لاغاش) و (أما) و (جيرسو) و (نيبور) و (شوروباك) و (أدب) و (أوروك) ، إلى جانب أسماء مدن في بلاد أكثر بعداً مثل (عيلام) في جنوب غرب إيران ، و (ديلمون) في البحرين الحالية .



خريطة توضيحية تبين علاقات
إبلا التجارية والاقتصادية مع
دول الشرق القديم.

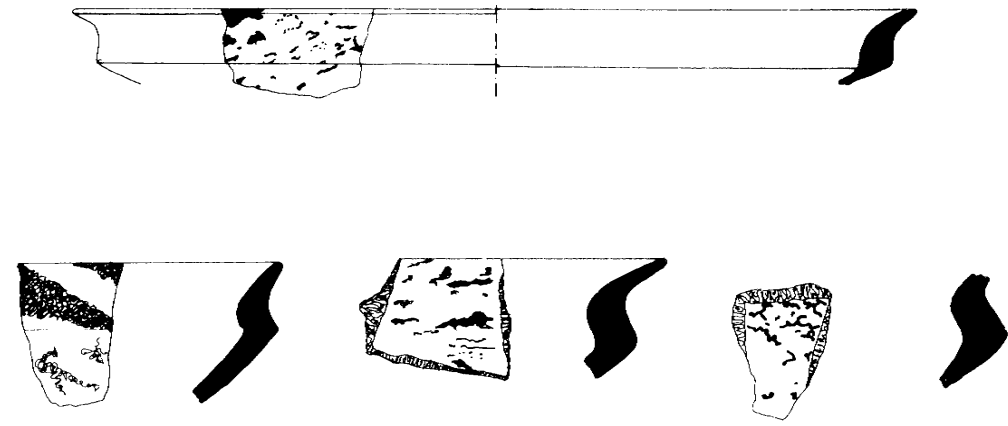


بنيان تأسيسي سوري الطابع ، وتطلعات دينية مرتبطة بتاريخ بلاد الشام المتأخر ، وفي هذه المرحلة بالذات ترسخت أسس متميزة أصبحت بعدئذٍ منطلقاً للتطور الحضاري المتعاقب في بلاد الشام .

وتتجلى المرحلة الثالثة في الفترة التي دونت خلالها السجلات الملكية المكتشفة في القصر (ج) ، فالعلاقات بين إبلا وجنوب بلاد الرافدين ، ظلت قائمة ، لكن الاستقلال الحضاري الذاتي لابلا تكامل كلياً ، ويبدو أن العلاقات وقتئذٍ قد اقتصرت على المناطق المزدهرة في شمال بلاد بابل ، وعلى مدن معينة مثل : (كيش) و (اكشاك) وآكاد رغم غياب اسمها في وثائق إبلا ، وقد اتصفت العلاقات في هذه المرحلة بين إبلا وآكاد بطابع المساواة والمنافسة .

وفي المرحلة الواقعة بين 2300 - 2250 قبل الميلاد نتجت عن تلك المعادلة ، مشاكل حاسمة ، تجلت في اضطراب إبلا إلى دفع الجزية إلى صارغون الآكادي ، وفيما بعد إلى دمار إبلا على يد نارام - سن الآكادي ، وواضح أن الطابع الاقتصادي قد لعب الدور الأساسي في كل تلك العلاقات ، فابلا كانت تسيطر على سورية الداخلية ، وتحكم بمصادر الخشب في جبال سورية الغربية من الامانوس وجبال الساحل السوري حتى جبال لبنان ، وبمصادر المعادن كالنحاس والفضة والذهب في مناطق مختلفة من جبال طوروس

وكانت المعادن والاختشاب من المواد الحيوية والأساسية في تطور التقنية في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي التجديدات التكنولوجية لذلك الزمان ، وبالذات تكنولوجيا البرونز ومع ذروة التوسع الاقتصادي والسياسي الذي حققته إبلا نحو الغرب ونحو مراكز الشرق . . أدرك ملوك



إن مجرد ذكر أسماء حواضر كبرى واقعة في بلاد سومر في الرقم المعجمية المخصصة لتعليم الكتابة المسماة في إبلا ، هو في غاية الأهمية ، لاسيما وأن العلاقات الاقتصادية الموثقة في سجلات إبلا تأتي كثيراً على ذكر مدينة (كيش) في بلاد آكاد ، لكنها لا تأتي على ذكر أي مدينة من مدن الجنوب الرافدي ، باستثناء مدينة (أوب) التي لا بد أنها كانت مركزاً هاماً على طريق المواصلات مع الهضبة الإيرانية¹⁴ .

وفي تقييم للأثر الناجم لتلك العلاقات الدولية التي أقامتها امبراطورية إبلا على نشوء وتطور حضارتها ، يقول باولوماتيه :

في الحقيقة لا يوجد شك بأن ينبوع الحضارة التي ازدهرت في إبلا كان يتغذى بالتأثيرات القادمة من المناطق الحضارية التي كانت إبلا تقيم معها أوثق العلاقات السياسية ، وأمتن العرى الثقافية خلال الفترة التي دونت فيها السجلات المسماة المكتشفة في القصر (ج) لاسيما وأنها نستشف من تلك الوثائق أن توجهات إبلا السياسية والاقتصادية قبيل دمارها بين 2300 - 2250 قبل الميلاد ، كانت شرقية أكثر منها غربية

إن علاقات إبلا ببلاد جنوب ما بين النهرين ، مرت بمراحل متنوعة ، ومن الممكن أن نتصور معالمها الرئيسية في عدة نقاط

في المرحلة الأولى ، وبالتحديد فجر التاريخ 3500 - 3000 قبل الميلاد ، قام السومريون بتأسيس ممالك وحواضر على طول الفرات الأوسط والاعلى ، وعلى طول نهر الدجلة الاعلى ، وقد أكدت التنقيبات الأثرية ذلك في تل قناص وتل حبوبة وتل عارودة ، ومناطق سهل العمق ومنطقة انطاكية وحماة ، ومن المرجح جداً ان تكون المدن الأولى قد نشأت في منطقة تل مردوخ (إبلا) وبالذات في منطقة بحيرة المتخ التي وصلها التأثير السومري في فترة فجر التاريخ حسب قول باولو ماتيه¹⁵ .

في المرحلة الثانية 3000 - 2400 قبل الميلاد ، كانت الاتصالات وثيقة بين إبلا ومنطقة جنوب بلاد ما بين النهرين ، لكنها كانت مقتصرة على بلاد آكاد الشمالية ، وليس على بلاد سومر الجنوبية ، وفي هذه المرحلة بالإضافة إلى موضوع التأثير ، بدأت حضارة إبلا تكون شخصيتها وتأخذ أبعادها المستقلة ، وتصبح الوجه المميز للحضارة السورية في ذلك العصر . فضلاً عن ظهور

14 - علاقات ابلا الاقتصادية والسياسية ، باولوماتيه ، مصدر سابق (ص 14) .

15 - المصدر السابق (ص 19 - 18) .

آكاد أنه لن يمكن تحرير الطرق التجارية على طول ضفاف الدجلة والفرات وغيرها . . . إلا بإرسال الحملات العسكرية المباشرة لوقف ازدهار إبلا وسيطرتها الاقتصادية والتجارية والسياسية¹⁶ . . .

16 - المصدر السابق (ص 19) .

تذكر النصوص المسماة التي خلفها صارغون الآكادي نحو 2300 قبل الميلاد ، أن إبلا هي أقصى مدينة وصلتها جيوشه ، وتغلب عليها في حملته الرابعة والثلاثين ، ويتباهى صارغون بأنه حكم الأراضي الممتدة بين ماري على الفرات وعيلام حكماً مباشراً ، وأن (انليل) كبير آلهة (نيبور) قد وهبه حق الهيمنة على البلاد الواقعة بين الخليج العربي (البحر الأسفل) والبحر المتوسط (البحر الأعلى) ، وأن الإله دجن (داغان) كبير آلهة البلاد الواقعة إلى الغرب من الفرات ، قد وهبه «البلاد العليا» من ماري إلى توتول (تل البيعة) إلى إبلا ، وقد استطاع أن يغسل يديه من مياه البحر المتوسط .

وبعد أربعين سنة من ذلك التاريخ تقريباً ، يتهلل ابن أخيه أو حفيده على ما يعتقد (نارام - سن) إلى الإله دجن (داغان) في توتول (تل البيعة - قرب مدينة الرقة) ليفتح له الطريق إلى المناطق الشمالية الغربية ، ويستلم القيادة من الإله (نرجال) إله الحرب والعالم السفلي في حملته العسكرية ، فقام بتدمير البلاد الواقعة إلى الشمال من بلاد الرافدين وسورية الشمالية ، ويتباهى في نقوشه بأنه الأول الذي دمر إبلا وأرمان (حلب القديمة) منذ قيام الخليقة ، وهكذا نرى أن العلاقات التجارية التي كانت سبباً في أعمار إبلا وازدهار امبراطوريتها ، كانت نفسها السبب في خرابها ودمارها لأول مرة في عام 2250 قبل الميلاد تقريباً . . . ومع أن إبلا عادت وازدهرت بعد ذلك في الفترة الواقعة بين 1800 - 1600 قبل الميلاد إلا أنها لم تصل إلى مستوى زعامتها السابقة ، وتقلدت يحاض (حلب) زعامة سورية الشمالية بدلاً عنها .

لقد أطلق على هذه الفترة من حياة إبلا ، اسم فترة الازدهار الثانية ، وهي الفترة التي يطلق عليها أيضاً اسم العصر السوري القديم ، أو العصر الأموري ، الذي انتهى في نحو 1600 قبل الميلاد على يد ملكي الدولة الحثية القديمة ، حاتوشيلي الأول ومورشيلي الأول ، حيث قادا جيوشهما من الاناضول باتجاه سورية الشمالية ، واستوليا على مدن آلالاخ (تل عطشانة) واورشو وإبلا ، وفيما بعد على يحاض (حلب القديمة) ، وفي نهاية المطاف احتل مورشيلي الأول ، بابل حيث كان يحكمها آخر ملك من سلالة حمورابي .



المؤلف
يحاو
البروفيسور
بأولو
ماتيه

بمناسبة مرور

خمس وعشرون

عاما على اكتشافه

العظيم



تمثيل ملكية من البارلت مخبأة في
حفرة داخل معبد حدد الملاصق
للقرى الملكي الشمالي يعود
تاريخها الى 1825 - 1750 ق.م.

المؤلف يحاور البروفيسور باولو ماتيه



البروفيسور باولو ماتيه.

لم يسبق لعلم الآثار ان فوجيء باكتشاف ضخم مثلما حدث في موقع إبلا (تل مردوخ) الذي اضاف صفحة ناصعة للغاية الى تاريخ سورية ، وحضارتها الرفيعة في فترة سحيقة في القدم ، وقد اثبتت ترجمات رقمها المسماة البالغ عددها حوالي 16,5 الف رقيم بين صحيح ومجزأ ، انها كانت مركزاً لقوة كبرى هيمنت فترة طويلة من الالف الثالث قبل الميلاد على اسية الامامية لدرجة ان دولة عظمى مثل اكاد ، قد اضطرت يوماً الى دفع الجزية الى ملوك إبلا .

لقد اثبتت مكتشفات إبلا التي مازالت اخبارها تتوارد الينا سنوياً ، انها كانت عاصمة لحضارة رفيعة المستوى ، ومدينة راقية دلت على ذلك مظاهر العمران والبناء التي بينت اوجها اصيلة ومستقلة بشكل اساسي ، وتجعل من سورية على الصعيد الحضاري مثلما هي على الصعيد السياسي والاقتصادي ، بلداً يحتل مركزاً سياسياً للحضارة في الشرق الادنى جنوباً الى جنب مع بلاد الرافدين ووادي النيل .

في نهاية الموسم الاثري الحالي ، يكون قد مضى خمسة وعشرون عاماً ، على بداية العمل المنهجي في موقع إبلا (تل مردوخ) الذي تقوم به البعثة الاثرية الايطالية التابعة لجامعة روما برئاسة البروفيسور باولو ماتيه ، فكانت هذه المناسبة ، فرصة جيدة للشخص الى موقع العمل برفقة المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور علي ابو عساف ، ومدير التنقيب والدراسات الاثرية الدكتور عدنان البني ، لقضاء ساعات ممتعة بين اطلال هذه المدينة العريقة ، والاطلاع على احدث كشوفها الرائعة ، واجراء الحوار التالي مع البروفيسور باولو ماتيه :

● دكتور ماتيه في البداية انقل اليكم تهنئة الزملاء على اكتشافكم لوحات اثرية نادرة منزلة بالصدف ، تمثل مشاهد حربية تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، مقرونة بذكرى اليوبيل الفضي لبدء العمل في إبلا ، ونرجو منكم اعطائنا لمحة عن هذه المكتشفات الحديثة ؟!

●● شكراً لكم على التهنئة ، ويسرني ان اخبر القراء باننا نخطط لانجاز الكثير من الاعمال الكبيرة ، في اماكن متعددة من مدينة إبلا القديمة ، لهذا فنحن نعمل الآن في اماكن متفرقة من المدينة من خلال الاعمال المعمارية والطبوغرافية ، نحن نعمل في ثلاثة اماكن اولها : القصر الملكي الذي يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد والثاني في موقع القصر الشمالي الذي يعود الى الالف الثاني قبل الميلاد ، والثالث في موقع القلعة المحصنة ، في الجزء الشرقي من القلعة نفسها ، ومن هذه المواقع اصبح لدينا صورة كاملة تخبرنا عن فنون العمارة في إبلا .



أقدم انتاج عاجي في سورية
اكتشف في القصر الشمالي يعود
تاريخه الى 1825 - 1750 ق.م .

* نشر نص الحوار على
صفحات جريدة تشرين
السورية بتاريخ 1988/10/13 ،
ص 3 .



أجزاء من رقيم مسماري إبلا
بعد الترميم والجمع .

• إعادة ترتيب :

لدينا الآن معرفة كاملة عن إعادة ترتيب وتنظيم تحصينات الاسوار ، وهذه تجربة فريدة من نوعها في منطقة شمال سورية ، ويعود تاريخ هذه التحصينات الى الفترة الواقعة بين 1800 - 1600 قبل الميلاد . . . لدينا معابد جديدة ، ولكنها مشوهة بعض الشيء ويعود تاريخها الى عصر الملك البابلي حمورابي 1792-1750 قبل الميلاد ، وكانت مخصصة لعبادة الاله ادد (حدد) اله المطر والعاصفة . . واكثر المكتشفات الحديثة أهمية عبارة عن تماثيل يمثلان اله بعل ، صنعنا من حجر قاس Lime stone وهذا الاكتشاف يعبر عن افكار وطقوس دينية كانت سائدة في ذلك العصر ، ويضاف الى ذلك مشاهد الاسد والنسر وهذا يرمز بشكل خاص الى تأثير العاصفة في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وشرق آسيا وهذه المكتشفات تدل ايضا على احراز نصر على الاعداء ، وتماثل ماتم العثور عليه في بعض المواقع الاثرية من بلاد ما بين النهرين ومدينة ماري الواقعة على الفرات الاوسط في سورية .

الاكتشاف الثاني الذي تم العثور عليه مؤخراً عبارة عن اثاث دقيق جداً صنع من العاج ، يعبر عن رفاهية وتطور وصناعة متقدمة ، تدل على ان ملوك إبلا في تلك الفترة ، فترة حكم حمورابي (القرن الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد) كانوا يجنون اقتناء العاج المزين بالنقوش النافرة . وهذه الاشكال التي عثر عليها ذات انماط مصرية بعضها يمثل الإله المصري (حورس) وبعضها الآخر ربما للملوك سورين مع لمسات مصرية واضحة في الشكل والزري .

أهمية هذا الاكتشاف تتجلى بانه اول نتاج يصل إلينا يمثل الصناعات العاجية في سورية قبل اكتشاف نماذج العاج المعروفة التي عثر عليها في اوغاريت /رأس الشمرة/ على الساحل السوري ، ويعود تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، اي بعد زمن يتجاوز 400 سنة من اكتشاف إبلا ، واقول بصراحة باننا لم نكن نتوقع مطلقاً العثور على مثل هذه المكتشفات المتقنة الصنع في مثل هذه الفترة الزمنية ، وهي تختلف عن الصناعات العاجية التي اكتشفت في اوغاريت ، لذلك فان الالواح العاجية المكتشفة في إبلا ، يتم النظر اليها بكثير من الدقة والاهتمام .

● نود ان نسألکم عن اخر اخبار ترجمات الرقيم المسماية المكتشفة في إبلا ، والتي يتم قراءتها من قبل اللجنة الدولية لترجمة وقراءة رقيم إبلا؟.

• ثمانية مجلدات :

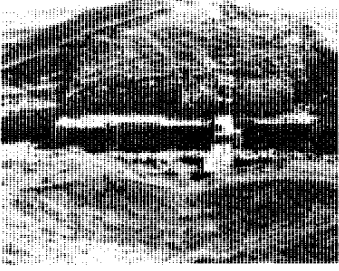
●● اخر اخبار هذه اللجنة التي تضم في عضويتها نخبة من خيرة علماء الآثار واللغات القديمة في العالم - انها قد انتهت من طباعة ثمانية مجلدات والعديد من المواد والمقالات الصحفية ، مترجمة عن رقيم إبلا ، وهذه المجلدات والابحاث الهامة ، محصلة لقراءة اكثر من الف ومئة قطعة من الرقيم واربعمئة رقيم كامل . . . وقد تم نشرها في طبعات مختلفة ، ولغات عديدة /إبلاية - انكليزية - فرنسية - المانية/ واقول بكل فخر واعتزاز ان العالم بفضل هذه المجلدات قد اصبح لديه فكرة واضحة وجيدة عن مضمونها ومحتوياتها ، وبالمناسبة لابد من الاشارة الى الجهود الكبيرة التي تبذل لانجاز هذه الترجمات ، فالنشر الكامل لهذه النصوص يحتاج الى جهود كبيرة وعمل طويل ، واعتقد اننا سوف نحتاج الى فترة زمنية تمتد من 10 الى 15 سنة من العمل المتواصل الحثيث .



رقيم آخر من آلاف الرقيم المسماية
التي اسفرت عنها اعمال التنقيب
الاثري في موقع إبلا - تل
مريدخ .

● ماهو برنامج عمل اللجنة في هذا العمل ؟!

●● البرنامج المخطط له لفريق العمل الابيطالي ان يكون لدينا على وجه التقريب ، في كل عام كتاب /مجلد/ جديد ، عن ترجمات جديدة لنصوص مسماية ، واشير بانه يوجد لدينا باستمرار دراسات جديدة هامة تتعلق بعلوم اللغات الشرقية القديمة ، ومن اكثر الاشياء امتناعاً في هذا المجال كان اكتشافنا لهجة محلية معقدة جداً ، وصعبة ، وقد توصلنا الى ذلك من خلال دراسة بعض النصوص المسماية التي تتعلق ببعض الطقوس الدينية ، واكثر ما يثير الدهشة ظهور قائمة باسماء خمسة عشر من ملوك إبلا ، لم نتعرف عليهم سابقاً ، وقد نشرت هذه الاسماء في المجلد السابع من سلسلة مطبوعات الارشيف الملكي لنصوص إبلا وتبدأ سلسلة هؤلاء الملوك بالاقدم عهداً وتنتهي بالاحدث عهداً ، ويأتي تسلسلهم على الشكل التالي :



مشهد عام للاكروبول (قمة التل) وتظهر فيه أعمال التنقيب الأثري، (ت: مروان مسلماني).

اركب دامو - اجريش حلم - ادوب دامو - كوم دامو - ايسار ملك - ان . ار . دامو - با . دامو - ابي دامو - اجور ليم - ابور ليم - .

ومن الملاحظ عدم اشتراك احد من هؤلاء الملوك مع غيره بالاسم والكنية وقد يعني هذا ان إبلا لم تعرف النظام الوراثي، وبالتالي لم يكن ملوكها من اسرة واحدة، غير ان هناك استثناء واحداً يتعلق بالملك (ابي ذكرير) الذي ورث العرش عن ابيه الملك (ايريوم).

● هنا لابد من الاشارة الى دراسة العالم الاثري «الفونسوا - كي» حول هذا الموضوع حيث اشار الى ان كلمة (داموم) بالابلائية معروفة في اللغة الاوغاريتية، وتعني (شعب - جماعة) اما كلمة (داموم) في اللغة الاكادية فتعني (الرقم الالف) وعندما تستخدم تلك الكلمة في تركيب اسماء الاعلام، فانها تضيفي الصفة الالهية على الاسرة او الجماعة صاحبة الاسم، ولابد من الاشارة ان هذا النظام الاجتماعي في إبلا، كان يستلزم وجود اساس حضري ثابت ومستقر وهذا ما اكد عليه الدكتور ماتيه، الذي تابع قوله :

نعم، ان هذا يعني ان إبلا في سنة 2300 قبل الميلاد، كان لديها تقاليد مدينة متقدمة، لم تكن مختلفة عن التقاليد التي كانت موجودة في مصر في ذلك الحين، وبلاد ما بين النهرين في مدن : اور، ونيبور، واوروك، وكيش وغيرها.

● اعتقد ان هناك بعض النصوص التي تتعلق مواضيعها بالادب، ماهو الجديد في هذا المضمار؟!

●● من بين النصوص المسماة التي نشرت ترجماتها منذ سنتين تقريباً نحو عشرين رقيم تتعلق مواضيعها بترنيمات حول الهة الشمس «شماش» ولكن هذه النصوص تبقى دون طموحاتنا الادبية، ونرجو ان تسفر التراجم القادمة عن نصوص اخرى تغني معلوماتنا حول هذا الموضوع .

تجارة اللازورد:

● ما قصة حجر اللازورد في اكتشافات إبلا؟!

●● انها قصة طريفة ففي الهضبة الايرانية وافغانستان كانت تتوفر الاحجار الكريمة مثل اللازورد والعقيق والفيروز. . ويعتبر حجر اللازورد من القطع الثمينة ولا يتوفر الا في اماكن معدودة جداً، وكان معظم اللازورد المكتشف في المواقع الاثرية مصدره افغانستان لكن لم يتم العثور على اي قطعة خارج هذه الحدود في الشرق الاوسط حتى جاءت المكتشفات الاثرية التي تتم الان في إبلا، وخاصة في القصر الملكي الذي يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد. . لقد كشف النقب عن ادلة مادية جديدة لتجارة اللازورد وقد عثرنا في باحة الجناح الرسمي على عدة قطع لحامات اللازورد وقد بلغ الوزن الاجمالي للقطع الخام اكثر من 22 كغ ويتألف 30٪ منها من قطع تزن كل واحدة ما بين 400 الى 600 غ وكانت معظم القطع مغلقة بقشرة رمادية اللون، ولعل مرد ذلك الى ما خلفته عملية الاستخلاص وبالفعل كانت تجري في الماضي وحتى في الوقت الحاضر، اشعال النار في المنجم لاستخلاص اللازورد من فلزاته الصخرية وعندما تصبح درجة حرارة الفلزات عالية جداً، يجري

صب الماء البارد عليها، عندئذ تتشقق الفلزات الى قطع متعددة، وكانت هذه القطع تخضع لعملية الصقل والصياغة داخل الغرف الرسمية للقصر وكانت إبلا تستخدمها في عمليات التجارة، فمن الحقائق الهامة التي تخبرنا عنها النصوص المسماة ان اللازورد القادم من افغانستان كان يرسل من ماري / تل الحريري / الى إبلا مقابل سبائك الفضة، ونسبة المبادلة هي واحد الى واحد. خلاصة القول، نستطيع ان نتصور بشكل عام حالة التجارة في اللازورد في إبلا على ضوء الاوضاع السياسية والاقتصادية السائدة في ذلك الزمان على الشكل التالي :

كانت إبلا تحصل على الفضة من بلاد الاناضول، بينما لم تجد ماري اية صعوبة في الحصول على اللازورد من منطقة الدولة الاكادية، وكانت العلاقات بين إبلا وماري جيدة بحيث يتم التبادل بينهما بنسبة واحد الى واحد على الرغم من القيمة العالية والنادرة للازورد وبالقياص الى معدن الفضة، وكان هذا الحجر يستخدم في زخرفة الاساس وصنع الحلي لكن الكميات الكبيرة التي تم العثور عليها في قصر إبلا، تدعو الى الاعتقاد بانها كانت تصدره الى الخارج ايضا، لذلك فمن المرجح تماما ان يكون تجار إبلا قد حملوا هذه المادة الثمينة الى المناطق الغربية اي باتجاه سواحل بلاد الشام ومن هناك كانت تشحن الى مصر حيث يشتد الطلب عليها.

دراسات إبلائية جديدة:

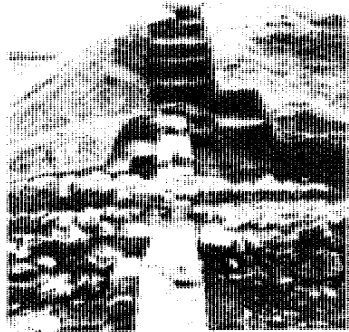
● في السنة الماضية، عقدت في روما ندوة عالمية للحديث عن مكتشفات إبلا واهميتها الحضارية ما الجديد الذي قدم في هذه الندوة؟!

●● قدمت في هذه الندوة موضوعات وابحاث ودراسات هامة، وكانت المحصلة اضافات، جديدة لتاريخ سورية القديم بشكل خاص، وتاريخ الشرق الاوسط بشكل عام الجديد الذي لفت النظر تلك الدراسات التي تطرقت الى موضوع علم الكتابات والنقوش القديمة (الايوبوغرافيا) وخاصة ما يتعلق باسماء العلم وتركيب الاسماء الشخصية في إبلا وخاصة اسماء الملوك والوزراء وعائلاتهم والتي استطعنا من خلال ترجماتها ان نتعرف على كثير من الامور المتعلقة بالحياة السياسية والمشاكل التي كانت تقع فيما بينهم وغير ذلك.

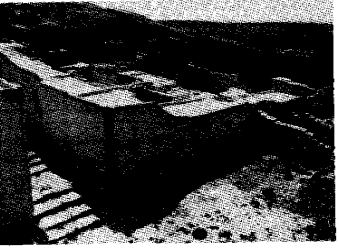
● من المعروف ان إبلا من اكبر واضخم المواقع الاثرية في سورية، وباعتقادي اننا نحتاج الى اكثر من 100 سنة حتى تنتهي اعمال التنقيب فيها ومع ذلك نراك تقوم بأعمال تنقيب في التلال المجاورة لابلا، ماهي دوافع ذلك؟!

تنقيبات جديدة:

●● تعلم جيداً ان إبلا كانت في الالف الثالث قبل الميلاد تسيطر على رقعة جغرافية واسعة المساحة، تمتد من حوضي الفرات والبلخ شمال شرق الى منطقة قنطرة (تل المشرفة قرب حمص) جنوباً، ومن جبل الزاوية وجبال الامانوس وطوروس غرباً وشمالاً حتى بادية الشام شرقاً، والنصوص المسماة المكتشفة في القصر (ج) تأتي على ذكر اعداد كبيرة من الاسماء (مدن وقرى) في المناطق الأنفة الذكر لكن القليل منها امكن التعرف على موقعه بين التلال الاثرية الكثيرة المنتشرة في



لقطة تبين الدرج الذي يؤدي الى قمة الاكروبول في إبلا.



تلك البقاع لاسيما وانه من النادر جداً ان تتناقل الاجيال اسم المدينة او القرية على مر اربعة آلاف وخمسمائة سنة تقريباً، ومن خلال الاعمال التي قمنا بها في التلال الاثرية المجاورة لتل مردوخ (إبلا) امكن التعرف بدقة على اسماء بعض المواقع مثل : مورك - صوران (قرب حماة) ونيارس (شمالي سراقب) ويرد في نصوص إبلا اسم «دوجان» وهو قريب في لفظة من اسم (تل طوقان) الهام اثرياً والواقع في منطقة ابو الظهور شرقي إبلا، لذلك قمنا ببعض الاسبار والاعمال الاثرية في هذا الموقع الهام، نظراً لعلاقته المميزة مع إبلا، وسوف تهدف اعمالنا القادمة التعرف على الاسم الحقيقي لتل طوقان وخاصة في الفترة الزمنية التي كانت هذه المدينة هامة في العهد الآرامي في الالف الاول قبل الميلاد وهناك بعض الاحتمالات بان يكون التل يغيب في طياته آثار مدينة «حذريق» التي ذكرت في بعض النصوص الآشورية والآرامية التي يعود تاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد وكانت هذه الحاضرة على علاقات وثيقة مع مملكة حماة، وملوك دمشق الآراميين وايضا مملكة حلب... كل هذا يقدم الدليل الذي يثبت اهمية الموقع الحضارية والتاريخية، لذلك قمنا بهذه الاعمال وكما ترى فانها تهدف الى توسيع معرفتنا بمملكة إبلا ولاشيء سوى ذلك مع ايماننا الاكيد بان إبلا مازالت تحتاج الى عشرات السنين من المواسم التنقيبية حتى تتمكن من اعطاء صورة كاملة عن حضارتنا الزاهية النادرة.

ومن خلال اعمال التنقيب في تل افس وطوقان وغيرها نستطيع انؤكد لك باننا نملك ادلة مادية جيدة حول التتابع الحضاري في سورية الوسطى ويمتد هذا التتابع الحضاري منذ الالف الثالث والثاني والاول قبل الميلاد...

إبلا شهرتي :

● يحظر بيالي السؤال التالي : لولا اكتشافات إبلا المدهشة، هل من الممكن ان يكون لباولو ماتيه هذه الشهرة الكبيرة في الاوساط العلمية والثقافية العالمية؟!

●● سؤالك فيه بعض الحرج، انت تريد ان تعرف عن طبيعة العلاقة بين الموقع وشخصيتي... من السهل ان أرد على سؤالك بقولي : (إبلا في كل مكان من العالم اكثر شهرة مني، واسوق لك حادثة وقعت معي قبل قدومي الى سورية منذ حوالي الشهر : جمعتني الصدفة بشخص لا اعرفه كان موجوداً مع بعض زملاء في جامعة روما، وعندما تم التعريف بمكتشف إبلا صرخ الرجل قائلاً : آه... باولو ماتيه!!! وهكذا كما ترى فان إبلا اكثر شهرة مني بالطبع.

● خلافتك مع العالم الآثاري سباتينو موسكاتي، استاذ اللغات الشرقية القديمة وآدابها في جامعة روما من الامور المعروفة في الاوساط الاثرية والعلمية. ماسبب هذا الخلاف!!

●● ليس بيني وبين موسكاتي خلافات ترجع الى اسباب خاصة، الاختلاف فقط في وجهات النظر فيما يتعلق بحضارات وكتابات الشرق القديم، ان لدى موسكاتي بعض الافكار التي لاتلقي مع افكاري، لكن هذا الخلاف لايعني انه على خطأ فالرجل من المتخصصين بالحضارة الفينيقية وله مؤلفات شهيرة عنها.



رقيم مسماري من إبلا.

● برأيك ماهو مستقبل الدراسات الابلائية، وما تأثير هذه الدراسات على حضارة الشرق القديم؟!

ثورة متنامية :

●● عندما بدأت عملي في موقع تل مردوخ (إبلا) كنت على قناعة تامة بالاهمية القصوى للحضارة السورية التي تجسدت منذ بواكير الحضارة في كثير من المواقع الاثرية وقد سبق العمل في إبلا قيامي بدراسات موسعة عن حضارات المنطقة العربية القديمة، وكان جل اهتمامي ينصب على دراسة حضارة اوغاريت وآثار منطقة شمال سورية مثل موقع تل عطشانة (الالاخ) وبلاد ما بين النهرين وهكذا وفق هذا المبدأ فان مهمتي اكبر مني، وقد استفدت كثيرا من اعمال العلماء السابقين لي.

نحن لدينا - الآن - مكتشفات من إبلا اعتبرها ثورة متنامية من العلوم والمعارف وبكل فخر اقول لقد اصبح العالم يعرف جيداً مدى اهمية الحضارة التي كانت قائمة في بلادكم واعتقد أن تطور الاكتشاف والعمل في إبلا سيتم بطريقة محددة ومدروسة تتوضح فيها اهمية بدايات حضارة إبلا في سورية في الالف الثالث قبل الميلاد، مع وجود اختلافات بسيطة في النواحي الثقافية والاجتماعية عن تلك الموجودة في بلاد ما بين النهرين.

ونستشف من تلك الوثائق التي تعود الى الفترة الواقعة بين 2300 ق.م و 2250 ق.م ان إبلا على علاقات وثيقة مع منطقة جنوبي بلاد ما بين النهرين ومن المؤكد ان إبلا في الفترة

للتطور الحضاري المتعاقب في بلاد الشام وهكذا فإن إبلا أصبحت عاصمة مملكة قوية واسعة ذات تأثير فاعل في حضارات الشرق وهنا يكمن دورها وتأثيرها الهام.

الوطن الأم:

● يلاحظ في السنوات الاخيرة الماضية، نوعاً من الاهتمام الخاص بتاريخ الشرق القديم في مختلف دول العالم برأيك ما هو سبب الاهتمام؟

●● اعتقد ان سبب هذا الاهتمام يعود الى امور عديدة اهمها : ان مناطق الشرق القديم كانت منطلق اكثر التطورات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية عراقية وابداعاً وخلقاً... فهنا كانت بدايات الثورة النيوليتية التي حملت بدايات الزراعة (الحبوب والقمح) ومن هنا من مناطق سورية ووسط الاناضول وبلاد ما بين النهرين حدثت الثورة الاجتماعية الثانية التي تجلت بصورة اساسية بتأسيس المدن وتطور المدينة وبالطبع يجب ان ننسى ان منطقتكم كانت مهد الديانات العظيمة للاجناس البشرية....

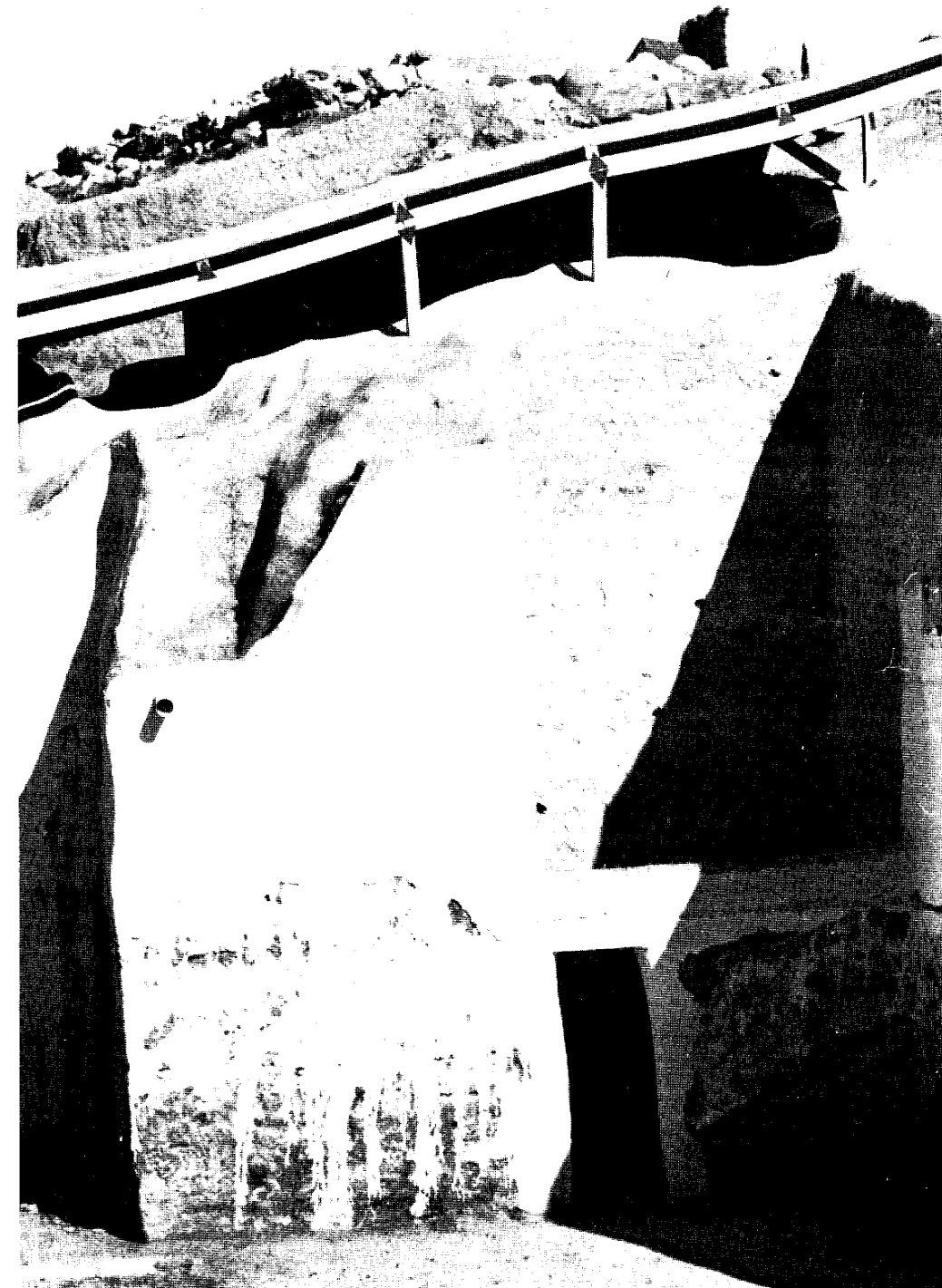
اذن من اجل هذه العوامل الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والدينية والروحية فان الشرق الادنى يشكل بما يعرف بالوطن الام للعديد من الحضارات وهذا هو السبب الحقيقي للاهتمام بتاريخ هذه المنطقة من العالم دون غيرها من المناطق... لا انكر انه قد يكون هناك اسباب سياسية تخدم المدرسة التوراتية، او تطور علم الآثار في اسرائيل ان هذا الموضوع يختلف تماماً ولا يشكل شيئاً امام الاسباب الحقيقية التي ذكرتها لك.

● هنا يخطر لي ان أسألك عن علاقات إبلا مع جنوبي بلاد الشام وفلسطين؟

●● هذا الموضوع انتهى الحديث فيه منذ سنوات مضت فقد ثبت خطأ القراءات لبعض نصوص إبلا، وتبين ان المدن الواقعة الى الجنوب من منطقة إبلا، التي يرد ذكرها بصورة مؤكدة في نصوص إبلا لا تتعدى حدود منطقة قطنة القديمة (تل المشرفة القريب من حمص) اما المدن التي قيل انها موثقة في نصوص إبلا مثل : القدس وغزة وشكيم والسامرة فقد تبين ان لا صحة لمثل هذا الادعاء كذلك لم يعثر على ذكر لاي من المدن التوراتية مثل : سوروم وعمورة، فالافتراضات الناتجة عن دوافع سياسية والتي استندت الى قراءة خاطئة للنص المسماري لا اساس لها من الصحة، كما انها مرفوضة علمياً رفضاً قاطعاً.

● لو سألت باولو ماتيه عن اسعد لحظات حياته ماذا يقول في ختام هذا الحوار؟

●● اسعد لحظات في حياتي، لاشك تلك اللحظات التي وجدت نفسي وجها لوجه امام اعظم اكتشاف اثري في القرن العشرين... يوم وجدت نفسي امام ارشيف المكتبة الملكية التي تتألف من عدد من اللوح الطينية المكتوبة بخط مسماري... لقد كانت مرتبة على رفوف خشبية بصورة دقيقة، تلك اللوح التي اضافت صفحات جديدة كل الجدة الى تاريخ سورية والشرق الاوسط والانسانية في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد... انها لحظات لا تتكرر في حياة عالم الآثار، ولذلك فهي اسعد لحظات حياتي.



إبلا وفق النموذج القديم
إعادة بناء بعض الأبنية في

السابقة كانت قد استعارت الكتابة المسمارية من منطقة كيش وتأثرت تأثراً شديداً بأسلوب الكتابة واصول المراسلات الرسمية المتبعة في دواوين ومدارس إبلا اكاد ومن المؤكد ايضاً ان حضارة إبلا خلال الفترة نفسها بدأت تكون شخصيتها وتأخذ ابعادها المستقلة وتصبح الوجه المميز للحضارة السورية منذ ذلك التاريخ، وذلك استناداً الى قاعدة اجتماعية واقتصادية مغايرة لنظيرتها الموجودة في جنوب الرافدين، فضلاً عن وجود بنيان تأسيسي سوري الطابع وتطلعات دينية مرتبطة بتاريخ بلاد الشام المتأخر في هذه الفترة بالذات ترسخت اسس متميزة أصبحت بعد ذلك منطلقاً

إبلا في الموسوعات العالمية

احتلت مكتشفات إبلا (تل مردوخ) في السنوات القليلة الماضية حيزاً هاماً على صفحات كبريات الموسوعات العالمية، وقد أضيفت في الطبعات الجديدة لهذه الموسوعات باعتبارها من الأحداث التاريخية والأثرية المدهشة في حضارة الشرق القديم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وحرصاً منا على تعريف القارئ العربي بأهم ما ذكر عن إبلا في تلك الموسوعات، أعدنا هذا الملحق.

الناشر

ENCYCLOPEDIA AMERICANA (الموسوعة الأمريكية)

عدد الأجزاء 30
الجزء التاسع
ص ص 570-571 فقرة Ebla .
طبعة 1987 - الولايات المتحدة .

إبلا ، مدينة سورية قديمة ، تعرف اليوم بتل مردوخ ، تقع على بعد 34 ميلاً (55 كم) إلى الجنوب الغربي من حلب . ومع بدء التنقيبات عام 1964 ، كشف علماء الآثار الإيطاليون عن مستويات مسكونة تعود إلى حوالي 2900 ق.م . (العصر البرونزي I) حتى العهود البيزنطية (مردوخ VIII) . ويعتبر مستوى مردوخ IIB ، بقصره الملكي (القصر G) وسجلاته الجصية المسماة ، أهم هذه المستويات .

تظهر الوثائق والرسائل الإبلانية العديدة بأن عدد سكانها قد بلغ 250.000 نسمة وبأنها تزعمت دولة يقوم على إدارتها 12.000 موظف ، وبأنها تمتعت بتجارة واسعة وطموحات اقليمية . وقد شكل توالي أوائل حكامها - إغريش - حلم ، إركب - دامو ، تمز - إنوم أبريوم ، إبي - زابيش ، ودُبخو - آده - أسرة ملكية لها دامت من حوالي 2400 حتى 2250 ق.م . رغم أن التواريخ غير محدّدة بدقة بعد . وربما كان الحريق الهائل الذي دمر مردوخ IIB قد تم على يد نارام - سن الأكادي الذي كان يفاخر بتدميره إبلا . ومع أن المدينة أعيد بناؤها وازدهرت بين 2000 و 1800 ق.م . (مردوخ III A) ، فإنها لم تستعد أبداً سالف مجدها . على أن معظم التحصينات والمعابد المكتشفة تعود إلى هذه الفترة .

سادت إبلا على أراض واسعة قريبة منها ، لكن الحدود القصوى لسلطانها صعبة التحديد . فقد امتدت أحياناً حتى الفرات عند كركميش إلى الشمال الشرقي وحتى ماري (تل الحريري) إلى الجنوب الشرقي . وكان ملك ماري إبلول الثاني (مع أن تاريخ حكمه غير معروف) معاصراً لـ عز - إنوم ملك إبلا . وقد جعلت السيطرة على طرق القوافل عبر هاتين المدينتين وإلى الغرب حتى الساحل السوري وجبال طوروس من إبلا مركزاً تجارياً هاماً ، وبخاصة لتجارة الأقمشة ، محلية الصنع والمستوردة . ويختص جانب كبير من السجلات بتجارة الأقمشة ، مع أن بيانات خاصة بالزراعة وبيدارة دوائر المدينة كانت تحفظ أيضاً .

لقد ظل الاعتقاد بأن العموريين نصف الرحل كانوا أول الأقوام التي استوطنت سوريا حوالي

2000 ق.م. سائداً ، حتى اكتشاف أن سجلات إبلا دوّنت بلغة سامية قديمة (تعرف اليوم بالإبلانية أو الكنعانية القديمة) . وتشير نصوص إبلا إلى أنه كان يقطن سوريا مجتمع سامي متّمدّن ومتقدّم حضارياً في فترة تعود إلى منتصف الألف الثالثة ق.م . وقد أعلن في البدء عن النصوص الميثولوجية وغيرها بصورة واسعة بوصفها تلقي ضوءاً على الأصول العبرانية والأجواء التوراتية . لكن إعادة التقويم أظهرت بأن معظم الأساطير الإبلانية تُرجعت عن الأساطير السومرية وبأن الديانة كانت عموماً سورية ، تركزت حول عبادة الهة المحصول (داغان) ، الشمس (زابيش) ، الطاعون (رَشَف) ، والحب (عشتار) . ومع أن عدداً من المختصين يزعم بأن مدناً فلسطينية هي المدن المذكورة في النصوص التجارية ، فإن الصلة الوحيدة ذات المغزى مع التوراة صلة لغوية . فالإبلانية تنير عدداً من النصوص العبرية العويصة .

وليم كلكان ، جامعة ملبورن

ترجمة الاستاذ ديمتري افيرنيوس

مراجع :

Matthiae, Paolo, Ebla, an Empire Rediscovered (Hodder and Staughton 1980); Pettinato, Giovanni, The Archives of Ebla: An Empire in Clay (Doubleday 1981).

- إبلا ، امبراطورية يعاود اكتشافها .

- سجلات إبلا ، امبراطورية في الطين .

The New Encyclopedia Britannica (الموسوعة البريطانية الجديدة)

عدد الأجزاء 29+5
شكاغو 1985
الجزء الرابع
الطبعة 15
ص ص 344-345 فقرتان Ebla -
Ebla Language

إبلا ، وهي تل مردوخ اليوم ، مدينة قديمة واقعة على بعد 33 ميلاً (53 كيلومتراً) إلى الجنوب الغربي من حلب في شمال غربي سورية . هيمنت إبلا ، وهي في أوج قوّتها (حوالي 2600-2240 ق.م .) ، على سورية الشمالية ولبنان وعلى أجزاء من شمال بلاد الرافدين (العراق اليوم) ونعمت بالتجارة وبالعلاقات الدبلوماسية مع دول بعيدة كمصر وإيران وسومر .

بدأت التنقيبات في التل ، الذي يعرف اليوم بموقع إبلا ، عام 1964 مع قدوم فريق من علماء الآثار من جامعة روما برئاسة پاولو ماتيه Paolo Matthiae . وفي عام 1975 عثر فريق ماتيه على سجلات إبلا التي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، والتي تم اكتشافها سليمة عملياً ، ومحافظة على الترتيب الذي أودعت وفقاً له رفوفها المنهارة اليوم . إن هذه الرقيمات والقصاصات التي يبلغ عددها 15,000 تزودنا بمصدر غني من المعلومات عن إبلا .

يعود جانب من الفضل في ازدهار إبلا إلى أراضيها الزراعية الواقعة في سهول شمال سورية الخصبة حيث كان يزرع الشعير والقمح والزيتون والتين والعنب والرمان والكتان ، وحيث كان يربى البقر والأغنام والماعز والخنازير . فضلاً عن ذلك ، كانت إبلا تسيطر على مجموعة من 17 مدينة - دولة أغلب الظن أنها كانت واقعة في لبنان وفي تركيا الجنوبية الغربية اليوم ، وهما منطقتان غنيتان جداً بالفضة والأخشاب . أما المدينة نفسها ، فقد كانت مركز تصنيع وتوزيع ، وكان الكتان والصوف ، بما في ذلك قماش الدمشق ، المنتجات الرئيسية . أما تصنيع المعادن ، بما في ذلك صهر وخلق الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص ، فكان ثاني النشاطات أهمية . وأما تصنيع الخشب وإنتاج زيت الزيتون والخمر والجعة فكانا هامين أيضاً . كانت التجارة الدعامة الثالثة لاقتصاد إبلا ، فكانت الأقمشة والبضائع المصنّعة وزيت الزيتون صادراتها الرئيسية ؛ أما الواردات فقد كانت تضم الذهب والفضة والنحاس والقصدير والأحجار الكريمة والأغنام . وقد أثرت إبلا نتيجة موقعها الجغرافي بفضل تجارة الترانزيت ، فكانت البضائع

تنقل عبرها من إيران والأناضول وقبرص إلى دول بعيدة كمومر ومصر ، حيث كانت التجارة المصرية تمر عبر بيبولوس .

وقد دعمت المفاوضات والحروب المحدودة نشاطات إبلا التجارية . فقد ارتبطت بها إيمار (مسكنة) ، وهي مدينة متوضعة استراتيجياً عند التقاء نهري الفرات والبلخ ، بزواج ملكي . أما خَمَازي فكانت حليفة إبلا التجارية والسياسية في إيران . كما عقدت اتفاقيات تجارية مع مدن أخرى . وأما ماري ، الواقعة على الفرات إلى الجنوب الشرقي ، فقد كانت منافسة إبلا الأولى تجارياً . وقد زحف الجيش الإبلاني عليها مرتين ، وسادت عليها لفترة ما عبر حاكم عسكري .

حكم إبلا ملوكٌ حكماً غير وراثي لمدد محدودة ، وكان مجلس للشيوخ يشارك في اتخاذ القرارات . أما تصنيع الأقمشة فكانت الملكة تتولى الإشراف عليه . وكان أربعة عشر حاكماً يعينهم الملك يحكمون مقاطعات إبلا ، إثنان منهم في المدينة نفسها .

كانت ديانة إبلا قائمة على تعدد الآلهة وكنعانية في المقام الأول ، فكان دابر هو الإله راعي المدينة . بيد أن دجن ، زابيش ، حدد ، بلاطو وعشتار كانوا معبودين أيضاً . وقد كانت لغة إبلا لهجة كنعانية ، ظلت مجهولة حتى يومنا هذا ، شبيهة باللغات السامية الشمالية الغربية . غير أن الكتابة على الرقيمات كتابة مسمارية سومرية ، شديدة الشبه بالرقيمات من أدب وأبو صلابيخ (العراق اليوم) . وتشير النصوص إلى أن معلمين سومريين قدموا إلى إبلا ، ويشهد وجود «قناة إبلا» قرب أدب على مضي الإبلانيين إلى سومر أيضاً . ومن جهة أخرى ، تؤكد المفردات وجداول المقاطع اللفظية والمعاجم الجغرافية بأن إبلا كانت مركزاً ثقافياً هاماً . إن سلامة النصوص الإبلانية التي تطابق في عدد من المواضع نصوصاً سومرية متفككة سوف تساعد الدراسة الحديثة للغة السومرية .

لفت ازدهار إبلا انتباه الأسرة الأكادية (حوالي 2350-2195 ق.م .) . ومع أن ادعاء صارغون الأكادي قهر إبلا بات موضعاً للشك بعد التنقيبات ، فأغلب الظن أن النار التي دمرت المدينة كانت هجوم قام به حفيد صارغون نارام - سن (حوالي 2240 ق.م .) . وبعد فترة من الفقر دامت 250 عاماً ، قامت جماعة عمورية بنهب إبلا ووطدت حكم أسرتها . وقام العموريون بإعادة بناء القصر وأحد المعابد ، كما تم العثور على تمثال يمثل أحد ملوكهم بين الأنقاض . ولم تتمتع إبلا بعد ذلك إلا بازدهار محدود ، ويشير صولجان منقوش من العظم للفرعون حتب - إب - رع (حكم حوالي 1765 ق.م .) إلى تجديد العلاقات مع مصر . وقد جرى تدمير إبلا نهائياً إبان الانتفاضات الكبرى التي عصفت بالشرق الأوسط حوالي 1650-1600

ق.م . ، لكن فنوناً وتقالييد عديدة نشأت في تلك المدينة استمرت حيّة في الثقافة السورية . اللغة الإبلانية ، لغة سامية قديمة ، لعلها أقدم اللغات السامية التي ظلت على قيد الحياة على نحو ذي بال . تعود إلى الربع الثالث من الألف الثالثة ق.م . وبوصفها لغة سامية شمالية مركزية ، تنتسب الإبلانية إلى أسرة اللغات الحامية - السامية .

لقد قدمت التنقيبات الأثرية في أواسط السبعينات وثائق إبلانية مدوّنة على جانب كبير من الأهمية على هيئة رقيمات مسمارية وقصاصات رقيمات كانت تشكل سجلات دولة إبلا . وتنتمي كتابة السجلات إلى المسمارية التقليدية المتبعة في بلاد الرافدين . وتهيمن على اللغة لوغوغرامات* (رموز كنانة) الأمر الذي يشير إلى اتقان للسومرية بوصفها اللغة المهذّبة للطبقات المثقفة وإلى سمة مشتركة للمسمارية . أما من الناحية اللغوية ، فإن الإبلانية أقرب على وجه الإجمال إلى المجموعة الشمالية المركزية للغات ، ولا سيما العمورية والأكادية القديمة .

تشير المعلومات التي تقدمها السجلات عن نشاطات إبلا السياسية والثقافية ، والتي لا تزال في المراحل الأولى من التحقيق ، إلى أن الإبلانية كانت اللهجة الثقافية والإدارية للمركز السياسي لواحدة من أكثر المناطق السامية الشمالية الغربية تطوراً . فبالإضافة إلى استخدامها كلغة محلية ، ربما كانت الإبلانية اللغة المثقفة المهيمنة على الشعوب المستوطنة في المنطقة حتى تدمير إبلا الذي تم على يد صارغون حوالي 2350 ق.م . أو على يد نارام - سن حوالي 2240 ق.م . وتظهر اللغة بوضوح أن تأثير إبلا الجغرافي كان لا يستهان به ، ويمتد شمالاً حتى المنطقة الحثية وجنوباً ربما حتى مصر .

ترجمة الاستاذ ديمتري افيرنيوس

★ اللوغوغراف ، رمز كتابي كناية عن كلمة أو عبارة .

Chronique de l'humanité LAROUSSE (أرشيف العالم «لاروس»)

عدد الأجزاء 1
السجلات السياسية لمملكة إبلا
شمال سورية ، حوالي 2500 ق.م

إكتشاف مدينة إبلا القديمة [تل مردوخ حالياً] بالقرب من مدينة حلب السورية ، يحدث ثورة في المعلومات التي نمتلكها عن بدء تاريخ هذه المنطقة من العالم . فقد كان المعتقد قبل هذا الاكتشاف ، بأن الحضارة المدنية كانت قد تطورت في جنوب بلاد الرافدين ، وبأنها من هناك أخذت تشع إلى البلاد المجاورة وتفرض نمطها . ولكن بعد اكتشاف مدينة إبلا تبين أن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق ، وأن منطقة شمال سورية قد عرفت انطلاقة مدنية أصيلة .

تمتد مدينة إبلا على أكثر من مساحة خمسين هكتاراً ، يهيمن عليها ، من مكان مرتفع حصن وقصر ملكي ، ويحيطها سور بيضوي الشكل له أربعة أبواب محصنة . تحتوي صالات القصر الملكي على إحدى أقدم المكتبات في التاريخ . كان هذا الموقع قد تعرض لحريق امتد حتى المكتبة ، فأكلت نيرانه الرفوف الخشبية التي كانت الرقم الفخارية منضدة عليها ، واحترقت الرقم أيضاً فقسي فخارها ، الأمر الذي حفظها سليمة . وعندما عثر عليها كانت لا تزال محافظة على الترتيب الذي كانت منضدة حسبه قبل أن تهوي الرفوف المحترقة التي كانت تحملها منذ حوالي 4500 عام ! تشكل هذه المكتبة شاهداً على لغة سامية كان المؤرخون قد نسوا حتى وجودها منذ زمن بعيد . كما تكشف عن وجود قوة سياسية هي مملكة إبلا ، امتدت سيطرتها من البحر الأبيض المتوسط حتى نهر الفرات ، وكانت الملكة فيها تلعب دوراً هاماً في الحكم إلى جانب الملك . عثر في هذه المكتبة على رسالة من ملك مجاور مرهوب الجانب ، هو ملك مدينة ماري ، يحذر فيها حكام إبلا من أية محاولة للقيام بمغامرة عسكرية ضده ، مذكراً بالانجازات الحربية لثلاثة من اسلافه .

ترجمة الاستاذ جورج أبو كسم

La Grande Encyclopédie LAROUSSE (موسوعة لاروس الكبيرة)

عدد الأجزاء 20+3

باريس 1976

الجزء 19

الصفحة 11587 - 11588

فقرة المدن السورية

في عصر البرونز القديم (2300 - 2000 ق.م)

تسمية هذا العصر في سورية بالبرونز غير دقيقة أبداً (لأننا لا نجد فيه إطلاقاً إلا النحاس) . على كل يتوافق هذا العصر في سورية مع حضارة استمرت مدة طويلة وكانت متجانسة في جميع أرجاء سورية ، ما عدا في المناطق المتاخمة للرافدين . قبل نهاية الألف الرابع وبتأثير التزايد السكاني والنمو الزراعي بدأت المراكز الحضرية في كل المنطقة السورية تتطور من ضيع مستقلة لتصبح مدناً ومن ثم ممالك - مدن . كانت مدن سورية الشمالية أكثر أهمية ولكنها كثيراً ما تعرضت للدمار ولعمليات التسمية من أجل إعادة بنائها ، وفي بعض الأحيان قامت المدن الحالية فوق القديمة (صفحة 11587) .

في عصر تشكلت فيه دولتان كبيرتان أحدهما في مصر والأخرى في بلاد الرافدين كانت سورية تعاني من تأخر التنظيم السياسي ، الأمر الذي أثار أطماع هاتين القوتين في الحصول على أخشاب الممر التجاري السوري ومحصولاته الزراعية بأسعار زهيدة . بعد محاولة الملك نعرمر (مؤسس السلالة الأولى في مصر حوالي 3200 ق.م.) للسيطرة على الجنوب الشرقي من فلسطين ، اقتصر الفراعنة اللاحقون على حملات اقتصادية ضد التخوم الفلسطينية (الصفحة 11587-11588) .

أما في شمال سورية فقبل وبعد حملات ملوك أكاد الحربية (في القرنين 24 و 23 ق.م.) للوصول إلى غابة الأرز (جبال الأمانوس) وإلى البحر العالي (المتوسط) ، شكلت مدينة إبلا الواقعة على طريق تجاري رئيسي مركز مملكة ذات شأن . (كشف عن إبلا في تل مردوخ على بعد ٦٠ كم إلى الجنوب من حلب) .

تأثرت إبلا بثقافة جنوب الرافدين : فقد كان قصرها يستخدم اللغة الأكادية والكتابة المسمارية . وقام فنانونها بتكييف التقليد الفني السومري فولدوا تقليداً سيكون أحد مناهل الفن «السوري - الحيثي» الذي سيزدهر في سورية والأناضول في الألف الثاني قبل الميلاد .

في الواقع لم يكتف الممر التجاري السوري بالقيام بدور سلبي ، فقد حمل تجاره ابتداءً في منتصف الألف الثالث ق.م. انتاجهم إلى أواسط الأناضول التي قامت بينها وبين سورية مبادلات ثقافية مثمرة . (صفحة 11588) .

ترجمة الأستاذ جورج أبو كسم

Encyclopédie de l'expression

عدد الأجزاء 10

الجزء 1

الفصل 13030 الصفحة 8-11

الطبعة 1984 باريس

.... سطوع التاريخ السومري يجب أن لا يتسبب في كسوف تاريخ بقية مناطق الشرق الأدنى .

ففي الشرق بدأ العالم الرافدي يقيم اتصالات مع حضارات نهر الهندوس ...

وفي الغرب أخذت تنمو حضارة مدينية في سورية وفلسطين ، غير انها كانت ما تزال تجهل الكتابة . ولكن يجب ذكر استثناء بارز تؤكد وثائق مدينة إبلا (تل مردوخ) التي تقع على بعد ٦٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة حلب .

في نهاية عصر البرونز السوري القديم بين (2375 و 2250) ق.م. قدمت هذه المدينة مجموعة هامة جداً من الرقم (نصوص إدارية وسياسية وأدبية) تبين أنه لم يكن لهذه المدينة السومرية من سبب لتحسد ممالك - المدن السومرية .

ومع ذلك دمر (نارام - سن) حفيد (صارغون الأكادي) دولة إبلا في حوالي سنة (2250 ق.م.) (صفحة 8) .

.... في عصر ملوك مدينة ماري كانت سورية مجزأة إلى دول عديد لها شأنها . وكان أهمها دولة حلب التي لا يمكن الكشف عما في موقعها القديم بسبب ما يقوم فوقه من أبنية تعود إلى القرون الوسطى الميلادية . وعلى العكس من ذلك موقع مدينة إبلا التي كشفت عنها حفريات حديثة .

يرقى تاريخ إبلا إلى أواسط الألف الثالث ق.م. قدمت هذه المدينة قصراً وعدة معابد وأجراناً كبيرة مزينة بنحت نافر مواضيعه اسطورية وثقافية .

ازدهر في هذه العواصم السورية فن ملكي يعكسه بأمانة فن ذو أصالة كبيرة هو فن نقش المجوهرات . (صفحة 11) .

ترجمة الأستاذ جورج أبو كسم

Le grand atlas de l'archéologie UNIVERSSALESSE (الموسوعة الآثرية)

عدد الأجزاء 1

فصل : الشرق الأدنى القديم

فقرة : بزوغ سورية

في فجر الأزمنة التاريخية .

لقد كشفت الأبحاث الآثرية التي جرت في سورية بين الحربين العالميتين عن وجود حضارة مدنية مشرقة بشكل خاص على نهر الفرات الأوسط خلال العصر البرونزي القديم (الألف الثالثة ق م) مع حضارة ماري Mari الشهيرة ، وخلال البرونزي الأوسط (بين عامي 2000 و 1600 ق م) في سورية الداخلية ، وعلى الساحل مع مدن عصر السلالات العمورية (حلب Alep وقرقيش Karkemish وقطنة Qatna ...) . ثم خلال البرونزي الحديث (بين عامي 1600 و 1200 ق م) مع أوغاريت Ougarit المتألقة (رأس شمرا Ras Shamra) القائمة على الساحل .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، بينت الاكتشافات الدور الطليعي الذي لعبته المنطقة السورية في السيرة التي قادت من مرحلة العصر البابليوني إلى نمط الحياة النيوليتية بين الألف الثانية عشرة والألف السابعة ق م (راجع الشرق الأدنى ما قبل التاريخ) . وبالمقابل ، فقد تكون لدى علماء الآثار شعور بأن سورية خلّت من أي أية فعالية منذ الألف السادسة ، ومنذ الإعمار المنتظم لبلاد الرافدين . وفي الحقيقة ، كان هؤلاء العلماء يعاينون في ذلك الحين في بلاد الرافدين التطورات الحاسمة التي أدت فيما بعد إلى مرور المجتمعات القروية من النيوليتي إلى المرحلة المدنية في بدايات التاريخ . وهكذا فقد أدت ولادة أولى المدن ، مثل مدينة أوروك Ourouk ، إلى وضع «بلد النهرين» في الصدارة لفترة طويلة . والحق يقال إن التنقيبات التي جرت في سورية منذ خمسين عاماً ، لم تقدم أية علامات عن حياة محلية نشيطة خلال الألفين الرابعة والثالثة . كذا فإن الوقائع كلها كانت تدفع العلماء للاعتقاد بأن سورية كانت تلاقي مشقة كبيرة في الخروج من العصر النيوليتي ، في حين كانت سومر Sumer في أوج جبروتها .

وفي بادئ الأمر ، تم اكتشاف منشآت من النمط السومري على ضفاف نهر الفرات عند أقصى أجزاء الغربية من الانعطاف الذي يرسمه النهر عند دخوله سورية . وعند النقطة التي يتجه فيها نحو بلاد الرافدين . فلقد استدل فريق ألماني (هينريش E. Heinrich وشترومنغر

(E. Strommenger) في حوبة كبيرة Habouba Kabira على الضفة اليمنى من النهر ، وفريق بلجيكي (فينيه A. Finet) في تل قنص Tell Qannas ، بل وكشفا جزئياً ، عن تجمع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنهر بفضل موقعه وتنظيمه .

ثمة ثلاث وقائع هامة علينا أن نشير إليها هنا . أولاً يستند المستوى الذي اكتشف مباشرة على أرض غير مزروعة أو مسكونة سابقاً ، ويسمح لنا المخطط بالاعتقاد أن التجمع عبارة عن إنشاء مقصود ومنظم يرجع إلى 3400 عام أو إلى 3300 عام ق م . وهناك ثانياً المواد المكتشفة : فتنظيم المنازل وزخرفة المعابد والخزفيات وأدوات الحياة الاقتصادية والرسم ، ذلك كله يحمل علامة مدينة أوروك . لذا يجدر بنا ألا نتحدث ببساطة عن عملية تأثير ، بل عن عملية نقل لهذه اللوازم دون شك . وأخيراً هنالك الاختتام الأسطواني داخل هذه المنازل مما يشير إلى أهمية الحياة الاقتصادية المركزة على التبادلات التجارية .

كذا فإن النتيجة التالية تفرض نفسها : إن حوبة كبيرة هي منشأة من النمط الاستعماري أسسها سومريون ينتسبون ربما لمدينة أوروك ، وكانت وظيفتها الأساسية هي تأمين المسير النهري للمنتجات الضرورية جداً ، كالخشب والحجر ، والتي كان البلد السومري محروماً منها تماماً . وكانت بضائع أخرى ترافق هذه البضائع الوازنة والتي تغل سبب إقامة المدينة على ضفة النهر . وتنتج عن ذلك نتيجة أخرى ، إن طالما أمكن لمدينة من هذا النمط أن تولد ، فهذا يعني أن الوضع الداخلي في سورية كان يسمح بذلك : وبالتالي فإن هذا يشير إلى عدم إمكانية تطور أية قوة مماثلة لقوة أوروك في ذلك الحين في سورية . ولكن فضلاً عن ذلك ، فإنه من الجلي والثابت أن سورية كانت قد دخلت سابقاً في تبادلات الشرق الأدنى الاقتصادية ، وإنشاء مستعمرة فيها يثبت تماماً حاجات سومر من السلع ، كما ويثبت اشتراك مناطق مختلفة في وحدة اقتصادية توزّع فيها بعض البضائع . وتسمح لنا هذه الوضعية بالذات أن نفهم كيف أمكن لسورية أن تصبح خلال الألف التالية أرض مملكة قوية .

وأخيراً فقد ظهر بوضوح الدور الفعال لنهر الفرات في السياق التطوري للشرق الأدنى . ويبدو أن حوبة كبيرة لم تدم لفترة طويلة ، إنما لقرن من الزمان فقط . وذلك لأن حريقاً وضع نهاية لوجودها . إلا أن الاستكشافات والتحريرات الجارية في تل عروضة Tell Arouda ، الواقع على الهضبة على بعد عشرة كيلومترات تقريباً من حوبة (تقوم بها بعثة هولندية على رأسها فان دريبيل G. Van Driel) ، تظهر أن الأمر لا يتعلق بظاهرة مفردة .

ترجمة الأستاذ موسى الخوري

Encyclopedia Of Historic Places

عدد الأجزاء 2

المؤلف : Courtlandt Comby

الجزء الأول

طبعة لندن 1984

ص 264 فقرة Ebla

إبلا (سورية) موقع أثري ، يعرف محلياً بتل مردوخ ، يبعد حوالي 30 ميلاً إلى الجنوب الغربي من حلب . كشفت التنقيبات في الستينيات والسبعينيات عن حضارة قديمة لثقافة سامية كنعانية إزدهرت بين 2400 حتى 2000 ق.م. بقيت مجهولة حتى اليوم . لقد كانت المدينة الدولة ذات يوم ، بسكانها الذين يربو عددهم على 260.000 نسمة ، تسيطر على معظم سورية نزولاً حتى فلسطين وشرقاً حتى ماري . وقد كانت مملكة تجارية ، تديرها بيروقراطية معقدة ، وملك منتخب يسنده مجلس للشيوخ . دمرت مدينة العصر البرونزي الأول حوالي عام 2250 ق.م. ، على يد نارام - سن الأكادي . وبعد تدمير ثانٍ عام 2000 ق.م. ، يحتمل أن يكون قد جرى على يد العموريين ، حُصّنت المدينة وازدهرت من جديد في العصر البرونزي الوسيط . وأخيراً محاهها الحثيون حوالي عام 1600 ق.م. عثر عام 1975 على سجلات تضم أكثر من 15.000 رقيم طيني مدونة بالمسمارية في أنقاض القصر ، تلقي الكثير من الضوء على إدارة المملكة وأدائها .

ترجمة الأستاذ ديمتري افيرنيوس

Archéologie (الأثرية)

الترجمة الفرنسية الصادرة
عن دار Fernand Nathan للنشر
طبعة 1980 باريس
الصفحات 405-416 .

الوضع السياسي (في سورية) (2400 - 2250) ق.م

في نهاية العصر الذي بلغ فيه انتشار الخزف الأسود المطلي بالمينا أوجه، نشهد تبدلاً ثقافياً يعم أرجاء سورية الشمالية، ولكن من دون أن يحدث انقطاع . فحيث كان، في التجمعات الحضرية الكبرى كما في المراكز الريفية، يمكننا تتبع ظاهرة تتمثل في تزايد انحسار الخزف المطلي بالمينا وفي انتشار مداهم وغزير لخزف كاسي الشكل مغضن السطح الخارجي، يعطي هوية خاصة لعصر البرونز السوري القديم الرابع (بحيرة العمق ا) امتدأ حتى فلسطين. يبدو أن هذه الحقبة تتميز بتبدل جذري في النماذج السياسية السائدة، الممثلة إلى حد ما وفي كل مكان بشكل المدينة - الدولة أو المملكة - المدينة التي تقوم على مساحة متفاوتة الاتساع. يقود هذا التبدل تدريجياً إلى تشكل دول أكثر اتساعاً، وذلك نتيجة جهد لوغال زاغيزي في بلاد الرافدين وتوسع إبلا في سورية.

جلي أن مثل هذه العملية التطورية الثورية، التي تحرضها بشكل جوهري مصالح اقتصادية، لا تتحقق دون نتائج ثقافية. فمن المؤكد أن العمل الموحد للكيانات الوطنية الجديدة يتسبب في تسوية التقاليد الثقافية المحلية المختلفة ويؤدي إلى توحيدها، كما ينتج عنه توسع حدودي يترجم واقعياً بانتشار نوع من الخزف، كالخزف الكأسي الشكل، يعم بثبات في أقاليم غدت الآن موحدة.

يمكننا من الآن فصاعداً تتبع النمو التدريجي لهذه العملية التطورية الجوهريّة. ليس فقط في بلاد الرافدين وإنما في سورية أيضاً، وذلك بفضل الاكتشاف الحديث للسجلات الملكية في مدينة إبلا المتعلقة بهذا العصر، والتي تؤكد بوضوح أن نقطة انطلاق تطور نظام الدولة هي حصراً نقطة انطلاق تجارية - اقتصادية. قوام هذا المنطلق هو في الحقيقة السيطرة على بعض الطرق التجارية الرئيسية التي يظهر أن مدينة إبلا شكلت عقدتها في ذلك العصر، فقد كانت تمر عبر هذه المدينة السورية طرق المواصلات الحيوية لمبادلات الفلزات المعدنية والأخشاب بين الأناضول وفلسطين وشاطئ الفرات وبالتالي بلاد الرافدين، العملية التطورية التي تقود

منذ عصر البرونز الثالث إلى أن يتكون في المدن مركز سياسي متين لكنه محدود المساحة إقليمياً، لا تختلف إذن عن تلك العملية التطورية التي مهّرت بطابعها مراكز مثل مدينة ماري وتل خويّرة، في حين أن الانطلاقة السياسية التي أعقبت ذلك والتي توجب أن تقود إلى إقامة نظام دولة وطنية، انطلاقاً من نفس الأسس، هي ثمرة سلسلة من الظروف المواتية التي تميز قُدر هذه المدن عن قُدر غيرها من مراكز الفرات.

في الواقع، بينما يظهر النظام الاقتصادي لهذه المراكز الأخيرة متعلقاً حصراً بنظامها التجاري القائم في أغلب الأحيان على دورها كموانئ تجارية، نجد على العكس من ذلك أن ازدهار مدينة إبلا الاقتصادي لا يقوم فقط على دورها كوسيط تجاري، وإنما على شرطين اقتصاديين طبيعيين، هما السببان الأوليان لاستقرار وديمومة نظامها الاقتصادي. العامل الجوهري لهذا النظام يتشكل من تصدير الأخشاب الثمينة من الأرض والسرو والصنوبر والتنوب، الذي يسيطر عليه نظام احتكاري، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بلوغ هذه المنطقة أكثر سهول بكثير من بلوغ الأناضول بالنسبة إلى بلاد مثل مصر والرافدين، وأنها المنطقة الوحيدة للتزود بهذه الأخشاب التي تدين لها سورية بثروتها الاقتصادية خلال فترة طويلة من الألف الثاني قبل الميلاد.

أما العامل الاقتصادي الإيجابي الثاني فهو الخصوبة الطبيعية لكل المنطقة التي تتوسطها مدينة إبلا، والممتدة غرباً حتى نهر العاصي وشرقاً إلى سبخة الجبول وحتى نهر الفرات. لهذه المنطقة أهمية جوهريّة للحيوية الاقتصادية للمدينة بما تشكّله، في تلك الحقبة على الأقل، من خط اتصال مع طريق الفرات وبالتالي مع بلاد الرافدين.

يتحقق صعود إبلا السياسي في ظل حكم مليكها إغريش خلم وإركب دامو، أول ملكين من السلالة التي تنتمي إليها وثائق القصر الملكي. ولكن أول توسع حربي جرى، على ما نعلم، في ظل حكم أر - اينوم ثالث ملوكها، كما تتبنا به التقارير المسهبة التي أرسلها (إنا - دجن) قائد الحملة ضد مدينة ماري التي كانت تحت حكم إيبلول الثاني، هذه الحملة التي أسفرت عن استيلاء (إنا - دجن) عليها ولقب نفسه بملك ماري. ماورد في هذه التقارير من ذكر بعض مستعمرات إبلا التجارية الواقعة على الطريق المؤدية إلى مدينة ماري، والبيان المفصل عن الأتاة الضخمة التي دفعتها المدينة المهزومة إلى إبلا، يكشفان بجلاء الدوافع الاقتصادية الحقيقية لهذه السياسة التوسعية.

إذا تفحصنا تسمية ملك ماري وأشور التي استخدمها (إنا - دجن) للإشارة إلى إيبلول الثاني، ربما رأينا فيها دليلاً على السلطة السياسية الواسعة جداً التي كانت تتمتع بها مدينة ماري في نهاية عصر ما قبل السلالات على الطرق التجارية في منطقة

الفرات الأعلى، وهذا يساعدنا على تفهم أن الحملة التي قامت بها إبلا للاستيلاء على مدينة ماري كانت بغية إزالة عقبة كبيرة تقف في وجه تجارتها المباشرة مع بلاد الرافدين.. الاستيلاء على ماري من جهة والتفوق السياسي الحقيقي من جهة أخرى على بعض المدن مثل كانيش في الأناضول وربما أيضاً على مدينة أكاد نفسها في بلاد الرافدين، هذا إذا ما كان ذكر هذه المدن في لائحة المدن «التي هي بين يدي ملك إبلا» هو موضع ثقة، كل هذا يعني أن السيطرة التي ستمارسها إبلا من الآن فصاعداً على أكثر الطرق التجارية أهمية تعادل احتكاراً تجارياً مركزياً واسع النطاق.

لتوفير استقرار وأمان هذا الاحتكار التجاري عقدت إبلا سلسلة من المعاهدات الاقتصادية مع آشور وكركميش وحرّان وكيش وبيبلوس لتدعم عملياً مركزها السياسي والاقتصادي.

لهذه الظاهرة نتائج خطيرة على اقتصاد الممالك - الدول السومرية السائرة في طريقها إلى التوحد.. في الواقع عندما تمت هذه العملية التطورية وعندما أتم (صارغون الأكادي) فتح بلاد الرافدين بكاملها، كان القسم الأكبر من الغرب (أي سورية) حتى مدينة ماري قد أصبح على الأرجح ملكاً سياسياً - أو على الأقل احتكاراً تجارياً - لمدينة إبلا، الأمر الذي ينطوي على نتيجة مشؤومة على النظم الاقتصادية الراقدة، ألا وهي طردها من مناطق التزود بالمواد الأولية الأكثر أهمية، أي معادن الأناضول، وأخشاب سورية.

لإحتواء هذا التفوق الاقتصادي الإبلاني، تدخل صارغون في سورية معلناً أنه قد تسلم البلاد العليا وماري وبارموتي وإبلا من داغان الإله الأكبر في مجمع الآلهة السوري في الألف الثالث ق.م.. ومع ذلك لا يظهر أن حملة صارغون هذه، التي ربما كانت لأسباب اقتصادية بشكل أساسي، قد نالت من قوة إبلا، التي استعادت ملكياتها المفقودة في الأناضول وشمال الرافدين في عهد ملكها إيبريوم المعاصر لأواخر سني حكم صارغون ولحكم خليفه المباشر.

على هذا الازدهار الجديد لمدينة إبلا يأتي أخيراً رد الفعل العنيف لنارام - سن الأكادي، الذي استفاد من فترة ضعف مفاجئة خلال حكم الملك إبي - زابيش خلف إيبريوم، فقام باحتلال وتقويض مدينتي أرمّان (يرى البعض أنها مدينة حلب ولكن ذلك ليس مؤكداً حسب البعض الآخر. المترجم) وإبلا: إبلا التي «منذ أن خلق الإنسان لم يدمرها أبداً ملك من بين الملوك».

كان الدافع الذي حدا بإبلا إلى القيام بتوسع سياسي حتى إلى ما وراء الحدود السورية ذات طبيعة اقتصادية محضة، فهو استثمار ذكي لبعض الثروات الطبيعية المحلية - الأخشاب بالدرجة الأولى - استثمار تسانده حصيلة تطور زراعي مزدهر.

التشكل العفوي للتنظيم، كان في بادئ الأمر على مستوى المدينة بهدف تنسيق العمل والإنتاج ثم غدا حكومياً شاملاً بغية القيام بفرز فوائض الإنتاج وتوزيعها، لم يجر دون نتائج اقتصادية عمّت المنطقة. فقد تمخض عنه تحسن عام في الشروط المعيشية، وانتحاء إلى اكتظاظ سكاني نتج عنه ازدياد المؤسسات ونموها وتحضر الجماعات البدوية خاصة على طول امتداد المحاور التجارية الرئيسية. ليست هذه الظاهرة الواسعة النطاق في الواقع إلا النتيجة القصوى للعملية التطورية التي كانت قد بدأت في عهد ما قبل السلالات بتواجد التجارة السومرية تواجداً دائماً ومستمرّاً في الأسواق الغربية. يواكب هذه الظاهرة تطور ثقافي عميق. في هذا المجال الثقافي من الأكدية ان بصمة التأثير الرافدي ماثلة دائماً بوسيلتيها الأكثر انتشاراً والأكثر تحكماً، اللغة والكتابة. من حيث اللغة - أي السومرية - ستحاكيها في إبلا تجارب محلية مستقلة، يتزايد فيها التحرر من المخططات الفكرية الراقدة بتزايد نمو الوعي بالهوية السياسية والاجتماعية، وهكذا تكون اللغة المحكية في إبلا، الإبلانية، لغة سامية غربية ذات تطور محلي، وهي مستخدمة جنباً إلى جنب مع اللغة السومرية التي تحتفظ بالأولية الثقافية التي ستستمر في الحفاظ عليها مدة أكثر من ألف سنة.

نرى نفس العملية التطورية في الدين والأسطورة، حيث تتواجد آلهة محلية مثل داغان ورّشف وكاميش ودامو مع آلهة راقدة مثل إنتيل وزابيش وشماش وإنكي وأوتو وإنانا كذلك تتواجد معتقدات شعبية صيغت في تعاويز مع أساطير سومرية بارعة تشهد على استمرار التأثير الرافدي. أما تنظيم الدولة والبنين الاجتماعي، فمن الجلي أنه ثمرة أعداد داخلي ومستقل مرتبط بمقتضيات اجتماعية - سياسية محلية. وهكذا يوجد في قمة السلطة ملك، (ملكوم في اللغة الإبلانية)، يسانده في مهامه القضاة أو الآباء، بينما يكلف موظفون من الدرجة العليا بحكم المدن الرئيسية من المملكة حكماً لا مركزياً وبالإشراف على إدارة القصور الملكية وقطاعات المدينة، درجة اللامركزية السياسية الفعلية واضحة أيضاً في الإدارة المباشرة التي تضطلع بها إدارة القصر وإدارة التنظيم الزراعي والرعي للمنطقة وإدارة النشاط التجاري المركز على تصنيع حكومي للمنسوجات، وعلى صناعة حرفية مزدهرة للأثاث الخشبي.

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن 11700/ موظف مستخدم في هذه المنظومة المعقدة، نفهم حقيقة تفصلها والحركة الاقتصادية التي تتمخض عنها. حركة هدفها بكل تأكيد أن تحدث تلك الآثار الخيرة التي سبقت الإشارة إليها، على الأقل كرد فعل لتداول المنتجات ولتشغيل عدد كبير من اليد العاملة، حتى ولو كانت مصالح الطبقة الحاكمة هي وحدها الغاية من كل ذلك.

ينعكس التنظيم الإداري لدولة إبلا على تنظيم مدينتها، التي تصفها النصوص مقسمة إلى أربعة أحياء متناظرة مع أبوابها الأربعة التي تحمل أسماء الآلهة الرئيسية.. لا يبدو هذا التنظيم اتفاقياً، ولعله كان مرتبطاً بعقائدية أكثر شمولاً تقوم على تقسيم رباعي للكون ينجلي في لقب «ملك أركان الدنيا الأربعة» الذي اتخذته «نارام - سن» بعد استيلائه على إبلا، ويؤكد رمز رباعي الأقسام يحمله «اطلس» «بطل عار» يظهر في نقوش مجوهرات السلالات الملكية المحلية.

من بين قصور المدينة الثلاثة التي تذكرها النصوص، لم تتمكن بعد الحفريات الأثرية في تل مردوخ إلا من الكشف عن القصر الملكي والجناح الإداري ووثائق الدولة. في هذه المكتشفات يظهر التحرر من معايير الطرز السومرية كلياً. فقد بني القصر في الواقع بعيداً عن أي مخطط صارم معين مسبقاً، وهو يمتد بشكل حر على المنحدر الغربي للأكروبول من دون أن يبني إلى الانحدار الطبيعي لهذا السفح وإنما يتكيف معه ويستفيد منه في تفرع داخلي وظيفي للأقسام الثلاثة التي تؤلفه المخازن في الشمال في المستوى الأكثر ارتفاعاً، والجناح السكني في الشرق، والجناح الإداري في الجنوب والجنوب الشرقي، وفناء خارجي كبير في الغرب مزين بأعمدة على طول واجهة القصر مع منصة ملكية تحدد وظيفته كمكان للاحتفالات الرسمية. وجود هذه الأروقة المعمدة وتكرار الأعمدة الخشبية في كافة أرجاء القصر يشكلان عنصرين أصليين ومستقلين للهندسة المعمارية السورية في ذلك العصر، وهما يرتبطان بكل تأكيد بالمواد الأولية المتوافرة وسيميزان في المستقبل التقليد المعماري المحلي. يوجد كذلك عنصر أصيل ثالث هو انتشار استخدام التنزيل الصوفي في العوارض الخشبية بزخارف هندسية وزهرية لتزيين درجات السلالم المؤدية إلى كل طابق ثان، تقليد يرقى في المنطقة إلى عصر (جمدة - نصر) وقد شاهدنا ذلك في زخارف معبد تل - براك، المستوحاة بكل تأكيد من الزخارف الراقدة الماثلة..

تحت صف الأعمدة الشرقي تفتتح قاعات الوثائق اللتان انجزتا بوجه الاحتمال قليلاً بعد الانتهاء من تشييد كامل القصر، وخاصة منهما القاعة L 2769 التي كانت تؤلف مكتبة حقيقية فيها رفوف خشبية كانت الرقم منضدة عليها ومبوبة بحسب موضوعاتها، هذه الرُقم التي عثر عليها المنقبون في أرضية القاعة نتيجة الحريق الذي دمر القصر. تعنى هذه الوثائق بكل مجالات حياة الدولة: قوائم بالداخلين إلى القصر والخارجين منه، مخصصات الرسل، وقوائم بالأتاوات، معاهدات ورسائل وبيانات حربية. وتظهر فيها الحياة الفكرية والدينية في نصوص أدبية وقصائد أسطورية، وتحتوي أيضاً على معاجم إبلانية - سومرية ونصوص مدرسية تشهد على الدور الريادي الذي

كانت تقوم به المدينة في نقل عناصر الفكر الأساسية. يعكس النتاج الفني الذي عثر عليه في إبلا بأمانة أصالة الثقافة السورية وتحررها من الطرز السومرية. ويمثل الأثاث المنقوش النوع الفني الأكثر تمييزاً للفن السوري، وهو إنتاج حرفيين محليين يبدون بخبرتهم التقنية لتقاليد عميقة الجذور.. لوحات من طاولة وكرسی، نقش عليهما مشاهد من تصارع الإبطال وتصارع انصاف الآلهة والوحوش، تشهد على أسلوب أصيل ومتطور يمكن تصنيفه في واقعية تشكيلية صارمة. ونملك أيضاً على الذوق الفني المنتشر في المدرسة الفنية المحلية أدلة من تجارب فنية أخرى، كالاشكال المزججة في لوحة خشبية نفذت بالنقش البارز وحسب تقنية متعددة المقاسات، يعطينا مثلاً ثور مصغر بشري الرأس بُس وجهه وجسده بورقة ذهبية وصنعت لحيته من حجر الدهن وقاعدته كانت على الأرجح من الخشب. دائماً على الخشب كان يتم تنزيل الصدف والحجر الكلسي في نقوش تمثل مشاهد فكرية وحربية مرسومة حسب قواعد تشكيلية راقدة نموذجية.

يمكننا تقييم درجة التبعية - الاستقلالية التي بلغتها الثقافة التشكيلية الإبلانية بالنسبة إلى الثقافة السومرية بفضل مجموعة كبيرة من السمات الموهورة بخواتم موظفي القصر عثر عليها في المخازن. هنا تضاف إلى قائمة نماذج فن التشكيل الرافدي من اشكال الانسان الثور والإبطال والوحوش المتصارعة بعض التصورات المحلية ثمرة العقائد الدينية الشعبية الأصلية، مثل البطل العاري الذي يحمل رمزاً رباعي الأجزاء، ورأس إنسان ذي قرنين، وشكل جبهوي مؤنث يسيطر على أسدين أو يحمي ثورين. الأسلوب في النحت هو دائماً متماثل ويقوم على التأثيرات الشكلية البسيطة المتكيفة مع الوسيلة التقنية التي تعبر عن الذوق المحلي المحب لما هو طبيعي.

وباختصار، في العصر الأكادي يمكننا أن نجد في ثقافة إبلا، التي تطورت كرد أصيل على نماذج ثقافية سومرية بعيدة المنشأ، نواة جميع العناصر المميزة للحضارة السورية في عصرها القديم والوسيط. وعلى غرار ذلك، يشكل منذ الآن بنيان هذه الحضارة الاجتماعي - الاقتصادي، القائم على تفصيل النشاطات التجارية والزراعية والرعية، وضعاً - مرسوماً بصرامة لأسباب تطور طبيعي - قدره أن يكون تراثاً تتناقله الأجيال عبر العصور المتتالية. ففي الواقع، من بين التجارب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي حققتها إبلا خلال هذا العصر، فقط التجارب السياسية منها ستكون ظاهرة فريدة لا استمرار لها من جراء مواجهتها المتواصلة مع القوى السياسية الراقدة. من بين النتائج العديدة للتحسن الاقتصادي العام الذي نشهده في سورية في مطلع العهد الأكادي، النتيجة الأكثر جلاء هي، بكل تأكيد كما قلنا سابقاً، تطور المنشآت الحضرية التي تكاثرت

موسوعة المورد

عدد الأجزاء 10+1
طبعة 1981 بيروت
الجزء 4 الصفحة 21

إبلا Ebla : مدينة أثرية تقع على بعد أربعين ميلاً (حوالي 56 كيلومتراً) إلى الجنوب الغربي من حلب ، عند موضع يعرف اليوم بـ «تل مردوخ» . كشفت عنها حفريات قام بها ، ابتداءً من عام 1964 ، فريق من علماء الآثار الإيطاليين والسوريين . ومن أهم ما عثر عليه هؤلاء العلماء ، في إبلا ، مجموعة من المعابد والقصور وبضعة آلاف من الألواح الفخارية التي تحمل كتابات مدونة بلغة خاصة اصطلاح الباحثون ، على تسميتها باللغة الإبلانية ، ومنقوشة بالخط المسماري . وقد تبين من هذه الألواح أن إبلا كانت عاصمة لمملكة ذات حضارة متقدمة ترقى إلى العام 2400 ق.م . وتتعاصر مع حضارة مصر وحضارة بلاد ما بين النهرين .

وعلى العكس من ذلك ، يبدي المجمع (B2) في إبلا مفهوماً ثقافياً مختلفاً في قاعته الرئيسية التي أقيمت فيها منصة من الآجر ومقاعد على طول جدرانها ، وتفرعت عنها من جهاتها الثلاث قاعات ثانوية فيها مذابح وهيكل تحيط بها أطر من الحجر .

كما في هندسة العمارة كذلك الأمر في التجربة الشكلية في مجال الإنتاج الفني حيث يتوجب أيضاً أن تلعب إبلا الدور الريادي في تكوين لغة التعبير الفني في العصر السوري القديم ، الذي يقتفي في قسمه الأعظم أثر التراث الأكادي وينبع من تجربة تقنية وأسلوبية معاشة . فترات الماضي الشكلي يقوّل التجارب الحالية ويتحكم بها ، إن كان ذلك من حيث الأسلوب أو من حيث اختيار الموضوعات . وهكذا نرى في نقوش جوانب أجران الماء المقدس من مشاهد طقسية لولائم مقدسة ومعاهدات تحالف ومشاهد أسطورية تمثل البطل العاري والبشر - الثيران والآلهة المثلثة جبهة ، نرى في هذه النقوش استمرارية الأسلوب في تكوين الشكل وتحديد حجم البروز الذي توصل ، عبر تجسيم للسوط أكثر دقة واستخدام تدرج الضوء ، إلى تعابير نادرة وموفقة من حيث ترابطها الشكلي .

وفجأة في أول القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وفي وقت واحد في كل من سورية وفلسطين ، يتوقف تجانس البيئة الثقافية الذي ساد فيهما في عصر البرونز الوسيط . فالدمار الذي يسم جميع المراكز الرئيسية في هذا العصر ينسب في فلسطين إلى النشاط الحربي لفراغة السلالة الثامنة عشرة . وفي سورية إلى ملوك أوائل العهد الحثي : فقد قام حاتوشيلي الأول بتدمير مدينة الالاح VII ، وقام مورشيلى الأول بتدمير مدينتي حلب وإبلا .

ترجمة الاستاذ جورج أبو كسم

مواقعها مع مواقع أبواب المدينة الأكادية . نلاحظ هنا بوجه عام ميلاً إلى عدم تغيير هيئة المدينة القديمة بتبديل مواقع أحيائها .

وعلى العكس من ذلك تطرأ تبدلات هامة على تقنيات هندسة العمارة . هنا يظهر أن العنصر الأكثر تمييزاً هو بنية البناء ذاتها ، ففي الصروح الضخمة يتكون الأساس دائماً من قاعدة متوازنة مستقيمة من الجير والبازلت تقوئها جذوع خشبية على مسافات منتظمة ليتحمل هذا الأساس إنطلاقة البناء المشيد من الآجر .

أما من حيث تشكّل مختلف نماذج الأبنية ، فإن التجديد الرئيسي يقوم في أبواب المدن . وذلك بإبتكار مخطط وظيفي ذي كماشة متعددة الأجزاء قابل للإغلاق وللدفاع عن ممره . يأخذ هذا المخطط في باب إبلا (A) مظهراً ضخماً ، وتفصلاً معقداً ، ذا كتلتين زواياهما متقاربة قليلاً فيما بينها ، وله من الداخل كماشة ثلاثية لزيادة حماية الممر ، وجهز زيادة على ذلك من جهته الغربية ببناء متين ذي طوابق وأبراج خارجية وبمطاف للحراسة على السور نفسه .

يعزى الانتشار الواسع لهذا النموذج من أبواب المدن الذي ظهر في نفس الفترة في جميع أرجاء سورية وفلسطين ، والذي سيصبح أحد الثوابت الهندسية المعمارية في سورية والأناضول في عصر البرونز المتأخر والعصر الحثي الحديث . يعزى هذا الانتشار الواسع إلى صفته الوظيفية المميزة المذكورة أعلاه .

في عصر البرونز الوسيط الأول ، وحدها مدينة إبلا عرفت تطوراً مختلفاً عن تطور غيرها من بقية مدن الشرق الأدنى . وعلى العكس من ذلك عانت في عصر البرونز الوسيط الثاني من تقلص دورها في سورية الداخلية نتيجة تعاظم نفوذ مدينة يحاض (حلب) ، ولكنها مع ذلك احتفظت أثناءه بسابق هيبتها الثقافية والدينية وبلغت فيه أكبر اتساع عمراني لها .

فقد رأينا أن اثنين على الأقل من معابدها التي يرقى بناؤها إلى العصر السوري القديم - المعبد (N) في المدينة المنخفضة الشمالية ، والمعبد (D) على المنحدر الغربي من الأكروبول - قد أعيد بناؤهما على انقاضهما القديمة في أوائل عصر البرونز الوسيط الأول . ثم أضيف إليهما تبعاً للمعبد (B1) والمجمع المقدس (B2) في المدينة المنخفضة الجنوبية . جميع هذه المعابد ، باستثناء الأخير منها ، اتخذت من جديد ما كان لها من نموذجية قديمة ولكن بحلول شكلية مختلفة : قاعة طويلة طولانية ، تبدى في المعبد (D) تخطيطاً أكثر تعقيداً من جراء مدخلها الضخم المؤلف من قسمين عريضين وقليلي العمق . يؤلف هذا المخطط المنتشر إنتشاراً واسعاً في سورية وفلسطين في هذا العصر . تطوراً داخلياً في أشكال المعابد كما كانت موجودة محلياً في عهود ما قبل السلالات الأكادية .

ينطبق على المعبد الشمالي في المدينة المنخفضة الشمالية . هذا بالإضافة إلى أننا استطعنا تحديد هوية تل مردوخ على أنه مدينة إبلا بفضل تمثال نذري يعود إلى نهاية العصر السومري الحديث أو إلى مطلع العصر اللاحق كان قد قدمه إلى الآلهة عشتار (أبيت - ليم - بن أغريش حياً) ملك إبلا . نستخلص من كل ذلك أن العصر السومري الحديث يظهر أيضاً في كل مكان من سورية على أنه عصر نمو حضري وثقافي كبير ملتحم بالتقاليد الأكادية السابقة التحاماً كلياً ، في مناخ سياسي لم يعد لإبلا فيه هيمنة سياسية ولا فعالية وحدوية ولكنه ما يزال مستقراً وهادئاً بالرغم من تبعيته الجزئية للنظام التجاري لسلالة أور الثالثة .

العصر السوري القديم (1600-2000 ق.م) في نهاية الألف الثالث تلمس عديداً من دلالات الأزمة في المنظومة السياسية والاقتصادية المعقدة التي وضعتها سلالة أور الثالثة . علامات تعود بشكل خاص إلى عدم استقرار الجماعات البدوية في الصحراء السورية ، وتتجسد في بعض الحالات بهجمات مسلحة حقيقية تجبر ملوك أور على تبني موقفاً دفاعياً . كانت هذه الجماعات المسماة «أمورو» باللغة الأكادية و«مارتو» بالسومرية معروفة في عصر ما قبل السلالات في العصر الأكادي ، ولكنها اشتهرت في العصر السومري الحديث بسبب نشاطها المتنامي في سوريا وإتساعه بضغط على بلاد الرافدين أكبر ، وتحركات في إتجاهها أكثر تواضعاً .

لا يبدو أن هذه الجماعات قد بدأت بالقيام بأعمال تعكر أمن الطرق التجارية قبل العصر السومري الحديث . ويمكن رد هذه الظاهرة الخاصة في هذا العصر إلى أزمة السيطرة السياسية المركزية في مدينة إبلا نتيجة الغزو الأكادي . أول حدث ذي مغزى له علاقة بهذا الوضع هو بكل تأكيد التغير الثقافي والسياسي الذي يسم ، في كل أرجاء سورية ، الانتقال من عصر البرونز القديم إلى مطلع عصر البرونز الوسيط . فجميع المدن الكبرى التي قامت في الألف الثالث ، وبدون استثناء ، عرفت في السنين الأولى من الألف الثاني تغيراً جذرياً على صعيد تنظيم المدن إساء إلى مظهرها القديم .

الشاهد الأكثر وضوحاً على الزوبعة السياسية التي وسمت هذه السنين هو إقامة تحصينات من التراب مكسوة بطبقة من الحجر الكلسي . لم يعتمد هذا الأسلوب الدفاعي في قنّة (المشرقة) وإبلا وكرمش فقط وإنما نراه أيضاً في كل التلال السورية التي لم تجر فيها حفريات بعد ، ولكن نجد فيها خزفاً من عصر البرونز الوسيط .

في أول هذا العصر تظهر جميع المدن بمظهر ينم عن إعادة تنظيم عام . يبني في إبلا سور ضخّم من التراب المرصوص له أربعة أبواب تتطابق

بصورة خاصة على امتداد الطرق التجارية الأكثر أهمية . وهكذا نجد على طول مجرى الفرات ، مدينة إيمار (مسكنة حالياً.. المترجم) التي تذكرها نصوص إبلا ، ومنشآت تل ممباقة وتل سلنكحيه . ويبين لنا الخزف والآجر المشوي والهندسة المعمارية (بصورة خاصة المبني الحكومي في تل سلنكحيه برواقه ذي العمود الخشبي المركزي) المميزات الثقافية لهذه المراكز الحضرية . هذه المميزات التي تؤكد تجانس الثقافة السورية في هذا العصر ، يقينا ، نتيجة الوحدة السياسية التي حققتها إبلا .

أما مدينة ماري فينتهي عصر ما قبل السلالات في كل مكان فيها وسط حريق هائل وأثار دمار واضحة نسب تارة إلى صارغون وتارة أخرى إلى لوغال - زاغيزي (A.Parrot) ، بينما وثائق إبلا المتعلقة باستيلاء (إنا - دجن) عليها تفتح الباب إلى فرضية جديدة . فمن المؤكد أن مستوى الحفريات المنسوب إلى العصر الأكادي يفسر الأزمة السياسية للمدينة وتبعيتها النهائية للسلطة الأكادية وذلك من خلال ما يكشف عنه من نشاط عمراني محدود يقتصر على إضافة بعض القاعات مقابل معبد داغان ، ومن عدد قليل من المنتجات الصناعية التي هي في غالبيتها مستوردات أكادية .

في الواقع إذا تمكن الغزو الأكادي ، الذي ربما كان مجرد غارة عابرة ، من أن يقسم عرى كيان الوحدة السياسية والتجارية التي أوجدتها إبلا ، فهو لم ينجح مع ذلك في أن يضر بالتطور الثقافي الداخلي للمنطقة . فقد اقتصر تأثيره على تجديد رقابة تجارية رافدية مستقرة عبر بعض المواقع المتقدمة مثل «القصر الأكادي» في تل براك .

زيادة على ذلك ، يبرهن مستقبل المنطقة الحفري كما يعرف من نصوص العصر السومري الحديث الاقتصادية بالمقارنة مع عصر ما قبل السلالات الأكادي الختامي المعروق من نصوص إبلا ، ... يبرهن هذا المستقبل على أن الأزمة الاقتصادية الناتجة عن الغزو الأكادي لم تكن إلا ظاهرة عابرة . والوثائق الأثرية نفسها لا تكشف عن انقطاع حاد ، وإنما تكشف فقط عن آثار واضحة للدمار ناتجة عن حملة (نارام - سن) . وحتى الخزف الذي يميز العصر السومري الحديث في كل سورية (بحيرة العمق I) ، أي الخزف الكاسي الشكل الملون والخزف المزخرف باللون البني الدهون بطريقة غير منتظمة بمزقاش ذي نتوءات ، ليس إلا تطوراً للطرز الأكادية السابقة . الأمر الذي يبرهن على الوحدة الثقافية للمرحلتين ... وعلى التماثل الثقافي الهام بين المرحلة الأكادية والمرحلة السومرية الحديثة في عصر البرونز القديم الرابع .

في هذا العصر لا يزال النشاط المبدول في قطاع البناء كبيراً جداً في كل المنطقة السورية . ففي مدينة إبلا ، رُمم الأكروبول وبني درج يصل معبده بالمدينة المنخفضة ، هذا الدرج الذي يعود بناؤه لأول مرة وبكل تأكيد إلى هذا العصر . الأمر نفسه



فهرس الاماكن والاعلام

(أ)

أسماء الأماكن

- الداليبي : 148
- ألوى : 148
- الوؤوب : 69
- اللاذقية : 13
- البحر الأسفل : 156
- البحر الأعلى : 156
- البحر الميت : 37
- البحر المتوسط : 22
- الأمانوس : 155
- أمّا : 151
- انطاكية : 154
- افغانستان : 165- 164- 142
- أرواد : 151
- أروجاردو : 69
- أريحا : 60
- أريسوم : 148
- أرمان : 156- 22
- أرمانو : 22
- أرمي : 148
- آشور : 149- 133- 128- 63
- أشلد : 148
- أربال : 150- 149- 148
- أبو الظهور : 166- 147
- إبور : 148
- أبو صلابيخ : 35
- أدب : 154- 151
- أدلب : 13
- أوما : 21
- أور : 142- 71- 22
- أوروک : 151
- أوريمّا : 147- 63
- أورشاليمّا : 35
- أورشو : 156- 147- 54
- أوغاريت : 167- 162- 151- 146- 141- 140- 133- 128- 89- 82- 56- 35- 11
- أزان : 69
- إيجي : 148
- أيورد : 148
- إيمار : 71- 63
- أيروم : 148
- إيرتا : 147
- أكاد : 168- 156- 155- 149- 141- 109- 71- 32
- إكشاك : 155- 151
- الألاخ : 156- 62- 56- 54- 22- 12
- الاسكندرية : 22
- البوكمال : 11
- البليخ : 79

أسماء العلم

- علي أبو عساف : 161- 119
- أبور ليم : 164- 68
- أبي سيبيش : 79- 78- 67
- أبي زكير : 147- 121- 69
- أبيت ليم : 119
- إبلول آيل : 148- 140- 101
- ابن الاسيويين : 129
- أبسو : 17



177
الملك
والاخشاب
وبالتالي بلاد الرافدين

- ابراهيم الخليل : 35
- ابت ليم بن أجرش حيبا : 20- 22- 29- 54- 82
- أجريش حلم : 164
- آدادا : 68
- أداما : 78- 79
- أدام توم : 79
- أداش : 70
- ادزارد : 89- 90- 101- 149
- ادوب دامو : 164
- اولبرايت : 20
- بيلو فرانزو روي : 41- 43
- أوتو : 80- 84
- أوغولا : 72- 148
- أطلس : 124
- ايبروم : 69- 71
- إيداكول : 78
- ايل : 79
- ايتو بي لي : 78
- اي ساتو : 80
- ايتنغ : 39
- ايش روت : 70
- ايشتوب ايلوم : 17
- أي ناسوم : 70
- إيريجي : 71
- الأوغاريتيون : 98
- الأكاديون : 100
- الأموريون : 56- 138
- الأرامي : 19
- الأشوريون : 98
- الآثاري التوراتي : 35
- الأخمينيون : 98
- اله العاصفة : 17
- أماجال ان : 68
- أمو : 68
- أن : 79
- إنا بعل : 71
- أن أوتو : 79
- أنانا : 84
- إنا دجن : 148
- إن . أر . دامو : 164
- أنا خدوانا : 71
- أنكي : 78- 79- 84
- انليل : 82- 84- 90- 156
- أنخ : 125

- أنغا : 20
- ار ايبروم : 67
- ار . إك . دامو : 79
- ار . ال . دامو : 78
- ار . اينوم : 72
- اريدو : 78
- اركب دامو : 67- 68- 121- 150- 164
- ارمانوم : 30- 148
- اش . لودو : 68
- اشما . يا : 105
- اشنونة : 119
- اشتابي : 78- 79
- اشتوب - شار : 148
- اشخارا : 80- 83
- أخذة كيش : 91- 102
- أغور ليم : 68- 164
- اغريش حلم : 67

(ب)

أسماء الأماكن

- بابل : 80- 98- 133- 156
- بادوم : 148
- باد اغشان : 144
- بورمان : 71- 141- 148
- بوغازكوي : 22
- بحيرة المتخ : 154
- ببيلوس : 22
- بيت حيلاني : 56
- بلاد الاناضول : 144- 165
- بلاد الشام : 98
- بلاد ما بين النهرين : 16- 23

أسماء العلم

- بادامو : 164
- بالالوم : 101
- باستيش : 80

- البابليون : 63
- باشمو : 83
- أندريه بارو : 11
- عدنان البني : 98- 161
- عفيف بهنسي : 101
- بوزور عشتار : 119
- جيورجيو بوتشيلاني : 40
- بببي الأول : 126- 144
- البرايت : 18- 20
- بيزون : 118
- روبرت بيغس : 35- 36- 37- 38- 39- 40
- بليخا : 79
- بعل : 82- 125- 162
- بعلوم : 78
- بردو مادو : 79
- جيوفاني بتيناتو : 35- 37- 38- 40- 78- 79- 84- 99- 100- 105- 149
- 20- 29- 32

(ت)

أسماء الأماكن

- تارب : 67
- توبا : 147
- توتول : 82- 156
- تيبالات : 147
- تل أبو ضنه : 62
- تل أبيض : 13- 50
- تل البيعة : 20- 82
- تل الحريري : 17- 32- 35- 68- 115- 119- 120- 140- 144- 147- 165
- 11
- تل المهدي : 13
- تل المشرفة : 56- 147- 165
- تل العجول : 128
- تل العزى : 63
- تل العمارة : 22
- تل العشارة : 82
- تل الشيخ منصور : 13
- تل الخويرة : 50- 61
- تل أفس : 13- 166

أسماء العلم

- تحتموس الثالث : 21
- تيشوب : 82
- تيشما دامو : 79
- تركبو : 79- 80
- تخاديتو : 79

(ج)

أسماء الأماكن

- جاسور : 141- 148
- جبال الأمانوس : 22- 147- 165
- جبال طوروس : 21- 147- 155- 165
- جبيل : 22- 60- 128- 129- 145- 146
- جبل الزاوية : 165
- جبل الفضة : 22
- جبل لبنان : 145- 155
- جبل عارود : 22
- جيسو : 151
- جلالا بيعي : 148
- جرابلس : 21
- جرمو : 141

أسماء العلم

- جاراعينو : 80
- جبيل مالك : 70
- جوبي : 80
- جيلب : 103- 101- 39
- جلب : 22
- جلبامش : 89

(ح)

أسماء الأماكن

- حازوان : 148- 147
- حاصور : 63
- حوزان : 70
- حلب : 166- 156- 148- 68- 56- 54- 22- 21- 13- 12
- حماء : 166- 154- 149- 147- 19- 18
- حران : 147
- حذريق : 166

أسماء العلم

- حاتوشيلى الاول : 156- 54
- حبيات : 82
- حدا : 82
- حدد : 162- 82- 79- 78
- حورس : 168
- الحوريون : 98- 56
- الحثيون : 98
- حوتب ابرع : 129- 128
- حيا : 92
- حمورابي : 162- 80- 56- 54- 22- 17
- حميدو حمادة : 92

184 امبراطورية إبلا

(خ)

أسماء الأماكن

- خمازي : 150- 147- 141- 113

أسماء العلم

- خاسي خيمو : 145
- خفرع : 144

(د)

أسماء الأماكن

- داميوم : 148
- داري أيب : 67
- داغان كنانيم : 103
- دوجان : 166- 147
- دور إبلا : 142
- ديلمون : 151
- دمشق : 13

أسماء العلم

- داجريش دامو : 71
- دام : 69
- دام إن : 68
- دام دينكر : 71

- دامو : 104- 83

- داموم : 164
- دامسكو : 138
- دامور داسينو : 71
- دجن 77- 78- 89- 82- 156
- دوبوحو عدا : 67
- دومو نينا ان : 79
- دوسي جو : 68
- الدمقس : 138
- دموزي : 83
- ديتز ادزارد : 40
- ديكو : 72

(ر)

أسماء الأماكن

- رأس العين : 50
- رأس الشمرة : 141- 11
- راعيك : 148

أسماء العلم

- الرباعوم : 81- 80
- الربة الأم : 119
- ربة الينبوع : 115
- روبرتس : 101
- ريد أداد : 22
- رمسيس الثاني : 83
- رفائيم : 81
- فوزي رشيد : 44
- رشف : 130- 81- 80- 61
- الرقة : 20

(ز)

أسماء الأماكن

- زاهيران : 148
- زنجري : 63

أسماء العلم

- زارا : 71- 69
- زاربا بيش دو : 68
- زائشة : 80- 79
- زيزي : 150
- زيمينى بركو : 71
- زيميري ليم : 68- 56

(س)

أسماء الأماكن

- السامرة : 169
- سهل العمق : 154- 23- 17
- سومر : 156- 109- 71
- سورون : 169
- سورية : 17- 16
- سراقب : 147- 13

أسماء العلم

- السومريون : 98
- ادموند سولبرجيه : 149
- سيدنى سميث : 22
- سيده الحيوانات : 124

(ش)

أسماء الأماكن

- شادا : 148
- شاوا : 148
- شورويك : 151
- شكيم : 169- 63
- شران : 148

أسماء العلم

- شاوشكا : 82
- شالاش : 82
- شاماغان : 80
- شمسو يلونا : 17

(ص)

أسماء الأماكن

- صوران : 166- 147

أسماء العلم

- صارغون الاكادي : 156- 155- 98- 91- 71- 32- 22- 21

(ط)

أسماء الأماكن

- طرسوس : 17

(ع)

أسماء الأماكن

- العمق : 18
- عرار : 147
- عفرين : 11
- عمورة : 169
- عيلام : 156- 151- 98

أسماء العلم

- العماليق : 81
- عماريجو : 79
- عنات : 125- 82
- عشتار : 125- 119- 83- 82- 77- 20

(غ)

أسماء الأماكن

- غابة الأرض : 22
- غزة : 169

(ك)

أسماء الأماكن

- كاحاط : 63
- كاكموم : 141
- كاميوم : 147
- كانيش : 149
- كبادوكيا : 22
- كول تبه : 128
- كيش : 168- 155- 154- 147- 144- 141- 105- 91- 71- 69
- كلس : 22
- كنانة : 103
- كركميش : 62

أسماء العلم

- كاميش : 80- 78
- كاسيدا : 71
- كاشالو : 83- 80
- جان روبر كوبر : 20
- كوبابا : 126
- كوم دامو : 164
- كورا : 138- 78
- الكوناكس : 118- 16
- الكنعانيون : 61
- الكرنك : 21
- الفونسو كي : 164
- كيشدوت : 137- 79- 69
- ككاب : 83
- هورست كلينغل : 41
- كريبرنيك : 42

أسماء العلم

- غابا دامو : 70
- بول غاريلي : 98- 41
- غوديا : 119- 22- 21
- غولا : 83
- غوته : 20

(ف)

أسماء الأماكن

- فلسطين : 142- 128- 17- 12
- الفرات : 79- 23- 22

أسماء العلم

- فايدنر : 20
- فان لوون : 13
- أندريه فينيه : 22
- داوود فريدمان : 35
- فيرولو : 99
- فلنكشتاين : 21

(ق)

أسماء الأماكن

- قبرص : 128
- القدس : 169- 35
- قطنة : 147- 62- 56- 20

(ل)

أسماء الأماكن

- لالانيوم : 148
- لاغاش : 119- 22
- اللوفر : 11

أسماء العلم

- لاندزبرغر : 21
- لاسور : 40
- لوي : 22
- لوغال : 72
- اللوتس : 129

(م)

أسماء الأماكن

- مالك : 68
- ماري : 11- 22- 38- 68- 77- 82- 89- 140- 141- 142- 144- 147- 148- 149- 156- 162- 165
- ماري يارموتي : 22
- مجدو : 63
- مدينة الطوب : 141
- مينة البيضاء : 11
- مورك : 147- 166
- ميرات : 148
- مسكنة بالس : 62- 63- 71- 141
- المشرفة : 20
- مصر : 23- 142
- مرسين : 17

أسماء العلم

- ماردو : 128
- مارتو : 128
- ماشيجي باعوت : 79
- باولو ماتيه : 12- 13- 20- 30- 32- 54- 55- 59- 80- 100- 112- 113- 114- 120- 121- 124- 125- 132- 137- 141- 148- 154- 161
- غابرييلا ماتيه : 145
- ساباتينو موسكاتي : 166
- مورشيلي الأول : 54- 156
- م . ج . ميلينيك : 33
- المدرسة التوراتية : 35
- المصريون : 98
- ملكتوم : 68
- مسائل توم : 80

(ن)

أسماء الأماكن

- نجر : 71- 141
- نوبات : 148
- نحال : 148
- نيارس : 147- 166
- نيبور : 151- 156
- نينوى : 98
- نيرار : 71

أسماء العلم

- نارام سن : 23- 30- 32- 33- 49- 53- 62- 67- 121- 148- 156- 155
- نيدا كول : 71- 80
- نيدالا : 80
- نيد كارديو : 80

- ني نارسوم : 70
- نيتي بودو : 68
- ننجرسو : 113
- ننليل : 82
- البير فريد نقاش : 91- 102
- نرجال : 61- 156

(هـ)

أسماء الأماكن

- هايدلبرغ : 29

أسماء العلم

- هاتوشيلي الثالث : 83
- تلمن هويوك : 56

(و)

أسماء الأماكن

- وادي البليخ : 20

أسماء العلم

- وانكي : 84
- ويلز : 40

(ي)

أسماء الأماكن

- يارموتي : 22- 39
- يحاض : 12- 54- 63- 68- 156

أسماء العلم

- يا أب مالك : 68
- ياروم ليم : 68
- ياريم ليم : 12- 56
- يجرش حلام : 104
- يهوه : 37- 38- 39
- يركب دامو : 104
- يحزون ليم : 68

شرح بعض المصطلحات الفنية والتاريخية*

حرف الألف

- الآراميون: مجموعة من القبائل المجهولة الأصل انتشرت في

أرجاء واسعة من سورية والرافدين في أواخر الألف الثاني ومطلع الألف الأول قبل الميلاد وكان الآشوريون قد بدأوا بالتصدي للتوسع الآرامي منذ القرن الثاني عشر ق.م وفرضوا سيطرتهم التامة على الممالك الآرامية في سياق الألف الأول ق.م.

- آشور: مدينة: عاصمة الدولة الآشورية، تقع على الضفة اليمنى للجلجلة (اسم الموقع الحالي قلعة شرقية). نقتب في هذا الموقع بعثة أثرية ألمانية بين عامي 1913-1903.

- آشور: الإله: في البدء كان إلهاً خاصاً بمدينة آشور ثم أصبح إله الإمبراطورية الآشورية. لكننا لانعرف بعد معنى الكلمة وأصلها ومع صعود الدولة الآشورية يصبح آشور فوق كل الآلهة الأخرى ويصير في مصاف الأب أن.

يجري تشخيص الإله آشور في الفنون التشكيلية في هيئة رجل بقوس داخل شكل الشمس المجنحة.
- أيا: انظر تحت انكي.

- إبلا: موقع أثري هام على بعد نحو 60 كم إلى الجنوب من حلب واسمه تل مردوخ وتقوم بعثة أثرية إيطالية بالتنقيب الأثري فيه منذ 1964 وفي عام 1974-1976 تم الكشف عن المحفوظات الوثائقية للقصر الملكي وهي تعود إلى منتصف الألف الثالث ق.م ولقد غيرت محتويات تلك الوثائق كافة التصورات المعروفة سابقاً عن تاريخ وحضارة سورية في الألف الثالث ق.م.

- دولة أكاد: أول دولة سامية كبرى بين 2350 و 2200 ق.م وشملت بسيطرته كل من بلاد الرافدين وسورية الشمالية وغزا ملوكها أمثال سرجون الأول ونارام سن بلاد الأناضول وقبرص. لكن عاصمتهم أكاد لاتزال مجهولة الموقع.

- الأباستر: حجر رخام أبيض اللون ناعم الملمس وشفاف المظهر وهش البنية بحيث يمكن حزه بأظافر الأصبع.

- الألاخ: اسم مملكة قديمة صار لها أهمية معينة في الألف الثاني ق.م وكانت خاضعة لنفوذ مملكة حلب (بحاص).

- وضعية اليد على الطريقة الأكادية: علامة مميزة للأسلوب الأكادي في نقش الاختام (2200-2350 ق.م) اليد تكون مرفوعة ومثنية بدلاً من أن تكون ممدودة للأعلى أو للأسفل.

- دولة أمورو: دولة في جنوبي سورية (أمورو تعني بلاد الغرب) وكانت تلعب دور الحاجز بين النفوذ بين المصري والحثي ويأتي ذكرها كثيراً في وثائق العمارة ولقد سقطت هذه الدولة بيد الحثيين في أعقاب معركة قادش.

- أن - أنو: رئيس مجمع الآلهة السومري ويعني الاسم (العالي - السماء) ومكان عبادته في أوروك وهو يمثل المركز الرئيسي والفعال في مجمع الآلهة السومري.

* بتصريف عن هارتموت كونه، وكلود شيفر، وجيرتي برويس، وأندريا موريتس .
تعريب د. علي أبو عساف - وقاسم طوير .



- **ايل:** رئيس مجمع الآلهة السورية شبيه بالإله آن - رئيس مجمع الآلهة السورية وتبعاً للأشعار التي وصفته يمكننا ان نتصور ايل في هيئة رجل طاعن في السن فقد قدرته على الانجاب ويقال ان مسكنه في موقع انقع بمونة في لبنان.

- **انكي:** إله سومري ويعني «سيد الارض» ويقابله الإله أيا عند الاكاديين. انكي هورب الحكمة والاستحضار وسيد المياه الحلوة والينابيع التي تهب الحياة. كان مكان عبادته في مدينة أريدو ورسوله او وزيره هو ايسيمو. ومن علامات انكي العنزة السمكة ويرتبط تشخيصه مع آلهة يتدفق منها الماء.

- **الاله الوسيط:** إله حامٍ وغالباً ماتكون إلهة ترفع يداها راجية العطف والرحمة يظهر هذا الشكل مع مشهد التقديم ويشيع انتشاره في الاختتام البابلية القديمة.

- **الأسد:** يشخص بكثرة في حالة مطاردة او اصطيد والغرض من ذلك حماية قطعان الماشية كذلك يستخدم كرمز يرافق الربة عشتار المحاربة.

- **اوبسيديان:** حجر بركاني أسود شفاف وقاسٍ جداً يستخدم لصنع الحلي والأواني الدقيقة ازدهرت تجارة الاوبسيديان من الالف الثامن والالف السادس ق.م (العصر الحجري الحديث) وانطلقت تجارته من الاناضول.

- **أبو الهول:** كائن مصري مركب من جسم أسد ورأس انسان دخل الفنون التشكيلية السورية ثم الرافدية منذ الالف الثاني ق.م.

- **أوغاريت:** الاسم الحالي رأس الشمرة وهو موقع اثري هام بالقرب من اللاذقية، وتقوم بالتنقيب الاثري فيه منذ 1929 بعثة اثرية افرنسية وأبانت التنقيبات ان اوغاريت ظلت مسكونة منذ العصر الحجري الحديث ووصلت الى ذروة الازدهار بين 1500 - 1200 ق.م وتم الكشف عن قصور ومبانٍ هامة فضلاً عن العثور على وثائق هامة مكتوبة باللغة الاوغاريتية الابجدية، وفيها عثر المنقبون على رقيم مساري يحمل اقدم ابجدية في التاريخ، تهدمت المدينة على يد شعوب

البحر نحو 1200 ق.م ولم يعد السكن اليها منذ ذلك الحين.

- **أور:** موقع اثري هام في جنوبي العراق نقبت فيه بعثة اثرية بريطانية بين 1919 - 1922 كانت أور المركز الرئيسي لعبادة إله القمر السومري نانا (سن) وفي نهاية الالف الثالث ق.م حكمت فيها سلالة أور الاولى وسلالة أور الثالثة التي ورثت الامبراطورية الأكادية حينذاك ثم اصبحت في ظل الكاشيين في الالف الثاني ق.م وبعدئذ تحت سيطرة الدولة البابلية الحديثة.

كانت أول ميناء هام في الخليج العربي الذي كان يمتد في الأراضي العراقية قبل ان يتراجع عبر الزمن. اشتهر موقع أور باكتشاف المقبرة الملكية والآثار الثمينة التي وجدت بداخله تضمحل المدينة بعد نحو 320 ق.م بسبب تراجع مياه الخليج عنها.

- **أوروك:** الاسم الحالي الوركاء، موقع اثري هام في جنوبي العراق تنقب فيه بعثة اثرية المانية منذ 1912 وتبين ان الاستيطان في هذا الموقع بدأ منذ العصر النحاسي او مايسمى بعصر العبيد وكان له أهمية كبرى في العهد السومري.

فيها معابد آن واينانا وعشتار كذلك هي بلد الابطال اغركار وتموز وجلجامش الذين يرجح تاريخ وجودهم في الالف الثالث ق.م ظلت أوروك مدينة هامة في ظل الكاشيين (منتصف الالف الثاني ق.م) وفي ظل السلوقيين والبارثيين وفي مطلع الميلاد. تم فيها الكشف عن مبانٍ هامة وعن وثائق كتابية.

أوغاريت مسكن بعل في جبل ساباتان أي جبل الأقرع الذي يبعد نحو 50 كم الى الشمال من اللاذقية. - **بابل:** عاصمة الامبراطورية البابلية، تقع على الفرات في وسط بلاد الرافدين نقبت فيها بعثة أثرية المانية بين 1899 , 1917 وكشفت عن آثار الفترة البابلية المتأخرة في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني مثل بوابة عشتار وشارع المراسم. بيد انه لم يكن بالامكان مواصلة التنقيب في الاعماق للكشف عن آثار العصور الاقدم زمناً بسبب ارتفاع سوية المياه الجوفية.

- **حزمة البرق:** رمز إله الطقس بعل أو حدد.

- **تل براك:** موقع اثري هام في شمالي شرقي سورية في مايسمى بمثلث الخابور وهو يقع على ضفة نهر الجفجف الذي يرفد الخابور، نقبت فيه بعثة اثرية بريطانية برئاسة مالاوان بين 1934 , 1938 ثم استأنفت التنقيب فيه بعثة اثرية بريطانية جديدة برئاسة دافيد اوتس منذ 1976، يحتضن التل في ثناياه مدينة هامة تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد.

- **البطل العاري والجائي على ركبتيه:** يطلق اسم البطل في الفنون التشكيلية في بلاد الشرق الأدنى القديم على الشخص الذي يصارع حيواناً كاسراً وليس هناك مظهر محدد للبطل فهو لا يرتدي ثياباً معينة ولا يرافقه شعار إلهي وليس له اجنحة.

- **بولوس:** تسمية يونانية لنوع اسطواني من انواع غطاء الرأس ونواجه مثل هذه الغطاء في الفنون التشكيلية في سورية والاناضول (منذ مطلع الالف الثاني ق.م).

فن النقش على الاختام السورية القديمة. ويتألف المشهد من رجل او وجيه او ملك يتقدم نحو الإله بوساطة إله من درجة ثانية، وغالباً مايكون الإله شخصي لحماية صاحب الغنم وتقرير مصيره.

- **التاريخ بالأشخاص:** طريقة في عد السنوات حسب شخصيات الدولة وكانت هذه العادة منتشرة في بلاد آشور في حين كانت بابل تعد السنوات حسب الأحداث الهامة.

- **التاج ذو القرون:** غطاء رأس (تاج، طاقة، قلنسوة، خوذة) لها قرون ويعتبر هذا النوع من التيجان شعار الألوهية وحياناً يحمله اشخاص لهم صفة الألوهية وفي سياق التطور في الفنون التشكيلية اخذ التاج ذو القرون اشكالاً مختلفة. ويمكننا التكهن بمرتبة الإله من خلال عدد القرون في التاج فمثلاً كان التاج المدرج رمزاً للإله آنو وإنليل في العهد الكاشي.

- **تسريحة شعر على شكل طاقة مضلعة:** بروكة شعر تستعمل كغطاء للرأس وتتميز بتصنيف الشعر في خصلات طولانية وعرضانية ويحيط بالحافة السفلية شريط مضلع ونواجه مثل هذه البروكة في الاختتام البابلية القديمة والسورية القديمة والكابادوكية.

- **القل:** تسمية عربية لكل هضبة صناعية. **التكوين المتعكس:** شكل مزدوج متعكس كما في المرأة وأصبح هذا الشكل من الاساليب المفضلة في النقش على الاختتام منذ نهاية الالف الرابع قبل الميلاد ويبدو تكوين المشهد وكأنه شعار.

حرف الباء

- **بعل:** يعتبر أهم إله الى جانب ايل في مجمع الآلهة السورية وتعني كلمة بعل (السيد) او المالك، لذلك لاتشير هذه الكلمة الى معنى الهي مميز لكن بعل يحمل معاني الإله حدد نفسها وبالتالي يتحلى بعل بمعاني إله الطقس وشعاره حزمة البرق والثور. تحدد نصوص

حرف التاء

- **التاج الازرق:** تاج على هيئة طاقة عالية مجنحة مخصصة للملك مصر. - **مشهد التشريفات:** موضوع محبب في فن النقش على الاختتام في نهاية الالف الثالث ومنتصف الالف الثاني ق.م ويعتبر هذا الموضوع ذي منشأ رافدي إلا انه انتشر في

حرف الشاء

- **الثوب المدرج:** ثوب طويل مؤلف من عدة قطع موصولة مع بعضها البعض وظل هذا النوع من الثياب مخصصاً للآلهة من الثلث الاخير للالف الثالث ومنتصف الالف الثاني ق.م. - **الثقل المتعادل:** قطعة تتدلى على الظهر لتعادل قطعة حلي

ثقيلة حول رقبة الآلهات ويظهر هذا الشكل في العهد البابلي القديم وخاصة في اشكال الآلهات الوسيطيات المشخصات في الاختتام، وثمة مثال مشهور في فن النحت القديم وهو تمثال ربة الينبوع المكتشف في ماري.

- **الثور المجنح**: كائن مركب نواجهه لأول مرة على ميل حدود (قود ورو) كاشي ولا يوجد تفسير واضح لمغزاه (لعله رمز ربوبي) ويعتبر من الاشكال الدارجة في الاختتام الآشورية البابلية الوسيطة.

- **الانسان والثور**: كائن مركب من نصف سفلي لثور ونصف علوي لانسان وهو معروف منذ عصر السلالات الاولى في الرافدين (منتصف الالف الثالث ق.م). لكن لا يزال تفسيره غامضاً.

- **الثور البري**: نوع من الثيران الضخمة ويشخص في الاختتام الاسطوانية في هيئة ثور له وجه شبيه بوجه الانسان لكن يختلف عن الكائن المركب المعروف بالانسان والثور.

حرف الجيم

- **جبيل**: أحد أهم موانئ سورية القديمة اسمها اليوناني بيبيلوس لم ينقطع السكن فيها منذ العصر الحجري الحديث (الالف السادس ق.م) حتى يومنا هذا. نقتب فيها وكشفت عن آثارها بعثة اثرية فرنسية منذ 1921.

- **اله مزدوج الوجه اووجه جانوس**: لانعرف في فنون الرافدين شكل إله بهذا الوصف إلا شكل الوزير ايسيمو الذي كان وزيراً للإله أنكي/ايا.

- **عصر جمدة نصر**: نسبة الى الموقع الاثري جمدة نصر في العراق (70 كم جنوب شرق بغداد) وهو يعود الى مطلع الالف الثالث ق.م ويتميز بالفخار الملون والرقم المسارية البدائية.

حرف الحاء

- **أدد او حدد**: انظر تحت بعل.

- **حلب**: ثاني اكبر مدن سورية كانت عاصمة لمملكة يحاض في الالف الثاني ق.م.

- **الحوريون**: شعب ينحدر من شرقي الأناضول يظهر هذا الاسم لأول مرة في الرقم المسارية التي تعود الى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.

انتشر الحوريون في شمالي سورية في مطلع الالف الثاني ق.م ثم أسسوا دولة الميتانيين في المنطقة الواقعة الى الشرق من الفرات وبمحاذاة الحدود السورية التركية. لغة الحوريين ليست بالسامية ولا بالهند وأوربية وفي الالف الاول قبل الميلاد عرف خلفاء الحوريين باسم الاورارتيين.

- **حمورابي بابل**: (1730- 1690 ق.م) ملك مشهور من السلالة البابلية القديمة استطاع حمورابي للمرة الثانية بعد مرور زمن طويل توحيد كافة بلاد ما بين النهرين واجزاء واسعة من شرق وشمال سورية تحت لوائه واشتهر حمورابي ايضاً بقوانينه التي نقشها على شاهدة حجرية تم العثور عليها في سوزه.

- **تاج حاتور**: شكل القرص الشمسي مزود بقرني بقرة.

- **قناع حاتور**: شكل وجه يطلق عليه في بلاد الشرق الأدنى القديم اسم تاج حاتور بسبب خصلات الشعر الملفوفة على جانبي المفرق (تسريحة حاتور) ولقد اصبحت هذه التسريحة مميزة للربة حاتور في مصر منذ الامبراطورية الوسطى (نحو 2000 ق.م) وفي حين أن الربة حاتور هي ربة الاجانب نجدها في المنطقة السورية تندمج مع سمات الربة البابلية عشتار والربة الحورية شوسكا (ربة الخصب والأمومة).

- **تل الحريري**: انظر تحت ماري.

- **الحثيون**: شعب هندو- اوروبي تغلغل في مطلع الالف الثاني ق.م في وسط الأناضول وأسس الامبراطورية الحثية التي وصلت الى الأوج في القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م ووصلت حدود سيطرتها وقتئذ الى شرقي

بلاد آشور وإلى اجزاء واسعة من سورية الشمالية واحتكت مع منطقة النفوذ المصرية كما امتدت الى مرتفعات الأناضول في الغرب.

حرف الخاء

- **الخابور**: أكبر روافد الفرات وهو يمتلىء بالمياه طيلة ايام السنة ينبع من الاراضي التركية ويصب في قرية البصرة قرب دير الزور، حافظ الخابور على اسمه في الوثائق المكتوبة منذ الالف الثالث قبل الميلاد.

- **مملكة خانا**: دولة قامت على الفرات الأوسط وعاصمتها ترقا (تل عشار) اصبحت لها أهمية اثر سقوط مملكة ماري نحو 1700 ق.م.

- **تل خويرة**: موقع اثري هام في شمال شرق سورية وقريباً من الحدود التركية بين البليخ والخابور، نقتب فيه بعثة اثرية المانية منذ 1958 وكشفت عن مدينة هامة تعود الى الالف الثالث ق.م.

- **خزف**: طينة بيضاء ضاربة للأخضر تختلف عن الزجاج في طريقة مزج المواد المركبة فيها ثم يجري تزجيجها وتلوينها. والخزف معروف منذ عصور ما قبل التاريخ لكن أهميته في صنع الاختتام الاسطوانية تبرز في منتصف الالف الثاني ق.م.

- **الختم المسطح**: معروف في الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ ويظهر في عصور مبكرة ايضاً في الأناضول وايران ويبقى النموذج السائد للاختتام في بلدان الشرق الأدنى القديم وله عدة انواع.

حرف الدال

- **دمشق**: الاسم القديم والحالي لعاصمة الجمهورية العربية السورية ورد ذكرها لأول مرة في الوثائق المسارية التي تعود الى مطلع الالف الثاني ق.م. اصبحت دمشق

في مطلع الالف الاول ق.م عاصمة لمملكة دمشق الآرامية ثم قضى عليها الآشوريون في القرن الثامن ق.م.

حرف الراء

- **الرداء ذو الخصلات او الشراشيب**: رداء يلتف حول جسم الشخص امتازت به سورية بشكل خاص. - **رأس انسان**: شكل تزييني للماء المساحات الفارغة في الاختتام البابلية القديمة والاختتام السورية القديمة لكن لم تتوصل بعد الى تحديد مغزاه.

- **الرافدين**: البلاد الواقعة بين الدجلة والفرات (العراق حالياً مع منطقة الجزيرة في سورية الحالية).

- **الرفش**: انظر تحت مردوخ.

- **رأس حيوان**: شكل لرأس احد الحيوانات (مثل رأس عنزة) ويستخدم كعنصر زخرفي للماء المساحات الفارغة في الاختتام مثل شكل رأس الانسان وذلك منذ الالف الثاني ق.م وبما انها تستخدم بكثرة في الاختتام ذات التأثير السوري فقد اصبحت علامة مميزة للختم السوري.

- **رقيم طيني**: لوحة طينية متحدة الوجهين. شكلها مربع في الغالب ويجري نقش الاشارات الكتابية (المسارية) عليها عندما تكون طرية ثم يجري تجفيفها تحت الشمس او حرقها بالنار كي تكتسب القساوة.

حرف الزاء

- **المعجونة الزجاجية**: طينة مشابهة لمعجونة الخزف لكنها تختلف عنها في النسبة العالية لمادة النحاس التي تمنح المعجونة اللون الأزرق يصبح للمعجونة الزجاجية (فريت) أهمية في صناعة الاختتام منذ منتصف الالف الثاني ق.م تختلف المعجونة الزجاجية ومعجونة

الحزف الحالية عن المعجنتين القديمتين ولا يجوز الخلط بينهما.

- **الزفاف المقدس**: اتحاد جنسي فعلي أو رمزي بين زوج من البشر (كاهن وكاهنة) أو من الآلهة كنوع من ممارسة الطقوس المرتبطة بالانبات أو العبادة لكن لا يوجد إجماع علمي على نوع الآلهة أو العبادة التي تكرر لها طقوس الزفاف المقدس ومن أشهر العبادات في هذا الخصوص نذكر الزفاف المقدس بين (اينانا) عشتار والملوك الإله تموز.

حرف السين

- **سارية برأس أسد**: ويطلق عليها أيضاً اسم صولجان برأس أسد وتعتبر رمزاً للإله العالم السفلي نرجال كما أنها مشخصة في الفنون التشكيلية منذ العهد الآكادي.

- **سلحفاة**: أحد رموز الإله انكي /ايا وهو معروف منذ الألف الثالث ق.م وقد ثبت ارتباطه بالإله انكي في أحد أميال الحدود (قود ورو) الكاشية لكن دون أن يتبين وجود ارتباط واضح مع الإله (ايا).

- **سبييتو**: وتعني سبعة باللغة الأكادية لكن سبييتو هو اسم عفريت رافدي له ظواهر الخير وظواهر الشر وهو يجسد الكواكب السبعة.

- **حجر السيربانتين**: أو حجر الحية لونه اخضر متموج كان يصنع منه الاختام في كافة العصور الشرقية القديمة.

السيف الهلال: سيف معقوف: تحمله الآلهة مثل ربة الحرب عشتار.

- **سن**: (بالسومري نانا) وهو إله القمر الرافدي كان المركز الرئيسي لعبادته في مدينة أور بجنوبي الرافدين وهو يشخص في هيئة هلال وهذا الرمز معروف منذ عصور ما قبل التاريخ كما يشخص فوق التيجان ذات القرون ونواجهه في الاختام الأكادية والبابلية القديمة.

- **ستياتيت**: حجر طري لماع أسود اللون في الغالب ظاهره مثل حجر الحية (السيربانتين) يستخدم لصنع الاختام الاسطوانية في كل العصور.

حرف الشين

- **شريط اشكال**: تكوين تشخيصي يتألف من بطل وحيوانات (كاسرة وأهلية) وانسان ثور ويمكن ترتيب الاشكال في مجموعات لكنها تبقى متشابكة في نسيج واحد ويعتبر هذا التكوين العنصر الرئيسي في اختتام السلالات الرافدية الاولى ويبلغ اثره خارج الحدود ويستمر في العصور اللاحقة لكن في صيغة مختصرة.

- **الشمس المجنحة**: قرص شمس مجنح أصله مصري وينتشر استعماله في الفنون التشكيلية السورية منذ مطلع الألف الثاني ق.م وليس من المعروف مغزاه ولو انه يرمز الى إله الشمس شمش في بعض الاحيان.

- **شجرة الحياة**: ويطلق عليها اسم الشجرة المقدسة أيضاً وتعتبر من الاشكال المركزية في الفنون التشكيلية لبلدان الشرق الأدنى القديم واستمر تأثيرها في الفن المسيحي. وبما انها تشخص محورة في هيئة شجرة بحيث يصعب تحديد نوعها النباتي وبوجه عام يعزى مغزاه الى علاقاتها بعبادة الانبات وعبادة الملك الإله تموز.

- **شمش**: إله الشمس الرافدي (بالسومرية/ أوتو) وهو اله الحق والنبوة شمش يغوص كل مساء في البحر ويصعد منه كل صباح هكذا ورد في كتابة منقوشة على ختم أكادي وهو مشخص في هيئة رجل يمسك بالمشار وتخرج ألسنة اللهب من كتفيه، ومن جملة رموزه الاخرى القرص الشمسي الذي يشخص في الفنون التشكيلية مع الهلال منذ عصر سلالة أور الثالثة ويضاف الى رموزه أيضاً شكل النجمة المشعة التي نواجهها منذ العصر الآكادي لكننا نواجه الرمزين سوية في اختام الألف الثاني ق.م.

- **شلاوشكا**: ربة حورية وهي شقيقة إله الطقوس، وتماثل في الأهمية الربة عشتار الرافدية انتشرت عبادة الإله الحورية في بلاد الاناضول وفي سورية الشمالية.

- **قرص الشمس**: انظر تحت الشمس.

حرف الصاد

- **الصقر**: وجد الصقر تشخيصاً له في الفنون التشكيلية في بلاد الرافدين منذ الألف الثالث ق.م كما انه يعيش في تلك المناطق لكن طريقة تحويره في فن النقش على الاختام في سورية تدل على وجود تأثير مصري في حين اننا لم نتمكن من إيجاد تفسير رمزي للصقر في الفنون الرافدية نجد انه مرتبط باسم الربة الملكية نجبات في مصر ووظيفته نقل الرسائل الملكية ولعله احتفظ بهذا المغزى في النقش على الاختام في سورية.

- **مشهد صراع الحيوانات**: مشهد صراع بين حيوانات كاسرة (أسود) وحيوانات أليفة (قطعان ماشية) وهو من المشاهد المحببة في فن النقش على الاختام لكنه يتحول الى شريط زخرفي مع اشكال انسانية منذ منتصف الألف الثالث ق.م.

حرف الضاد

- **الضفيرة**: شكل لحيط زخرفي يغلب استعماله في الاختام السورية خلال الألف الثاني ق.م ولايتوفر حتى الآن أي تفسير رمزي لهذا الشكل ولو انه من غير المستبعد انه كان يخدم أغراضاً زخرفية.

حرف الطاء

- **طاقية شبيهة بالبيريه**: شكل من اشكال غطاء الرأس كان شائعاً في شمالي سورية والمنطقة البابلية في الألف الثالث قبل الميلاد.

طاقية عريضة الحافة: نوع من انواع غطاء الرأس وهي عبارة عن طاقية ذات حافة عريضة ظهرت للوجود في نهاية الألف الثالث ق.م (غوديا - سلالة أور الثالثة) كما تظهر في اختام العهد البابلي القديم.

- **طائر كاسر برأس**: انظر تحت إمد وجود.

- **الطير**: من الأشكال المحببة في الفنون التشكيلية السورية وفي الاختام ذات التأثير السوري لكن مغزاه غير معروف وتواجه شكل الطير بكثرة في الاختام الميتانية أيضاً وفي ميل حدود (قود ورو) من العهد الكاشي ومشفوع بكتابة أمكن التعرف على شكل الطير المشخص هناك كرمز للإله شوكاموتا.

حرف العين

- **عيلام**: تسمية لدولة فارسية عاصمتها سوزة كانت تنافس بلاد الرافدين منذ فجر التاريخ.

- **العنقاء**: طائر خرافي مركب من جسم أسد ورأس طائر كاسر وفي بعض الاحيان تكون القدمان في هيئة مخالب طائر والطائر الخرافي مجنح وهو مشخص في فن الاختام الرافدية منذ الألف الرابع ق.م وفي فن الاختام السورية منذ منتصف الألف الثالث ق.م لكن الطائر السوري يتميز برأس العقاب المستمد من الفن المصري كما يتميز بوجود خصلة شعر فوق جبينه.

- **عشتار**: اسم أكادي بديل عن اسم اينانا ربة الحرب والحب الرافدية ويجري تشخيصها في الفنون التشكيلية في صور مختلفة وتتميز بظهور الاسلحة على كتفيها مثل الهراوة والسيف المنحني والقوس والسهم ووجود الأسد الى جانبها كما ترمز اليها النجمة الثانية التي تجسد كوكب الزهرة (فينوس) بيد انه ليس من المؤكد ان شكل المرأة العارية الجالسة فوق قاعدة والم مشخصة في الاختام البابلية القديمة يرمز الى عشتار.

- **قل العبيد**: موقع أثري في جنوب الرافدين ويبعد 6 كم عن شمالي غربي موقع أور نقبت فيه بعثة أثرية بريطانية في

1919 وفي 1923-1924 ثم في 1937 اشتهر الموقع بأنواع الفخار الملون الذي كان يصنع في هذا الموقع قبل العصور التاريخية.

- **العنزة البرية:** نوع من العنز البري الذي يعيش في بلدان الشرق الأدنى وله قرون طويلة ومن هذا النوع تأهل العنز المعروف حالياً، يجري تشخيص العنزة البرية في الفنون التشكيلية في مختلف العصور.

حرف الغين

- **رمز غنج:** يسمى أيضاً عروة الصليب وهو رمز هيروغليفي لكلمة «الحياة» ويعتبر هذا الرمز من الاشكال المحببة في الفن السوري خلال الالف الثاني قبل الميلاد وبخاصة في مجال النقش على الاختام.

حرف الفاء

- **الفأس المثقوبة:** نوع فأس سورية الأصل يتميز بوجود فتحة او فتحتين (نافذة) في نصلها وكانت من الاسلحة المحببة في سورية في الالف الثاني ق.م ونصادفها في الفنون التشكيلية كسلاح بيد بعل او رشف.

- **الفينيقيون:** هم سكان فينيقيا التي كانت اكبر دولة على الساحل اللبناني وكانت سياستهم وتجارتهم موجهة نحو البحر سيما وان سلسلتي جبال لبنان شكلتا حاجزاً طبيعياً تجاه المناطق الداخلية بيد انه من غير المعروف حتى الآن الوقت الذي ظهر فيه الفينيقيون على مسرح الاحداث لكن لغتهم وحضارتهم في الالف الاول ق.م هي استمرار للغة وللحضارة الكنعانية.

- **الأواني الفخارية المختومة:** هي الأواني الفخارية التي يجري ختمها بسحب الختم الاسطواني على سطحها قبل شيها في القرن لكن لم يتم العثور حتى الآن على

اي ختم اسطواني لتلك الطبقات لذلك يفترض الكثيرون ان الاختام الخاصة بهذه العملية كانت تصنع من الخشب. يبدو ان عادة ختم الاواني الفخارية نشأت في سورية وفلسطين منذ الالف الثالث ق.م واستمرت عبر كافة العصور كما ان اكتشافها في بلاد الرافدين يدل على انتشارها في الرافدين بوساطة سورية.

حرف القاف

- **قرد:** بالرغم من أن القردة لاتعيش في بلدان الشرق الأدنى القديم لكنها مشخصة في الفنون التشكيلية لتلك البلدان منذ الالف الثالث ق.م ونواجه القرد بكثرة في الاختام البابلية القديمة المؤرخة بمطلع الالف الثاني وخلافاً للآثار المصرية لانستطيع ان ننسب الى شكل القرد اية اهمية دينية او طقسية معينة.

- **قار:** نوع من الاسفلت (بقايا النفط) كان يستخدم للصلق والتزليل في العصور القديمة في بلدان الشرق الأدنى القديم.

- **قاروم:** كلمة أكادية وتعني مستوطنة تجارية أما المعنى الاصلي فهو كومة حبوب او صومعة حبوب.

- **القلنسوة السورية:** غطاء رأس طويل له ثنية عريضة عند الحافة وتذكرنا في شكلها بالتاج الملكي الابيض في مصر العليا وبالتأكيد لاتوجد علاقة في المضمون بين الاثنين ونحن نواجه القلنسوة السورية يعتمرها شخص يفسر دوماً بأنه الإله بعل.

- **لب القوقعة:** مادة مفضلة لصنع الاختام الاسطوانية في عصر السلالات الاولى في الرافدين تستخرج هذه المادة من نوع معين من القواقع الكبيرة الحجم التي تعيش في الخليج العربي وهذا النوع سميك القشرة بحيث يمكن استخراج مايكفي لصنع عدة اختام.

- **معركة قادش:** تبين ان مدينة قادش في تل النبي مند القريب من حمص. وقعت نحو 1285 ق.م معركة في هذا الموقع بين رمسيس الثاني المصري وموانلي الحثي انتهت لغير صالح الجيش المصري لكن دون انكسار.

حرف الكاف

- **كابادوكيا:** منطقة في وسط الاناضول وتحدها جبال طوروس في الجنوب ويخترقها نهر قيزيل أرماق. قامت فيها دولة ازدهرت نحو 133 ق.م ثم أصبحت جزءاً من الامبراطورية الرومانية ونحو سنة 63 ق.م منحتها روما لقب مملكة.

- **كركميش:** موقع اثري هام على الحدود السورية التركية في الجانب الغربي من نهر الفرات حيث تقوم مدينة جرابلس الحالية. احتلت كركميش مركزاً هاماً في الامبراطورية الحثية ونشأت فيها مملكة صغيرة في العهد الحثي المتأخر (الالف الاول ق.م) ثم سقطت في ايدي الدولة الآشورية قامت فيها تنقيبات اثرية بريطانية بين 1911-1914.

- **الكاشيون:** من الشعوب الجبلية التي انحدرت من جبال زاغروس الى بلاد بابل ثم استولوا على السلطة في بابل بعد سقوط الدولة البابلية القديمة (1530-1150 ق.م) وليس من المعروف تماماً اصل الكاشيين ولم تتأكد النظريات التي كانت تقول بأصلهم الهند اوروبي.

- **كتلة طينية:** كتلة من الطين تصنع باليد ويلتف حولها خيط للتعليق وتستخدم لسد فوهات الجرار ويجرى سحب الاختام الاسطوانية على سطحها.

حرف اللام

- **لحية سورية مدبية:** شكل لحية مدبية تظهر بكثرة في الاختام السورية القديمة.

حرف الميم

- **ملاك مجنح:** إله يدفع الاذى دون تحديد أكيد وهو يشخص في الغالب في حالة عراك مع حيوانات كاسرة وبذلك يقوم بوظيفة تجلب المسرة للانسان.

- **الملك الإله بصفة محارب:** نعرف شكل الإله في الاختام البابلية القديمة منذ مطلع الالف الثاني ق.م وهو يعتمر قلنسوة طويلة ومئزر قصير وله لحية طويلة تداعبها الرياح ويحمل بيده عصا غليظة. نرى الملك الإله في احد الاختام في هيئة المنتصر الذي يدوس العدو المغلوب بقدميه.

- **الخط المسماري:** نسبة الى اداة الكتابة والخط او المسمار وطريقة ضغطه على الطين للحصول على الاشارة الكتابية. والخط المسماري هو نتاج حضاري رافدي (سومري، أكادي، بابلي، آشوري) لكن شعوب اخرى (الحوريون، الحثيون، الفرس القدماء) استخدموا الخط المسماري للتعبير عن لغاتهم ولقد اثبتت الرقم المسارية المكتشفة في تل العمارنة في مصر ان الخط المسماري واللغة البابلية والآشورية كانتا وسيلة التفاهم الطاغية في الالف الثاني ق.م

- **المحارة المفصلية:** شكل زخرفي يتألف من مثلثين يطبق رأسيهما على بعضهما البعض كالمحار ويستخدم هذا الشكل بكثرة في الاواني الفخارية المزينة بالرسوم ويظهر في الاختام من حين لآخر.

- **مئزر المحارب:** مئزر قصير فوق الركبة يرتديه بعل، كما نواجهه في الاختام الآشورية القديمة والوسيط ذات التأثير السوري كذلك نواجهه في العديد من تماثيل بعل المصنوعة من البرونز ويرتديه ايضاً الملك الإله بصفة محارب.

- **مردوخ:** كان الإله مردوخ في البدء إله مدينة بابل ثم أصبح

كبير آلهة الامبراطورية البابلية مثل آشور بالقياس الى الامبراطورية الآشورية وارتبط صعود مردوخ مع نمو القوة السياسية للعهد البابلي القديم وبصفته كبير الآلهة فهو يجمع في شخصه صلاحيات الأرباب الأخرى كافة بحيث لا يمكننا معرفة تخصصه بصورة معينة ومن رموزه الرفش والأفعى والتنين.

- **ماري:** موقع أثري هام اسمه الحالي تل الحريري، يقع على الفرات الأوسط قريباً من الحدود السورية العراقية. كانت ماري مملكة هامة منذ عهد السلالات الأولى ثم أصبحت دولة واسعة النفوذ في عهد الملك زمريليم الذي بنى قصره الشهير في ماري وأخيراً تهدمت ماري على يد حورابي البابلي نحو 1696 ق.م. تقوم بعثة أثرية فرنسية بالتنقيب في هذا الموقع منذ 1933.

- **الميتانيون:** طبقة حاكمة من أصل هندو جرمانى، أسسوا الدولة الميتانية في سورية الشمالية وجنوبي الأناضول ويتألف الميتانيون من الشعب الحوري، كانت عاصمة الميتانيين مدينة واشوكاني التي لا يزال موقعها مجهولاً. عرفت هذه الدولة أوسع نفوذ لها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على يد ملكها شاشاتار ثم تحولت الى ولاية حثية نحو 1370 ق.م. في ظل حاكمها هانيجلبات.

- **المنشمار:** انظر تحت شمش.

- **مأدبة:** تشخيص لجلسة شراب يحتمل ان يكون لها مغزى ديني ونواجه هذا المشهد في الاختتام منذ الألف الثالث ق.م.

- **مظروف الرقيم الطيني:** علبه من الطين لحفظ الرقيم الطيني في داخلها مثل مظروف الرسالة في يومنا هذا ويمكن نقش محتوى الرقيم بكامله على ظهر العلبه كما يمكن سحب الختم على سطحها لكن لا توجد قاعدة او نظام معين يوجب حفظ الرقيم داخل مثل هذا المظروف ويظهر ان المظروف يخدم اغراضاً احترازية ففي حال الشك بمحتوى الرسالة المسطرة على المظروف يمكن كسر المظروف واللجوء الى الرقيم في الداخل لاثبات اصالة الرسالة.

حرف النون

- **نسر مزدوج الرأس:** شكل يظهر كثيراً في الاختتام الكابادوكية المؤرخة بين 2100-1700 ق.م.

- **نبوخذ نصر:** اسم للملكين من الملوك البابليين، نبوخذ نصر الأول حكم من 1128 الى 1106 ق.م. ونبوخذ نصر الثاني من 605 الى 562 ق.م. وهو من أشهر ملوك العهد البابلي الحديث او ما يسمى بالسلالة الكلدانية كما انه اشتهر بسبي اليهود الى بابل ومن أشهر اعماله العمرانية بوابة عشتار وطريق المراسم في بابل.

- **نرجال:** إله العالم السفلي في عالم الآلهة الرافدي لكن نرجال يجسد أيضاً ظواهر ارضية مثل حرارة الشمس والحمى والآفات. ثم أخذ وجهاً حديثاً جعله قريباً من اخيه نينورتا، من رموز نرجال السارية برأس أسد والصولجان برأس أسد.

- **نينورتا:** وتعني سيد الارض باللغة السومرية إله حرب مثل نرجال في عالم الآلهة الرافدي ويحتمل ان مجال فعاليته الأصلي كان يكمن في اخصاب الارض وقطعان الماشية، ومن رموزه الهراوة برأس أسد كما هي مشخصة في احد اميال الحدود (قود وره) الكاشية.

- **نيبور (نضر):** مركز ديني في بلاد الرافدين ومركز لعبادة الإله الرئيسي انليل ولعبادة الإله نينورتا. تقع نيبور بالقرب من الديوانية الى الجنوب الشرقي من بغداد جرت في هذا الموقع اول تنقيبات امريكية في الشرق الأوسط بين 1889-1900 ثم استؤنفت التنقيبات فيه منذ 1948.

- **نوزي:** موقع أثري هام في شمالي العراق وعلى بعد 13 كم من كركوك نقبت فيه بعثة امريكية بين 1925-1931 وتم العثور على وثائق مسبارية هامة ترقى الى منتصف الألف الثاني ق.م.

- **النجمة:** انظر تحت عشتار.

حرف الهاء

- **هيماتيت:** حجر لونه رمادي داكن حتى الاسود يلتمع كالمعدن ويدخل الحديد في تركيبه مما يكسبه وزناً ثقيلاً ويطلق

من الاشكال المحببة في اختتام الألف الثاني ق.م.

- **سارية هلال:** سارية تحمل هلال ويرمز الى إله القمر سن ونواجهها في الفنون التشكيلية منذ منتصف الألف الثالث ق.م. كما نواجهها من حين لآخر في مختلف العصور الأخرى.

حرف الياء

- **اليد:** شكل زخرفي للماء المساحات يستخدم كثيراً في الاختتام السورية القديمة والميتانية دون ان نعرف مغزاه بالضبط.

- **يمحاض:** مملكة هامة عاصمتها حلب في الألف الثاني ق.م. وهي معروفة من خلال الرقم المسبارية المكتشفة في الآلاخ (تل عطشانة في سهل العمق) التي كانت خاضعة لمملكة يمحاض لكن لم تجر تنقيبات أثرية في مدينة حلب نفسها إلا ضمن نطاق ضيق ومحدود.

عليه أحياناً اسم حجر الدم الحديدي، والحجر الأحمر ويعتبر مادة مفضلة لصنع الاختتام في العصرين البابلي والآشوري القديين.

- **هيرودوت:** مؤلف يوناني عاش بين 484-430 ق.م. وعرف باسم أبي التاريخ نقل الينا مشاهداته عن بابل والعاصمة بابل وتعتبر مشاهداته ذات قيمة تاريخية هامة للغاية.

- **هراوة برأس أسد مزدوج:** رمز كان يستخدم في البداية كسارية منذ العهد الأكادي دون ان يكون مرتبطاً بالهة معينة لكن الهراوة هذه أصبحت السلاح الذي تمسك به الربة عشتار المحاربة في الاختتام البابلية القديمة.

- **الهلال:** رمز نعرفه منذ عصور ما قبل التاريخ وبعد اكتشاف الكتابة أصبحنا نعرف بالتأكيد انه يرمز الى إله القمر (سن) ولا بد انه كان هذا هو مغزاه منذ البداية.

- **الهلال وقرص الشمس:** تركيب بين رمزين ألوهيين: الإله سن والإله شمش ونواجه هذا الرمز المركب منذ عصر سلالة أور الثالثة (نهاية الألف الثالث ق.م) كما انه

المراجع

المصادر العربية

الكتب:

- 1- ابلا، منعطف التاريخ، تأليف د. عمر الدقاق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1979.
- 2- آثار سورية القديمة، تأليف هورست كلينغل، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق، 1985.
- 3- ايلا، عبلاء (الصخرة البيضاء) - دراسات اثرية ولغوية وتاريخية، ترجمة قاسم طوير، مطبعة سورية دمشق 1984.
- 4- تل مردوخ، ايلا، أقدم مملكة عامرة في سورية، تأليف: باولو ماتيه، تعريب: قاسم طوير، اصدار: جامعة روما، 1978.
- 5- مملكة ايلا، وعلاقاتها الدولية في الالف الثالث قبل الميلاد، بقلم باولو ماتيه، غابريلا ماتيه سكاندونى، فرانسيس بينوك، تعريب قاسم طوير - اصدار جامعة روما 1983.
- 6- المقبرة الملكية والقصر الغربي في ايلا، تأليف: باولو ماتيه، تعريب: قاسم طوير - اصدار جامعة روما 1986.
- 7- آثار الممالك القديمة في سورية (3500 ق.م - 535 ق.م)، تأليف: د. علي ابو عساف، اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق، 1988.
- 8- ايلا، دليل، من منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف عام 1983، تأليف قاسم طوير.
- 9- آثار الوطن العربي القديم (الآثار الشرقية) تأليف: د. سلطان محسن، منشورات مديرية الكتب الجامعية - دمشق (1988-1989).
- 10- وثائق ايلا، تأليف د. عفيف بهنسي - منشورات وزارة الثقافة - دمشق 1984.
- 11- موجز في تاريخ سورية القديم، تأليف: د. محمد حرب فرزات، منشورات الكتب الجامعية - دمشق (1984-1985).
- 12- المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، تأليف: د. علي القيم - اصدار دار الاهالي - دمشق 1987.



- 13 - الآثار السورية، مجموعة أبحاث أثرية تاريخية قدم لها د. عفيف بهنسي، ترجمة د. نايف بللوز، إصدار مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر، دار (فرطس) للطباعة - فيينا، 1985.
- 14 - دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، تأليف د. توفيق سليمان، إصدار دار دمشق للطباعة والنشر دمشق 1985.
- 15 - إضاءات من الذاكرة القديمة، تأليف: علي القيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق 1986.
- 16 - أبحاث تاريخية وأثرية، تأليف جبرائيل سعادة، ترجمة عن الفرنسية، سلمان حروفش، إصدار دار طلاس للدراسات والنشر - دمشق 1987.
- 17 - الاختتام الأسطواني في سورية بين (3300 - 330) ق.م، دليل من أعداد: هارت موت كونه وكلود شيفر وجيرتي برويس واندريا موريتس، تعريب: د. علي أبو عساف وقاسم طوير، إصدار معهد اللغات الشرقية القديمة في جامعة توبنغن عام 1980.
- 18 - أبحاث الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية - إصدار جامعة حلب بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1981.
- 19 - الشام الحضارة، تأليف: د. عفيف بهنسي، إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1986.
- 20 - التوراة جاءت من جزيرة العرب، تأليف د. كمال صليبي، ترجمة عفيف الرزاز، إصدار مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1985.
- 21 - أخذة كيش - أقدم نص أدبي في العالم، تقديم وتحقيق، البير فريد النقاش - حسني زينة إصدار شركة المطبوعات والتوزيع والنشر - بيروت - لبنان 1989.
- 22 - أضواء جديدة على تاريخ وآثار بلاد الشام، تأليف مجموعة من كبار علماء التاريخ والآثار، تعريب قاسم طوير، مطبعة عكرمة - دمشق 1989.
- 23 - سورية الحضارة، ماذا أعطت إلى الغرب، د. عفيف بهنسي.
- 24 - قاموس الآلهة والأساطير، تأليف: د. إدوارد، م. هـ، بوب، ف. رولينغ، تعريب: محمد وحيد خياطة، دار سومر - حلب 1987.
- 25 - الأبجدية - نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، تأليف د. أحمد هبو، إصدار دار الحوار - اللاذقية - الطبعة الأولى 1984.

المجلات

- 26 - مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلدات: 15 لعام (1965)، و17 لعام (1967) و18 لعام (1968) و20 لعام (1970) و29-30 لعامي (1979-1980).
- 27 - التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد الثالث - السنة الأولى، تشرين الأول لعام 1980، العدد الرابع، السنة الثانية - آذار 1981.

- 28 - دراسات تاريخية، مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، الأعداد (21-22) لعام 1986 و(26-27-28) لعام 1987.
- 29 - الفكر العربي، مجلة الانماء العربي للعلوم الإنسانية، العدد (52) السنة التاسعة آب لعام 1988.
- 30 - مجلة العربي - الكويت - العدد (225) آب 1977، والعدد (226) أيلول لعام 1977.
- 31 - المجلة العربية، الرياض، العدد رقم (8) لعام 1978.
- 32 - مجلة المعرفة، دمشق، العدد 197 - تموز 1978.
- 33 - مجلة فكر، العددان (60-61) - السنة الثامنة، آب - أيلول 1984.

الجرائد

- 34 - تشرين، الصفحة السابعة تاريخ 1984/7/15، مجلة تاريخ وآثار وعددها الأخير عن إبلا عرض: علي القيم.
- 35 - صحيفة تشرين السورية، تاريخ 1988/1/16 (ص7) مقال حول جديد ترجمات الرقم المسارية، بقلم: علي القيم.
- 36 - صحيفة تشرين السورية، تحاور البروفيسور باولو ماتيه، تاريخ 1988/10/13، (ص3)، أجرى الحوار: علي القيم.
- 37 - صحيفة تشرين السورية، بتاريخ 1989/4/3، (ص7) حكاية نون الوقاية في لغة إبلا، حوار مع حميدو حمادة، إجراء: علي القيم.
- 38 - صحيفة تشرين السورية، بتاريخ 1989/5/18، (ص3)، حوار مع ألبير فريد النقاش حول قراءاته لنصوص تراثنا القديم، إجراء: علي القيم.
- 39 - صحيفة تشرين، بتاريخ 1982/11/8 (ص7) حوار مع باولو ماتيه، إجراء: علي القيم.
- 40 - صحيفة تشرين، تاريخ 1987/3/16، (ص7) انشودة النجوم، تحمل كل مواصفات الشعر العربي، بقلم: علي القيم.

المحاضرات

- 41 - لغة إبلا في ضوء مااستجد من دراسات، محاضرة القاها حميدو حمادة، في نقابة المهندسين بدعوة من جمعية العاديات بحلب بتاريخ 1989/2/15.
- 42 - الجديد في المكتشفات الأثرية السورية، محاضرة القاها الدكتور عدنان البني في مكتبة الأسد بمناسبة معرض الكتاب بتاريخ 1988/9/27.

الفهرس

7	● المقدمة :
	● الملف الاول :
9	الصدفة المباركة ومواسم العطاء
	● الملف الثاني :
27	الكنز العظيم
	● الملف الثالث :
45	فنون البناء والعمارة
	● الملف الرابع :
65	اخبار القصر الملكي والعرس الكبير
	● الملف الخامس :
75	الآلهة والأساطير والعبادات
	● الملف السادس :
87	آداب إبلائية
	● الملف السابع :
95	ابلا كتابة ولغة
	● الملف الثامن :
107	فنون إبلائية
	● الملف التاسع :
	الحياة الاقتصادية
135	والتجارية والعلاقات الدولية

المصادر الاجنبية

- 1- EBLA, An Embire Rediscovered, by: Paolo Matchiae, New York, 1981.
- 2- EBLA in the Period of the Amovites (Malibu, 1979).
- 3- Giovanni Pettinato, the Archives of EBLA, (Garden City, New York, 1981).
- 4- Barmant and M.Weitzman, EBLA, A Revelation in Archaeolgy, New York, Times Book, 1979.
- 5- Leonard M.King, « A History of Sumer and Akad ».
- 6- Gorrier of UNESCO, P.Matthiae, Fef, 1977.
- 7- BIBLICAL ARCHEologist, May 1976, volume, 39, NO 2. and 3. volume 41, NO 4, December 1978. volume, 43 Spring, 1980.
- 8- Studi EBLAITI, 1, 1979, universita Degli, Studidi Roma.
- 9- Studi EBLAITi, II/1, 1980, III/1- 2, 1980, III/3- 4, 1980, II/4- 5, 1980, III/5- 8, 1980, III/9- 10, 1980, II/7- 8, 1980, IV, 1981.
- 10- Histoire et Archeologie, NO 83, Mai, 1984.
- 11- Biggs, Ancient Mesopotamian, 1967.
- 12- Edzard, Archivi Reali di EBLA, Testi - V - 1984.
- 13- Garbini, Considerations on the language of EBLA, 1980.
- 14- old Akkadian Writing and grammar, I - J - Gelp, 1961.
- 15- EBLA and the Kish Civilization, I - J - Gelb. 1980.
- 16- Religious Drama in Ancient Mesopotamia, T.Jakobsen, 1975.





159	المؤلف يحاور البروفيسور باولو ماتيه	●
171	إبلا في الموسوعات العالمية	●
181	فهرس الاماكن والاعلام	●
191	شرح بعض المصطلحات الفنية والتاريخية	●
203	المراجع :	●
207	الفهرس العام	●



المؤلف في سطور

- من مواليد عام 1950 م . في قرية عين اللبنة ، اللاذقية ، في القطر العربي السوري .
- درس في مدارس وثانويات اللاذقية ، وحصل على اجازة عامة في الآداب - قسم الجغرافية - ودبلوم التأهيل التربوي من جامعة دمشق .
- يعمل في المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية ، منذ 1970/6/1 . وقد تسلم مهام المكتب الصحفي فيها منذ عام 1978 وحتى عام 1983 ، حيث تسلم أمانة متحف الطب والعلوم عند العرب بدمشق ، ولا يزال ، ويشرف حالياً على المعهد المتوسط للآثار والمتاحف ، والمعهد المتوسط للفنون التطبيقية . ويقوم بالتدريس فيهما .
- مارس العمل الأثري من خلال دورات تدريبية ، وتمثيل القطر السوري لدى بعض البعثات الأثرية الأجنبية .
- عضو اللجنة التنظيمية العليا للندوة الدولية لتاريخ وآثار محافظة ادلب - ابلا .
- من أعضاء اللجنة الاستشارية لدار الأبيدية / 1989 .
- كتب ما يقارب الألف مقالة ودراسة وبحث عن تاريخ وآثار وتراث القطر العربي السوري في كبريات الصحف والمجلات العربية والسورية ، ومارس النقد الفني والأدبي والموسيقي أيضاً . وشارك في اعداد برامج تلفزيونية عديدة ، وكتب ما يزيد عن (800) زاوية اذاعية مختلفة ، كما ساهم في العديد من المؤتمرات والمهرجانات والندوات التراثية والفنية والفكرية .
- صدر له حتى الآن :
 - متحف الطب والعلوم عند العرب ، عربي - فرنسي - اصدار المديرية العامة للآثار والمتاحف - دمشق - 1984 .
 - اضاءات من الذاكرة القديمة ، اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق - 1986 .
 - المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة ، اصدار دار الأهالي للطباعة والنشر دمشق - 1987 .
 - ابن النفيس الدمشقي ، اصدار دار المعرفة - دمشق - 1988 .
 - الموسيقى ، تاريخ وأثر ، اصدار دار الشيخ - دمشق - 1988 .
 - امبراطورية ابلا ، اصدار الأبيدية للنشر - دمشق - 1989 .
- تحت الطبع :
 - مجالس الكتب ، الأبيدية للنشر - دمشق .
 - آثار وأسرار ، الأبيدية للنشر - دمشق .

دعوة

إلى السادة الباحثين في التاريخ القديم

الأبيدية
للنشر

ترحب بكل عمل يبحث في تاريخ
الحضارات القديمة

للاتصال :

دمشق - الأبيدية للنشر

ص.ب: 4428 برقيا: ابجدار.

☎ 455720 - 221711 - 214315 تليفون: TAJ SY 412059